

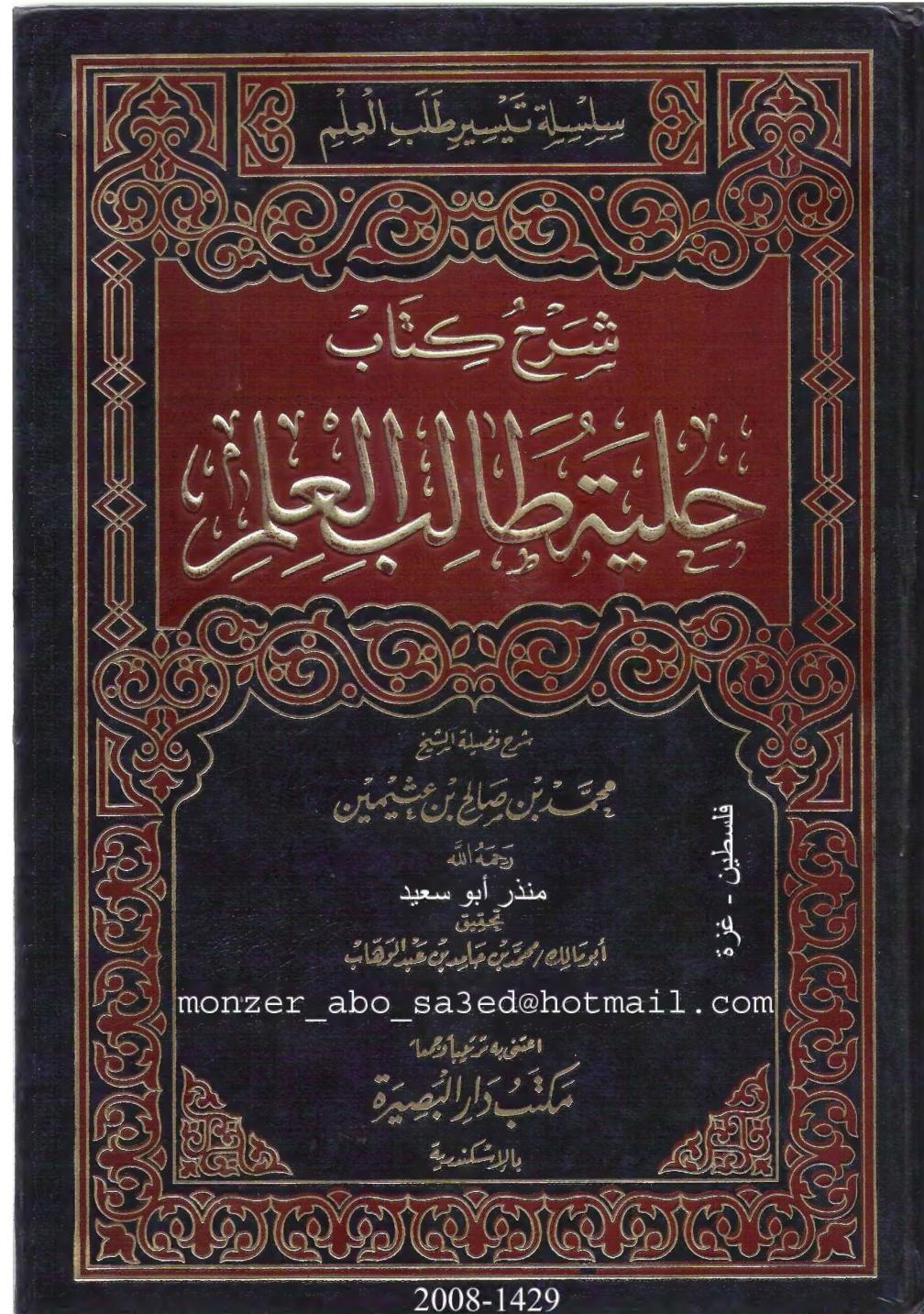
شرح كتاب حلية طالب العلم

قام برفعه على الانترنت ولأول مرة

منذر فؤاد أبو سعيد

monzer_abo_sa3ed@hotmail.com
monzer_abo_sa3ed@hotmail.com

www.sh-fa.net



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة

دار البصيرة

لصاحبها / مصطفى أمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبَّنَا تَقْبَلْ مِنَ

إِنْكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

دار البصيرة

جمهورية مصر العربية

الإسكندرية . ٢٤ ش. كانواپ . كامب شيزار . ت: ٠١٥٨٠٠٩٩٠

مشفر أبو سعيد

شرح كتاب

حلية طالب العلائق

لفضيلة الشيخ

بكر بن عبد الله أبو زيد

شرح فضيلة الشيخ

محمد بن صالح بن عثيمين

رحمة الله

تحقيق

أبوطالب / محمد بن هادي بن عبد الرحمن

اعتنى بورثياب ورثياب

مكتب دار البصيرة

بالسكندرية

٥٤

مشفر أبو سعيد

المقدمة

الحمد لله الذي امتنَ علينا بإرسال رسوله ﷺ ﴿لَقَدْ مِنَ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ
بِرَسَالَةٍ مِنْ أَنفُسِهِمْ يَلُو عَلَيْهِمْ أَيَّاتِهِ وَيَرْكَبُهُمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفْي
سَلَمٍ﴾ (سورة آل عمران: ١٦٤).

والصلاوة والسلام على سيد المرسلين وإمام العالمين،
الكتاب، العلماء ورثة الأنبياء، فهم ورثة ﷺ ، القائمون في أمته بمهمة البلاغ
والتعليم، وتبين الحلال والحرام، أعلى الله قدرهم في الدنيا والآخرة، وجعلهم لنا
الحواس يهدي بهم في الظلمات، وحاجتنا إليهم أشد من حاجتنا إلى الطعام والشراب.

هم مناهل الأرض ومنابعها، وهم نجومها وزيتها، نجوم إذا انطمست ضلَّ
الستارون طريقهم، وكواكب إذا تهافت تاهوت عنهم مسالكهم، أئمَّةُ الله عليهم،
برقع مقامهم ونورُ ذكرهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ نَفْسُحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسُحُوا
لِلَّهِ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ اشْرُزُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ (سورة المجادلة: ١١). وخصهم نبينا محمد ﷺ بالفضل الأسمى في
 الحديث شتى، في مثل قوله: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمَلَةُ فِي
سَمَرْهَا وَحَتَّى الْحَوْتُ لَيُصْلَوْنَ عَلَى مُعْلِمِي النَّاسِ الْخَيْرِ»^(١)

هكذا شأن العلماء، وطلبة العلم. ولكن شأنٌ بين عالمٍ وعالم، وبين طالبٍ
وطالب، وما هو حليته وزيتها، فيها يعلو قدره، ويزيّن أمره و شأنه، وعليه تترافق
الرياح، وتأتيه الأفراج من كل حدب.

وما أحوج طلبة هذا الزمن بهذه الخلية المباركة النافعة إن شاء الله، لاسيما وإنها صادرة من عالم صنديد، جهيد عتيد، شامخ في العلم متين. فإذا اجتمع معه شارحها علم الأعلام، وسيد العلماء، وبقية السلف سيدنا وشيخنا وإمامنا أبي عبد الله محمد بن صالح العثيمين - قدس الله روحه - فشدَّ عليها بيديك، وُعْضَّ عليها بالنواجد، عسى أن تنفعك وأنت سائر في مرحلة الطلب.

هذا وأسائل الله العلي العظيم أن ينفع بها كل من قرأها واطلع عليها، وأن يثيب مؤلفها وشارحها ومراجعها وناشرها خير الجزاء هو ولِي ذلك ونعم الوكيل.

وكتب أبو مالك

محمد بن حامد بن عبد الوهاب

كفر الشيخ في ١٤٢٢/٤/١ هـ

التعريف بالمؤلف

حفظه الله

النشأة:

ولد فضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد أول ذي الحجة عام ١٣٦٤ هـ من قبيلة بنى «زيد» القبيلة القضاعية المشهورة في وسط نجد ، وهو من مدينة «شقر» ثم «الدواودمي» حيث ولد فيها.

نشأ نشأة كريمة في بيت صلاح وثراء وعراقة نسب. درس بالكتاب ثم التحق بالمدرسة الإبتدائية وأكملها في مدينة الرياض حيث واصل جميع مراحل التعليم في الإبتدائي ثم المعهد العلمي ثم كلية الشريعة ثم المعهد العالي للقضاء.

حياته العلمية ومشايخه:

أخذ اللغة العربية عن الشيخ صالح بن عبد الله بن مطلق القاضي المتلاعدي في الرياض، وكان يحفظ من مقامات الحريري «٢٥» مقامة بشرحها لأبي العباس الشريسي، وقد ضبطها عليه، وأخذ عنه علم المiquات وحفظ منظومته المتداولة على السنة المشايخ، وقد انتفع انتفاعاً بالغاً من رحلته إلى مدينة رسول الله عليه السلام من عام ١٣٨٣ هـ حيث أخذ علم المiquات أيضاً عن بعض المشايخ، ولازم شيخه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - وقرأ عليه عدد من الرسائل، ودرس عليه كتاب الحج من المتنقى في المسجد الحرام. ولازم شيخه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - المتوفى عام ١٣٩٣ هـ عشر سين دأباً في المسجد النبوي وفي دروسه فيه في عصر رمضان وفي منزله وقرأ عليه بعض تفسيره «أصوات البيان» والجزء الأول من

- ٤ - فقه الشوارل / مجلدان.
- ٥ - معجم المنهي النقوصية.
- ٦ - طبقات السabin.
- ٧ - معرفة النسخ الحديثية.
- ٨ - التحديث فيما لا يصح فيه حديث.
- ٩ - عقيدة بن أبي زيد القيرواني.
- ١٠ - لا جدید في أحكام الصلاة.
- ١١ - تحقيق كتاب «الجذ الحديث في بيان ما ليس بحديث» للعامري.

سأله الله للشيخ بكر التوفيق والسداد، نفعنا الله بعلمه وتمتعه بطاعته، هو ولد
د. داعم الوكيل.

«آداب البحث والمناظرة» ومواضع من «المذكورة في أصول الفقه» وعلم النسب في كتاب ابن عبد البر «القصد والأمم في أنساب العرب والمعجم» ونبذ سوهاها، وقد أثر فيه الشيخ - رحمه الله - تأثيراً بالغاً، وهو الذي حبب إليه النظر في لسان العرب وأصول اللغة العربية حتى صار لها التأثير الظاهر عليه في أسلوبه وبيانه. وبالجملة فقد كان مختصاً به وتحرج على يديه وكان مغرماً بتحصيل الإجازات العلمية في كتب السنة وله ثبت في هذا.

وقد تخرج في كلية الشريعة ١٣٨٣ منتسباً وكان ترتيبه الأول من بين الخريجين وأختير للقضاء، فعمل قاضياً في محكمة المدينة النبوية الكبرى منذ عام ١٣٨٨ حتى نهاية عام ١٤٠٠ هـ، وفي عام ١٤٩٠ هـ عين مدرساً بالمسجد النبوي الشريف فدرس فيه الفرائض والحديث واستمر حتى عام ١٤٠٠ هـ، ثم عين بعدها بسنة وكيلاً لوزارة العدل واستمرت الوكالة حتى عام ١٤١٣ هـ، وعين أيضاً عضواً لمجلس القضاء الأعلى بنيته العامة - ثم مثلاً للمملكة في مجمع الفقه الإسلامي الدولي، وعين رئيساً له منذ عام ١٤٠٥ هـ حتى تاريخه، وعين أيضاً عام ١٤٠٥ هـ عضواً في المجمع الفقيهي برابطة العالم الإسلامي وفي عام ١٤١٣ هـ عين عضواً في هيئة كبار العلماء وعضوًا في اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

وفي أثناء عمله في القضاء واصل دراسته منتسباً في المعهد العالي للقضاء، فتحصل منه على الماجستير والدكتوراه.

❖ كتبه ومصنفاته:

مذکور ابو سعید

للشيخ - حفظه الله - مؤلفات عددة امتازت بالدقة في البحث، والجزالة في الأسلوب طبع منها نحو «٥٥» مؤلفاً، منها:

- ١ - ابن القيم - حياته وأثاره وموارده.
- ٢ - التقرير بعلوم ابن القيم.

التعريف بالشارح

رحمه الله

التعريف

هو أبو عبد الله محمد بن صالح بن عثيمين الوهبي التميمي .

القولبة

ولد سماحة الشيخ - رحمه الله - في مدينة عُنْيَة، إحدى مدن القصيم في ٢٧

جعفران ١٣٤٧ هـ .

الكتاب

قرأ القرآن الكريم على جده من جهة أمه عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ،
بعد ذلك لم يتجه إلى طلب العلم، فتعلم الخط والحساب، وبعض فنون الآداب، وكان
الشيخ قد رُزق ذكاءً، وهمة عالية، وحرصاً على التحصيل العلمي، في مزاحمته
بالرُّوايَّات للعلماء، وفي مقدمتهم الشيخ العلامة المفسر الفقيه عبد الرحمن بن ناصر
السعدي، وكان الشيخ عبد الرحمن قد أقام اثنين من طلابه لتعليم الصغار، وهما
الشيخ علي الصالحي، والشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع، فقرأ الشيخ محمد -
رحمه الله - عليهما «مختصر العقيدة الواسطية» للشيخ عبد الرحمن السعدي،
و«إرشاد السالكين في الفقه» للشيخ السعدي أيضاً، و«الأجر وموبيه»، و«الألفية»، في
الدُّور والصرف .

وقرأ على الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان في الفرائض والفقه .

♦ تصانيفه ومؤلفاته:

لسمحة الشیخ - رحمه الله - مؤلفات عديدة تجاوزت الشمائلين، منها:

- ١- إزالة الستار عن الجواب المختار لهداية المختار.
- ٢- أصول في التفسير.
- ٣- الأصول في علم الأصول.
- ٤- الضيء اللامع من الخطب الجوامع.
- ٥- القواعد المثلث في صفات الله وأسمائه الحسنى.
- ٦- القول المفيد على كتاب التوحيد.
- ٧- شرح العقيدة الواسطية.
- ٨- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري.
- ٩- شرح كشف الشبهات.
- ١٠- شرح لمعة الاعتقاد الهادى إلى سبيل الرشاد.

♦ مرضه ووفاته:

توفي الشیخ - عليه سحائب الرحمة - يوم الأربعاء الواقع الخامس عشر من شوال عام ١٤٢١ هـ.

نسأل الله العلي القدير أن يتغمده برحمته، وأن يعلی قدره ومنزلته ويحشره مع الصالحين والشهداء.

وقرأ على الشیخ عبد الرحمن بن ناصر السعید الذي يعتبر شیخه الأول، حيث لازمه وقرأ عليه التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والفرائض ومصطلح الحديث والنحو والصرف.

♦ حياته العلمية:

لما فتحت المعاهد العلمية في الرياض التحق بها عام ١٣٧٢ هـ، يقول الشیخ - رحمه الله - : «دخلت المعهد العلمي من السنة الثانية، والتحقت به بمشورة من الشیخ علي الصالھي، وبعد أن استأذنت من الشیخ عبد الرحمن السعید - عليه رحمة الله - وكان المعهد العلمي في ذلك الوقت ينقسم إلى قسمين خاص وعام، فكنت في القسم الخاص، وكان في ذلك الوقت أيضًا من شاء أن يقفز - كما يعبرون - بمعنى أنه يدرس السنة المستقبلة له في أثناء الإجازة ثم يختبرها في أول العام الثاني، فإذا نجح انتقل إلى السنة التي بعدها، وبهذا اختصرت الزمن» أ. هـ.

وبعد سنتين تخرج وُعِين مدرساً في معهد عنيزة العلمي مع موافقة الدراسة انتساباً في كلية الشريعة مع موافقة طلب العلم على يد الشیخ عبد الرحمن السعید - رحمه الله - .

ولما توفي الشیخ عبد الرحمن السعید - رحمه الله - عام ١٣٧٦ هـ، تولى الشیخ محمد - رحمه الله - إماماً الجامع الكبير بعنيزة والتدريس في مكتبة عنيزة الوطنية، بالإضافة إلى التدريس في المعهد العلمي، ثم انتقل إلى التدريس في كلية الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم، وما زال بها حتى تفاه الله - رحمة الله عليه - بالإضافة إلى عضوية هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.

مذكرة
أبو توحيد

مذكرة
أبو توحيد

ملحق أبو شحبيه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لِلَّهِ، وَأشهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأشهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ، اللَّهُمَّ
صَلُّ وَسِلُّ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ اهْتَدَى بِهِدَاكَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَقَيِّدُ مَعَالِمَ هَذِهِ «الحُلْيَةِ» الْمُبَارَكَةِ عَامَ ١٤٠٨هـ، وَالْمُسْلِمُونَ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ -
يُعَايِشُونَ يَقِظَةً عَلَمِيَّةً، تَهَلَّلُ لَهَا سُبُّحَاتُ الْوِجْهِ، وَلَا تَرَالْ تُنَشَّطُ . مُتَقَدِّمَةً
إِلَى التَّرْقِيِّ وَالنُّضُرِّجِ . فِي أَفْئَدِ شَبَابِ الْأُمَّةِ مَجْدُهَا وَدَمَهَا الْمَجَدُ لِحَيَاتِهَا؛ إِذْ
نَرِيَ الْكَتَابَ الشَّبَابِيَّةَ تَتَرَى، يَتَقَلَّبُونَ فِي أَعْطَافِ الْعِلْمِ مُثْقَلِينَ بِحَمْلِهِ يَعْلَوْنَ
مِنْهُ وَيَنْهَلُونَ، فَلَدِيهِمْ مِنَ الْطَّمُوحِ، وَالْجَامِعِيَّةِ، وَالْأَطْلَاعِ الْمُدْهَشِ، وَالْغَوْصِ عَلَى
مَكْنُونَاتِ الْمَسَائِلِ، مَا يَفْرَحُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ نَصْرًا، فَسُبْحَانَ مَنْ يُحْيِي وَيُمِيتُ قُلُوبًا .
لَكِنْ؛ لَابْدُ لِهَذِهِ النَّوَافِذِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ السَّقْيِ وَالْتَّعَهُدِ فِي مَسَارَاتِهَا كَافِةً
نَشَرًا لِلضَّمَانَاتِ الَّتِي تَكُفُّ عَنْهَا الْعَثَارَ وَالْعَثْرَ فِي مَثَانِي الْطَّلَبِ وَالْعَمَلِ؛ مِنْ
تَمْوِيجَاتِ فَكَرِيَّةِ، وَعَقْدِيَّةِ، وَسُلُوكِيَّةِ، وَطَائِفِيَّةِ، وَحَزْبِيَّةِ ..

هَذَا مَا قَالَهُ صَحِيحٌ . . فِي الْآوَنَةِ الْأُخْرِيَّةِ حَصَلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ مِنَ الشَّبَابِ
طَمُوحاتٌ وَاسِعَةٌ فِي شَتَّى الْمَجَالَاتِ، لَكِنَّهَا قَدْ تَحْتَاجُ إِلَى ضَمَانَاتٍ وَكَوَابِعٍ تَضَمِّنُ
بِقَاءً هَذِهِ النَّهْضَةِ وَهَذِهِ الْطَّمُوحَ، لَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ إِذَا زَادَ عَنْ حَدَّهُ فَإِنَّهُ سُوفَ يَرْجِعُ

ملحق أبو شحبيه

ملحق أبو شحبيه

وقد جعلت طوع أيديهم رسالة في «التعالى» تكشف المندسین بينهم خشية أن يردوهم، ويُضیعوا عليهم أمرهم، ويبعثروا مسیرتهم في الطلب، فيستلهمون لهم لا يشعرون.

والیوم أخوك يشد عضدك، ويأخذ بيده، فأجعل طوع بنانك رسالة تحمل «الصفة الكاشفة»^(۱) لحیتك، فها أنا ذا أجعل سِن القلم على القرطاس، فاتل ما أرقُم لك أنعم الله بك عینا^(۲)

قوله «فاجعل طوع...» فيها التفات من الغيبة إلى الحضور، هذا ليس معتاداً عند المسلمين من مؤلفاتهم العلمية، لكن كما قلنا أولاً أن الشيخ يعتمد على البلاغات المخواة، ومعلوم أن الانتقال في الأسلوب من الخطاب إلى غيبة، أو من غيبة إلى الخطاب أو من مفرد إلى جمع - إذا صح الجمع - من المعلوم أن هذا سوف يوجب الشهادة، لأن الإنسان إذا كان يسير على أسلوب معين مستمر عليه، انسابت نفسه، لكن إذا جاء شيء يغير الأسلوب سوف يتوقف ويتبه، **﴿ولقد أخذ الله مثابي بي إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشرنبيا﴾** (سورة المائدۃ: ۱۲)، فقال «أخذ الله» هذا غيبة، «وأبعثنا» حضور.

(۱) **الصفة الكاشفة**: هذه من مصطلحات كتب المواد لـ «السان العربي» ومنه ما في مادة (ظبا) من «الساموس»، قال الزيبي في «تاج العروس» (۱/۳۳۲): «الظباء هي: الضبع (العرجاء) صفة النساء، أ. ه. وهذا الوجه من الصفة هو الذي يراد به تمييز الموصوف الذي لا يعلم، ليميز من سائر الأجناس بما يكشفه. انظر: حرف العصاد من «الكليليات» : (۳/۹۲).

(۲) اوضح في حرف الألف من «معجم المناهی اللفظیة» أن هذا النفظ: «أنعم الله بك عینا» لا يصح «عنه».

(۱) ويقال لهم التواب، والحرورية نسبة إلى الموضع الذي خرج فيه أولهم على علي بن أبي طالب بعد أن أجبروه على قبول التحكيم مع معاوية بن أبي سفيان، وعندما قبله طلبوا منه أن يرفضه ويتوه، معلنين بذلك بأنه كفر بسبب التحكيم، كما كفروا بهم وتباعدوا، وقد انقسم الخوارج إلى عشرين فرقة، ويجتمعهم القول بالترىء من عثمان بن عفان، وعلى بن أبي طالب، وتکفیر أصحاب الكبائر، ويررون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقاً واجباً.

انظر: الملل والتحل للشهرستاني: (۱/۱۱۴).

(۲) رواه مسلم (۸/۰۶).

ذكر الآداب .. فإن كانت مسنونة فضدها مكروهه، وإن كانت واجية فضدها مكروهه. ولكن هذا ليس على إطلاقه، لأن ليس ترك كل مسنون يكون مكروهها، إلا لقلتنا: إن كل من لم يأت بالمسنونات في الصلاة يكون قد فعل مكروهها، لكن ترك آداباً من الآداب الواجبة فإنه يكون فعلاً محرماً في نفس هذا الآدب فقط، ترك فيه واجبًا، وكذلك إذا كان مسنوناً وتركه. فيُنظر، فإن تضمن تركه إساءة مع المعلم أو مع زملائه فهذا يكون مكروهًا لا لأنه تركه، ولكن لأنه لزم منه الآدب.

والحاصل: أنه لا يستقيم أن نقول كل من ترك مسنوناً فقد وقع في مكروه، أو ترك واجباً فقد وقع في المحرم. على سبيل الإطلاق، بل يقييد هذا.

ملذات ابو سعيد

لقد تواردتْ مُوجِباتُ الشَّرِيعَةِ عَلَى أَنَّ التَّحْلِيَّ بِمَحَاسِنِ الْأَدَابِ، وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَالْهَدْيِ الْحَسَنِ، وَالسَّمَّتِ الصَّالِحِ: سِمَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّ الْعِلْمَ. وَهُوَ أَثْمَنُ دُرْجَةً فِي تاجِ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ. لَا يَصِلُّ إِلَيْهِ إِلَّا مُتَحَلِّي بِأَدَابِهِ، مُتَخَلِّي عَنْ آفَاتِهِ، وَلَهُذَا عَنْهَا الْعُلَمَاءُ بِالْبَحْثِ وَالْتَّنبِيَّهِ، وَأَفْرَدُوهَا بِالْتَّأْلِيفِ، إِمَّا عَلَى وَجْهِ الْعُلُومِ لِكَافَةِ الْعُلُومِ، أَوْ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ: كَآدَابِ حَمْلَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَآدَابِ الْمُحَدَّثِ، وَآدَابِ الْمُفْتَقِيِّ، وَآدَابِ الْقَاضِيِّ، وَآدَابِ الْمُحْتَسِبِ، وَهَكُذا ..

والشأن هنا في الآداب العامةً من يسلكُ طريقَ التعلم الشرعي.

وقد كان العلماءُ السابقون يلقنونَ الطالبَ في حلقةِ العلمِ آدابَ الطلبِ وأدركَتْ خبرَ آخرِ العِقدِ في ذلكِ في بعضِ حلقاتِ العلمِ في المسجدِ النبويِّ الشريف؛ إذ كان بعضُ المُدرسيْنَ فيه، يُدرِّسُ طلابَه كتابَ الزرنوجيِّ (مِنْ سُنَّةٍ ٥٩٣هـ) رحمةَ اللهِ تعالى، المسمى: «تَعْلِيمُ الْمُتَعَلِّمِ طَرِيقُ التَّعْلِمِ»^(١).

فعمى أن يصل أهل العلم هذا الحبل الوشيق الهادى لأقوم طريق،
فيدرج تدريس هذه المادة في فواتح دروس المساجد، وفي مواد الدراسة النظامية
وأرجو أن يكون هذا التقييد فاتحة خير في التنبيه على إحياء هذه المادة التي
تهذب الطالب، وتسلك به الجادة في آداب الطلب وحمل العلم وأدبه مع نفسه،
ومع مدرسه، ودرسه، وزميله، وكتابه، وثمرة علمه، وهكذا في مراحل حياته.

فَإِلَيْكُ حَلْيَةٌ تَحْوِي مَجْمُوعَةً آدَابٍ، نَوَاقِضُهَا مَجْمُوعَةٌ آفَاتٍ، فَإِذَا فَاتَ
آدَبٌ مِنْهَا؛ اقْتَرَفَ الْمُفْرَطُ آفَةً مِنْ آفَاتِهِ، فَمَقْلُ وَمَسْتَكْثُرٌ، وَكَمَا أَنَّ هَذِهِ
الْآدَابَ دَرَجَاتٌ صَاعِدَةٌ إِلَى السُّنَّةِ فَالْوَجُوبُ؛ فَنَوَاقِضُهَا دَرَكَاتٌ هَابِطَةٌ إِلَى
الْكَرَاهَةِ فَالْتَّحْرِيمُ.

(١) طبع مراراً، وهو مع إفادته فيه ما يقتضي التبّه، فليعلم، والله أعلم.

الفصل الأول

آداب الطالب في نفسه

١. العلم عبادة^(١)

أصل الأصول في هذه «الحلية» بل ولكل أمر مطلوب: علّمك بأنّ العلم عبادة: قال بعض العلماء: «العلم صلاةُ السرّ، وعبادةُ القلب».

العلم عبادة لاشك، بل هو من أجل العبادات، وأفضل العبادات، حتى أن الله تعالى جعله في كتابه قسيماً للجهاد في سبيل الله، فقال تعالى: **﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لَسْفَرُوا كَافَةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلَيَنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعْلَمُ بَحْدُورُونَ﴾** (سورة التوبة: ١٢٢). «ليتَفَقَّهُوا» يعني بذلك الطائفة القائمة. وقال **الله، مَالِكُ الْمُلْكِ**: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(٢). فإذا رزق الله الفقه في دينه، فالفقه هنا يعني به العلم الشرعي، فيدخل فيه علم العقائد والتوحيد وغير ذلك، فإذا رأيت أن الله من عليك بهذا فاستبشر خيراً، لأن الله أراد بك خيراً.

وقال الإمام أحمد: العلم لا يُعَدُّه شيءٌ مُنْ صحت نيته. قالوا: وكيف تصح **الله يا أبا عبد الله؟** قال: ينوي رفع الجهل عن نفسه وعن غيره.

مذکور أبو شعیب

^(١) فتاوى ابن تيمية: (١٠/١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ٥٤٤٩)، و(١١/٣١٤)، و(١١/٥٤)، و(٢٠/٧٧)، و(٧٨/٧٧).

^(٢) رواه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧).

ومنها ما يشمل عمومَ الخلق من كل مكمل، ومنها ما يختصُّ به طالبُ العلم، ومنها ما يُدركُ بضرورة لشرع، ومنها ما يُعرف بالطبع، ويدلُّ عليه عمومُ الشرع؛ من الحigel على محسن الأداب، ومكارم الأخلاق، ولم أعن الاستيفاء، لكنَّ سياقتها تجري على سبيلِ ضرب المثال؛ قاصداً الدلالة على المهمات، فإذا وافقتْ نفساً صالحةً لها؛ تناولت هذا القليلَ فَكَثُرَتْهُ، وهذا المجملُ فَقَصَّلَتْهُ، ومن أخذ بها انتفعَ ونفع، وهي بدورها مأخذٌ من أدب من بارك الله في علمِهم وصاروا أئمَّةً يُهتَدَى بهم، جمَعُنا الله بهم في جَنَّتِهِ آمين^(١)

بكر بن عبد الله أبو زيد

في ١٤٠٨/٨/٥ هـ

مذکور أبو شعیب

(١) من هذه الكتب: «الجامع» للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى، و«الفقيه والمتفقه» له، و«تعليم المتعلم» طريق التعلم» للزرنوجي، و«آداب الطلب» للشوكاني، و«أخلاق العلماء» للأجري، و«آداب المتعلمين» لحسنون، و«الرسالة المفصلة لأحكام المتعلمين» للقابسي، و«تذكرة السامع والمتكلّم» لابن جماعة، و«الحث على طلب العلم» للعسكري، و«فضل علم السلف على الخلف» لابن رجب، و«جامع بيان العلم» لابن عبد البر، و«العلم، فضله وطلبه» للأمين الحاج، و«فضل العلم» لمحمد رسلان، و«مفتاح دار السعادة» لابن القيم، و«شرح الأحياء» للزبيدي، و«جوواهر العقدين» للسمهودي، و«آداب العلماء والمتعلمين» للحسين بن منصور - منتخب من الذي قبله - و«قانون التأويل» لابن العربي، و«العزلة» للخطابي، و«من أخلاق العلماء» لمحمد سليمان، و«مناجي العلماء» لفاروق السامرائي، و«التعليم والإرشاد» لبدر الدين الحلبي، و«الذخيرة» للقرافي، الجزء الأول، والأول من «المجموع» للنوي، و«تشحيد الهمم إلى العلم» لمحمد بن إبراهيم الشيباني، و«رسائل الإصلاح» لمحمد الخضر حسين، و«آثار محمد البشير الإبراهيمي». وغيرها كثير أجزل الله الأجر للجميع - آمين - .

وقد بدأ سماحة الشيخ محمد بن عثيمين شرح هذا الكتاب في ١٤١٥/٧/٢٢ هـ.

وعليه؛ فالالتزام التخلص من كل ما يشوب نيتك في صدق الطلب؛ كحب الظهور، والتتفوق على الأقران، وجعله سلماً لأغراض وأعراض؛ من جاه، أو مال، أو تعظيم، أو سمعة، أو طلب محمد، أو صرف وجوه الناس إليك؛ فإن هذه وأمثالها إذا شابت النية؛ أفسدتها، وذهبت بركرة العلم، ولهذا يتعين عليك أن تحمي نيتك من شوب الإرادة لغير الله تعالى، بل وتحمي الحمى.

ما قاله صحيح. حماية النية من هذه المقاصد السيئة فهو صحيح، ومن طلب علماً وهو ما يتعين به وجه الله لا يرد إلا أن ينال به عرضًا من الدنيا لم يجد رائحة الجنة، إلّا الله العافية، ثم إن هذه المحمدة والجاه والتعظيم وصرف وجوه الناس إليك، سببده إن حصلت العلم حتى وإن كانت نيتك سليمة فهو أقرب إلى حصول هذا لك.

وللعلماء في هذا أقوالٌ وموافقٌ بَيَّنَتْ طرفاً منها في البحث الأول من كتاب «التعاليم»، ويزاد عليه نهيُّ العلماء عن «الطبوليات»، وهي المسائل التي يراد بها الشهرة. وقد قيل: «زَلَّةُ الْعَالَمِ مَضْرُوبٌ لَهَا الطَّبْلُ»^(١).

وعن سفيان رحمه الله تعالى. أنه قال: «كُنْتُ أُوتَيْتُ فَهْمَ الْقُرْآنِ، فَلَمَّا قَبَلْتُ الصَّرَّةَ، سُلِّيَّتْ»^(٢).

الطبوليات، المسائل التي يراد بها الشهرة، لماذا سُمِّيت طبولييات؟ لأنها مثل العزز لها صوت ورنين، فهذا إذا جاء بمسألة غريبة عن الناس واشتهرت عنه كأنها صوت العطبل، وهذه يسمونها: الطبولييات، ولم أسمع بهذا ولكن وجهاً واضح.

(١) «الصوارم والاسنة» لأبي مدين الشنقيطي السلفي رحمه الله تعالى. وانظر: «شرح الإحياء»، وعنه «الدور الأجداد»: (ص ٢٦٣).

(٢) «الذكرة السابعة والكلام»: (ص ١٩).

وعليه؛ فإن شرط العبادة:

١. إخلاص النية لله سبحانه وتعالى؛ لقوله: **﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا يَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينَ حَفَّاءَ﴾** (سورة البينة: ٥). الآية.

وفي الحديث الفرد المشهور عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رض أن النبي ص قال: **«إِنَّمَا الْأَعْمَالَ بِالنِّيَاتِ ..»** الحديث.

فإن فقدَ الْعِلْمُ إِخْلَاصَ النِّيَةِ؛ انتقل من أفضَلِ الطاعاتِ إِلَى أَحْمَدَ الْمُخَالَفَاتِ، ولا شيءٌ يُحَطِّمُ الْعِلْمَ مُثُلُّ الْرِّيَاءِ؛ رِيَاءُ شَرْكٍ، أو رِيَاءُ إِخْلَاصٍ^(١)، ومثُلُّ التَّسْمِيعِ؛ بِأَنَّ يَقُولُ مُسْمِعًا: عَلِمْتُ وَحْفَظْتُ ..

إذا قال قائل: بما يكون الإخلاص في طلب العلم؟ يكون في أمور:

الأمر الأول - أن تنوي بذلك امتدال أمر الله، لأن الله تعالى أمر بذلك فقال: **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾** (سورة محمد: ١٩). يحث سبحانه وتعالى على العلم، والاحت على الشيء يستلزم محبته والرضا به والأمر به.

الأمر الثاني - أن تنوي بذلك حفظ شريعة الله، لأن حفظ شريعة الله يكون بالتعلم ويكون بالحفظ في الصدور، ويكون كذلك بالكتابة، كتابة الكتب.

والثالث - أن تنوي بذلك حماية الشريعة والدفاع عنها، لأنه لولا العلماء ما ضمنت الشريعة ولا دافع عنها أحد، لهذا نجد شيخ الإسلام وغيره من أهل العلم الذين تصدوا لأهل البدع، وبيّنوا ضلال بدعهم، نجدهم حصلوا على خير كثير.

والرابع - أن تنوي بذلك اتباع شريعة محمد صلوات الله عليه وأنك لا يمكن أن تتبع شريعة حتى تعلم هذه الشريعة.

(١) «الذخيرة» للقرافي: (٤٥/١). وفيه: «وَحْقِيقَةُ الرِّيَاءِ: أَنْ يَعْمَلَ الطَّاعَةُ لِلَّهِ وَلِلنَّاسِ، وَيُسَمَّىُ: رِيَاءُ الشَّرْكِ، أَوْ لِلنَّاسِ خَاصَّةً، وَيُسَمَّىُ: رِيَاءُ الْإِخْلَاصِ وَكَلَاهُمَا يُصِيرُ الطَّاعَةُ مَعْصِيَةً» انتهى. وانظر بحثاً في «تَهْذِيبُ الْأَثَارِ» للطبراني: «٢/٢» (١٢٢-١٢١) طبع في مطابع الصفا عكا.

وعن عمر بن درانه قال لوالده: يا أبي! مالك إذ وعذت الناس أخذهم البكاء، وإذا وعذتهم غيرك لا يبكون؟ فقال: يا بني! ليست النائحة التكلى مثل النائحة المستأجرة^(١).

﴿٢٥﴾

هذا مثل عظيم، النائحة التكلى التي فقدت ولدها هذه تبكي بكاءً من القلب، والنائحة المستأجرة ما يؤثر نوحها ولا بكاؤها، لأنها تصطنع البكاء، ولكن مثل هذا أعلم الذي يرد عن السلف يجب أن نحسن الظن بهم وأنهم لا يريدون بذلك مدحهم، وإنما يريدون بذلك حث الناس على إخلاص النية والبعد عن الرياء وما أشبه ذلك، إلا لكان هذا تزكية للنفس واضحة، والله عز وجل يقول: **﴿فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ﴾** (﴿وَلَا أَعْلَمُ بِمَن أَنْقَى﴾) (سورة التجم: ٣٢). لكن السلف رحمهم الله لعلمنا بمقامهم، أعلمهم يجب أن نحمل ما ورد عنهم مما يحتمل هذا المعنى الفاسد لتحمله على المنهى الصحيح.

«الصرة»: يعني من السلطان، لما أعطاه سلب فهم القرآن، وهؤلاء هم الذين يدركون الأمور، ولهذا يتحرز السلف من عطايا السلطان. يقولون: إنهم لا يعطوننا إلا ليشتروا ديننا بدنياهم، فتجدهم لا يقبلونه، ثم إنهم - السلاطين - فيما سبق قد تكون أموالهم مأخوذة من غير حلها، فيتورعون عنها أيضاً من هذه الناحية.

ومن المعلوم أنه لا يجوز للعالم أن يقبل هدية السلطان، إذا كان السلطان يريد أن تكون هذه العطية مطية له يركبها متى يشاء بالنسبة لهذا العالم، أما إذا كانت أموال السلطان نزية، ولم يكن يقبل الهدية منه لبيع دينه بها فقد قال النبي ﷺ لعمر : **«مَا جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائله فخذه وما لا فلاتتبعه نفسك»**^(٢). وغرض سفيان رحمه الله^(٢) من ذلك التحذير من هذا وتبكيت نفسه على ما سبق.

فاستمسك. رحيمك الله تعالى. بالعروة الوثقى العاصمة من هذه الشوائب: بأن تكون مع بذل الجهد في الإخلاص. شديد الخوف من نواضجه، عظيم الافتقار والالتجاء إليه سبحانه. ويؤثر عن سفيان بن سعيد الثوري. رحمه الله تعالى. قوله: «ما عالجت شيئاً أشد على من نيتني».

الإخلاص شديد، لذلك فإنه من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه فإنه يدخل الجنة وهو أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ.

مذكرة أبو سعيد

مذكرة أبو سعيد

(١) رواه النسائي (٤: ٢٦٠).

(٢) شيخ الإسلام وسيد الحفاظ أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري، علم من أعلام السنة، ولد في سنة ٩٧ وتوفي سنة ١٦١ هـ. «تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٣».

وفَقَكَ اللَّهُ لِرِشْدِكَ آمِينَ.

٢. الخَصْلَةُ الْجَامِعَةُ لِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: «مَحْبَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَمَحْبَةُ رَسُولِهِ ﷺ، وَتَحْقِيقُهَا بِتَمْحُضِ الْمَتَابِعَةِ وَقَفْوِ الْأَثْرِ لِلْمَعْصُومِ». قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمْ يَكُنْ تَحْبُونَ اللَّهَ فَاتَّعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (سورة آل عمران: ٣١).

لَا شَكَّ أَنَّ الْمَحْبَةَ لَهَا أَثْرٌ عَظِيمٌ فِي الدِّفْعِ وَالْمَنْعِ، إِذَاً أَنَّ الْمَحْبَ يَسْعَى إِلَيْهِ جَهَدَهُ فِي الْوُصُولِ إِلَى مَحْبُوبِهِ، فَيَطْلَبُ مَا يَرْضِيهِ وَمَا يَقْرِبُهُ مِنْهُ، وَيَسْعَى إِلَيْهِ جَهَدَهُ لِاجْتِنَابِ مَا يَعْضُدُ مَحْبُوبِهِ، وَيَسْتَعْدِدُ عَنْهُ. وَلِهَذَا ذَكَرَ ابْنُ الْقَيْمِ فِي «رَوْضَةِ الْمُحِبِّينَ»: أَنَّ كُلَّ الْحَرْكَاتِ مُبْنِيَّةُ عَلَى الْمَحْبَةِ. كُلُّ حَرْكَاتِ الْإِنْسَانِ، وَهَذَا صَحِيحٌ لِأَنَّ الْإِرَادَةَ لَا تَقْعُدُ مِنْ شَخْصٍ عَاقِلٍ إِلَّا لِشَيْءٍ يَرْجُو نَفْعَهُ أَوْ لِشَيْءٍ يَدْفَعُ ضَرَرَهُ. وَكُلُّ إِنْسَانٍ يَحْبُّ مَا يَنْفَعُهُ، وَيَكْرِهُ مَا يَضُرُّهُ. فَالْمَحْبَةُ فِي الْوَاقِعِ هِيَ الْقَائِدَةُ وَالسَّائِقُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَقْوِيدُ الْإِنْسَانِ وَتَسْوِيقُهُ، وَانْظُرْ إِلَى الَّذِينَ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، قَالَ اللَّهُ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ (سورة محمد: ٩). كَانَتْ نِتْيَجَتُهُمُ الْكُفَرُ، لِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، فَالْمَحْبَةُ كَمَا قَالَ الشَّيْخُ: الْجَامِعَةُ لِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

أَمَّا مَحْبَةُ الرَّسُولِ ﷺ فَإِنَّهَا تَحْمِلُكَ عَلَى مَتَابِعَتِهِ ظَاهِرًا وَبِاطِنًا لِأَنَّ الْحَبِيبَ يَقْلِدُ مَحْبُوبَهِ حَتَّى فِي أَمْوَالِ الدُّنْيَا، تَجْدِهِ مَثَلًاً يَقْلِدُهُ فِي الْلِّبَاسِ . . . فِي الْكَلَامِ، حَتَّى فِي الْأَلْخَطِ. نَحْنُ نَذَكِرُ بَعْضَ الْطَّلَبَةِ زَمَانَنَا كَانُوا يَقْلِدُونَ الشَّيْخَ عَبْدَ الرَّحْمَنَ بْنَ سَعْدِيَ فِي خَطِّهِ، رَغْمَ أَنَّ خَطَّهُ - رَحْمَهُ اللَّهُ - ضَعِيفٌ، مَا تَقْدِرُ تَقْرَأُهُ، لَكِنَّ مَنْ شَدَّدَ مَحْبَتَهُ لَهُ قَلْدَوْهُ، فَإِلَيْهِ إِنْسَانٌ كُلُّمَا أَحْبَبَ شَخْصًا حَاوَلَ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُ فِي خَصَالِهِ.

فَإِنْ أَحْبَبْتَ النَّبِيَّ ﷺ فَإِنَّهُ مَحْبَةٌ سُوفَ تَقْوِيدُكَ إِلَى اتِّبَاعِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

ثُمَّ ذَكَرَ الْأَيَةُ الَّتِي يَسْمِيُهَا عُلَمَاءُ السَّلْفَ آيَةَ الْمَحْنَةِ، يَعْنِي الْامْتِحَانَ، لِأَنَّ قَوْمًا ادْعَوْا أَنَّهُمْ يَحْبُّونَ اللَّهَ فَقَالَ اللَّهُ: ﴿فَلَمْ يَكُنْ تَحْبُونَ اللَّهَ فَاتَّعُونِي﴾ (سُورَةُ آلِ عُمَرَ: ٣١).

أَيْنَ الْجَوَابُ؟ الْجَوَابُ الْمُتَوقَّعُ: فَاتَّعُونِي تَصْدِقُوا فِي دُعَائِكُمْ. لِأَنَّ الْأَنَّ الشَّرْطُ الْمُشْرُطُ: إِنْ كُنْتُمْ تَحْبُّونَ اللَّهَ فَاتَّعُونِي تَصْدِقُوا فِي دُعَائِكُمْ، لَكُنْ جَاءَ الْجَوَابُ: فَاتَّعُونِي يَحْبِبُكُمُ اللَّهُ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الشَّأْنَ كُلَّ الشَّأْنِ أَنْ يَحْبِبَ اللَّهُ، هَذَا هُوَ الْشَّمْرَةُ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ. لَا أَنْ تَحْبُّ اللَّهَ، لَا كُلُّ إِنْسَانٍ يَدْعُونَ ذَلِكَ وَرَبِّيَا يَكُونُ فَلَاهُرُكَ مَحْبَةُ اللَّهِ، لَكُنْ فِي قَلْبِكَ شَيْءٌ، لَا يَقْتَضِي أَنَّ اللَّهَ يَحْبُّكَ، فَبَقِيَ غَيْرُ حَاصلٍ عَلَى الْشَّمْرَةِ.

وَبِالْجَمْلَةِ: فَهَذَا أَصْلُ هَذِهِ «الْحِلْيَةِ»، وَيَقْعُدُ مِنْهَا مَوْقِعُ التَّاجِ مِنَ الْحَلَةِ.

فِيَا أَيُّهَا الطَّلَّابُ! هَا أَنْتُمْ هُؤُلَاءِ تَرِيَعُتُمْ لِلْدُرْسِ، وَتَعْلَقُتُمْ بِأَنْفَسِ عَلَقِ (طَلَبِ) الْعِلْمِ؛ فَأَوْصِيَكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي السُّرِّ وَالْعُلَانِيَةِ؛ فَهِيَ الْعُدْدَةُ وَهِيَ مَهْبِطُ الْفَضَائِلِ، وَمَتَنَزَّلُ الْمُحَمَّدِ، وَهِيَ مَبْعُثُ الْقُوَّةِ، وَمِرْجَاجُ السُّمُومِ، وَالْبَرَاطُ الْوَثِيقُ عَلَى الْقُلُوبِ عَنِ الْفِتْنَةِ؛ فَلَا تُقْرَطُوا.

صَدَقَ - رَحْمَهُ اللَّهُ وَعَفَا عَنْهُ - وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَقْوُا اللَّهَ يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ (سُورَةُ الْأَنْفَالِ: ٢٩). تَفَرَّقُونَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبَيْنَ الْفَضَارِ وَالنَّافِعِ، وَبَيْنَ الْطَّاعَةِ وَالْمُعْصِيَةِ، وَبَيْنَ أُولَيَاءِ اللَّهِ وَأَعْدَاءِ اللَّهِ . . . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ وَتَارَةٍ يَحْصُلُ هَذَا الْفَرْقَانُ بِوَسِيلَةِ الْعِلْمِ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنَ الْعِلُومِ وَيُسِّرُ لَهُ تَحْصِيلَهَا أَكْثَرَ مِنْ لَا يَتَقَيَّ اللَّهُ، وَتَارَةٍ يَحْصُلُ لَهُ هَذَا الْفَرْقَانُ بِمَا يَلْقَيْهِ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْفَرَاسَةِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ يَكُنْ فِيْكُمْ مُحَدِّثُونَ فَعُمْرٌ»^(١). فَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ لِمَنْ اتَّقَاهُ فَرَاسَةً يَتَفَرَّسُ بِهَا، فَتَكُونُ مَوْافِقًا لِلصَّوَابِ.

(١) رواه البخاري (٣٦٨٩). ومسلم (٢٣٩٨).

فقوله: **«يَعْلَمُ لَكُمْ فِرْقَانٌ»** يشمل الفرقان بوسائل العلم والتعلم، والفرقان بوسائل الفراسة والإلهام أن الله تعالى يلهم الإنسان التقى ما لا يلهم غيره، وربما يظهر لك هذا في مجرىك في طلب العلم، تمر بك أيام تجذب قلبك خاشعاً منيماً إلى الله، مقبلاً عليه، متقياً له فيفتح الله عليك مفاتيح معالم كثيرة ويربك أيام غفلة ينفك قلبك، وكل هذا تحقيق لقول الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَقْرَأُوا اللَّهُ يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتُكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ﴾** (سورة الأنفال: ٢٩). إذا غفر الله للعبد أيضاً فتح عليه أبواب المعرفة قال تعالى: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ إِنَّمَا أَرَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِ حَمِيمًا﴾** (١٠٥) **﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾** (سورة النساء: ١٠٥-١٠٦). ولهذا قال بعض العلماء: ينبغي للإنسان إذا أستغنى أن يقدم استغفار الله حتى يبين له الحق. لأنه قال: **«الْحَكْمُ﴾**. ثم قال: **«إِنَّمَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ﴾**

٢. كُنْ عَلَى جَادَةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ

كُنْ سَلَفِيًّا على الجادة: طريق السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم، فَمَنْ بَعْدَهُمْ مَمْنَ قَفَأُوا إِلَيْهِمْ فِي جَمِيعِ أَبْوَابِ الدِّينِ: مِنَ التَّوْحِيدِ، وَالْعِبَادَاتِ، وَنَحْوُهَا، مُتَمَيِّزًا بِالْتَّزَامِ أَثَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَوْظِيفِ السُّنْنَ عَلَى نَفْسِكَ، وَتَرْكِ الْجَدَالِ، وَالْمَرَاءِ، وَالْخُوضِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ، وَمَا يَجْلِبُ الْأَثَامَ، وَيَصُدُّ عَنِ الشَّرِّ.

هذا من أهم ما يكون، أن الإنسان يكون على طريقة السلف الصالح في جميع أبواب الدين، من التوحيد والعبادات والمعاملات وغيرها، كذلك يترك الجدال والمراء، لأن الجدال والمراء هو الباب الذي يغلق طريق الصواب، فإن الجدال والمراء يحمل المرأة على أن يتكلم وينتصر لنفسه فقط، حتى لو بان له الحق تجده: إما أن ينكره، وإما أن يزوله على وجه مستكره انتصاراً لنفسه وإرغاماً لخصمه على الأخذ بقوله، فإذا رأيت من أخيك جدال ومراء، بحيث يكون الحق واضحاً ولكنه لم يتبعه ففر منه فرارك من

الأسد. وقل: ليس عندي إلا هذا، اتركه وكذلك الخوض في علم الكلام مضيعة الوقت، لأنه يخوض في أشياء من أوضح الأشياء، مرّ علىّ اليوم في دراسة بعض الطلبة. يقول: ما هو العقل؟

عرفه لي لغة واصطلاحاً وعرفاً وشرعًا! هذا ما له تعريف، لكن علم الكلام أدخل علينا الأشياء هذه، يجد الواحد مرة: إيش العقل هذا؟ سبحان الله!!

الظاهر أن الذي يقعد يفكّر في تعريف العقل صار مجذوناً لأن هذا أمر واضح ما يحتاج إلى تعريف، لكن هؤلاء - أهل الكلام - صدوا الناس عن الحق وعن المنهج السلفي البسيط بما يوردونه من الشبهات والتعريفات والحدود وغيرها. وانظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمة الله - في الرد على المنطقيين، يتبيّن لك الأمر، أو في «نفس المنطق» وهو مختصر وأوضح لطالب العلم، يتبيّن لك ما هم عليه من الفساد. ما الذي حمل علماء جهابذة على أن يسلكوا باب التأويل في باب الصفات؟ إلا علم الكلام. لو كان كذا لكان كذا، لو كان مستوًى على العرش حقيقة لزم أن يكون محدوداً لماذا؟ لأن العرش محدود، لو كان يُرى لزم أن يكون في جهة، ولو كان في جهة لكان جسمًا وهم جرّة .. يعطونك من هذا الكلام الذي يضيعك، وهم يظنون أنهم يهدونك سواء السبيل.

فإذاً من المهم لطالب العلم أن يترك الجدال والمراء، وأن يترك ما يرد على ذهنه من الإيرادات، اترك هذه الأشياء، لا تتنطع، اجعل علمك سهلاً ميسراً. يعني الأعرابي يأتي بعيده يسأل النبي ﷺ عن مسائل الدين، ثم ينصرف بدون مشقة، لأنه ليس عنده إلا التصديق أما المناقشات والمراء والجدال، فهذا يضر الإنسان، الشيخ أبو بكر جزاء الله خيراً ألح إلى هذا الأمر، وما يجلب الأثام ويصد عن الشع.

الثاني - قسم **نَفَاهُ** العقل، فيجب علينا نفيه دون تردد لأن العقل نفاه، ولكن

عقل من؟! قال الإمام مالك رحمه الله: ليت شعري بأي عقل تنكر الكتاب والستة أو ما كلما جاءنا رجل أجدل من رجل أخذنا بقوله وتركتنا من أجله الكتاب والستة هذا لا يمكن.

الثالث - قسم لم يرد العقل بنفيه ولا بإثباته، فمن قال: إن شرط الإثبات دلالة العقل. قال: يُرد، لأن العقل لم يثبته، ومن قال: إن من شرط قبوله أن لا يرده العقل. قال: يُقبل. وأكثرهم يقول: إنه يرد ولا يقبل، لأن من شرط إثباته أن يدل عليه العقل.

وبعضهم يتوقف. قالوا: إذا لم يثبته العقل ولم ينفيه، فالواجب علينا أن نتوقف وكل هذه قواعد ما أنزل الله بها من سلطان، ضلوا بها وأضلوا والعياذ بالله، وارتكوا بها وشكروا وتحمروا، لذلك أكثر الناس شكًا عند الموت هم أهل الكلام. يتربدون: هل الله جوهر أم عَرَض؟ هل هو قائم بنفسه أو بغيره؟ هل يفعل أم لا يفعل؟ هكذا .. عند الموت فيموت وهو شاكٌ. نسأل الله السلامة والعافية لكن إذا كان الطريق، طريق السلف الصالح سهل عليه الأمر ولم يرد على قلبه شك ولا تشكيك ولا تردد.

قال الذهبي رحمه الله تعالى^(١): (وصح عن الدارقطني أنه قال: ما شيء أبغض إلى من علم الكلام. قلت: لم يدخل الرجل أبداً في علم الكلام ولا الجدل، ولا خاض في ذلك، بل كان سلفياً) أ.ه.

يعرضه مع أنه لم يدخل فيه، لكن لما له من مسالب وأثار سيئة، وتطويل بلا فائدة وتشكيك لما هو متيقن، وإرباك للأفكار، وهجر للآثار، ولهذا ليس شيء فيما أرى أضر على المسلمين في عقائدهم من علم الكلام والمنطق، وكثير من علماء الكلام الكبار أقروا في آخر حياتهم أنهم على دين العجائز ورجعوا إلى الفطرة الأولى، لما علموا من علم الكلام.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في «الفتوى الحموية»: وأكثر من يخاف عليهم الضلال، هم المتوسطون من علماء الكلام، لأن من لم يدخل فيه فهو في عافية منه، ومن دخل فيه وعرف غايته فقد عرف بطلانه وفساده ورجع. أ.ه.

وصدق رحمه الله، وهذا هو الذي يخاف في كل علم، يخاف من الأنصاف الذين ما عرفوا الطريق لأنهم لم يروا أنفسهم أنهم لم يدخلوا في العلم فيترکوه لغيرهم، ولم يبلغوا غاية العلم والرسوخ فيه فيصلون ويصلون.

لكن علم الكلام خطير لأنه يتعلّق بصفات الرب وذاته ولأنه يبطل النصوص تماماً ويحكم العقل، ولهذا كان من قواعدهم: أن ما جاء في النصوص من صفات الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول - قسم أقره العقل، فهذا نقره بدلالة العقل لا بدلالة السمع.

(١) «السير»: (٤٥٧/١٦).

وهؤلاء هم (أهل السنة والجماعة)، المُتَّبعُون آثارَ رسولِ الله ﷺ، وهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ^(١) «أهلُ السنة: نقاوةُ المسلمين، وهم خيرُ الناس للناس» أهـ.

فالزمُ السُّبْل، **وَلَا تَبْغُوا السُّبْل فَتَفَرَّقُ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ** (سورة الانعام: ١٥٣).

٢٥

أعلم أن من المتأخرین من قال: إن أهل السنة ينقسمون إلى قسمین: مفهومه ومسؤوله، وجعلوا الأشاعرة^(٢) والماتريدية^(٣). وأشباههم من أهل السنة وجعلوا المفهومة هم السلف، فأخذُوا في فهم السلف وفي منهجهم. لأن السلف لا يفهومون المعنى إطلاقاً، بل قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن القول بالتفويض من شر أقوال أهل البدع، والإلحاد، واستدل بذلك بأننا إذا كنا لا ندرِّي معانِي ما أخبرَ الله به عن نفسه من أسماء وصفات، جاءنا الفلاسفة وقالوا: أنتْ جهال، نحنُ الذين عندنا العلم، ثم تكلموا بما يريدون، وقالوا: إن المراد بالنص كذا وكذا. ومعلوم أن معنى للنص خيرٌ من التوقف فيه وأنه ليس له معنى. فانتبهوا لهذا، لأن بعض الناس يرى أن أهل السنة والجماعة يدخلُ فيهم المتكلمون من الأشاعرة والماتريدية وغيرهم.

(١) منهاج السنة: (٥/١٥٨)، طبعة جامعة الإمام.

(٢) ينسب الأشاعرة إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري البصري، وكان معتزلياً فرجع عن الاعتزال ورداً على المعتزلة وبين تناقضهم، ومن مذهبهم: أن الواجبات كلها سمعية، وأن العقل لا يوجب شيئاً، وأن الله صفات أزلية قائمة بذاته تعالى، دلت أفعاله عليها، لا يمكن جدتها ككونه تعالى عالم بعلم، قادر بقدرة، حي بحياة.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني: (١١٤/١).

(٣) نسبة إلى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي الحنفي، من أئمة علماء الكلام، نسبته إلى «ماتريد» وهي محلة بسميرقند، ومن تصانيفه: التوحيد، وأوهام المعتزلة، والرد على القرامطة وقد خالف أبو منصور الماتريدي أبي الحسن الأشعري في بعض الأصول: كمسألة التكوين، ومسألة الاستثناء في الإيمان، ومسألة إعان المقلد.

انظر: «مجموع الفتاوى»: (٢/٢٦٣، ٣٦٢/٢، ٥٠٤، ٥١٠).

ثم يقول - من العجب العجاب - أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم. سبحان الله !! وكيف تكون طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم وهل يمكن أن تكون أعلم وأحكم وليس أسلم؟ بل يلزم من كون طريقة السلف أعلم وأحكم أن تكون أسلم بلاشك. لأن شخصاً يقول: إن هذا النص له معنى وأنا أؤمن به، أعلم بلاشك وأحكم من شخص يقول: لا أدرى. فلا سلامَة إلا بالعلم والحكمة. فهذا تناقض عظيم، ولهذا كان القول الصحيح في هذه العبارة: أن طريقة السلف أعلم وأسلم وأحكم.

ويلزم من كوننا نحث الطلبة على منهج السلف، يلزم من ذلك تحريرضمهم على معرفة منهج السلف، فطالع الكتب المؤلفة في ذلك كسير أعلام النبلاء وغيرها حتى نعرف طريقهم، ونسلك هذا المنهج القويم.

٣

٣. ملامة خشية الله تعالى:

التحلي بعمارة الظاهر والباطن بخشية الله تعالى؛ مُحافظاً على شعائر الإسلام، واظهار السنة ونشرها بالعمل بها والدعوة إليها؛ دالاً على الله بعلمه وسمْتِكِ وعملكِ، متحلياً بالرجولة، والمساهمة، والسمّتِ الصالح. وملاك ذلك خشية الله تعالى، ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «أصلُ العلم خشية الله تعالى».

وهذا الذي قاله الإمام أحمد صحيح: أصل العلم خشية الله، وخشية الله هي الخوف من الله المبني على العلم والتعظيم، ولهذا قال الله تعالى: **«إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**» (سورة فاطر: ٢٨). فالإنسان إذا علم الله حق العلم وعرفه حق المعرفة، فتجده يقوم بطاعة الله عزَّ وجلَّ في قلبه أتم قيام. **«إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**»

عمل بعلمه هو الذي يصدق عليه أنه عالم رباني، لأنّه يربّي نفسه أولاً، وغيره ثانياً،
هتّف العلم...) إذا لابد من العمل، لأنّه إذا لم يعمل بعلمه صار من أول ما تسرّع
فيهم النار يوم القيام.

وعالمٍ يعلمُه لِمَ يَعْمَلُ مُعذِّبٌ مِّنْ قَبْلِ عَبْدِ الْوَهْنِ

هذه واحدة، إذا لم يعلم بعلمه أورث الفشل في العلم وعدم البركة والنسيان
فَمَا نَقْضُهُمْ مِنْ تَقْرِيمٍ لِعَنْهُمْ وَجَعَلْنَا قَلْبَهُمْ فَاسِيَّةً يَحْرُفُونَ الْكَلْمَ عنْ مَوْضِعِهِ

سُوا حَظًّا مِمَّا ذَكَرُوا بِهِ (سورة المائدة: ١٣). وهذا النسيان يشمل النسيان الذهني والعملي، قد يكون بمعنى ينسونه دينياً، أو بمعنى ينسونه لأن النسيان في اللغة العربية يطلق بمعنى الترك، أما إذا عمل الإنسان بعلمه فإن الله تعالى يزيده هدى. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهتَدُوا زَادُهُمْ هُدًى﴾ (سورة محمد: ١٧). ويزيده تقوى، ولهذا قال: «أتاهم تقواهم» إذا عمل بعلمه ورثه الله علم ما لم يعلم ولهذا روى عن علي بن أبي طالب أنه قال: هتف العلم بالعمل فإن أجباهه وإن ارتحل. وتروى هذه اللفظة: العلم يهتف بالعمل - يعني يدعوه - فإن أجبابه وإن ارتحل. وهذا واضح لأنك إذا هملت بالعلم تذكره كلما عملت.

وأضرب مثلاً: رجل عرف صفة الصلاة من السنة وصار يعمل بها كلما صلى
ل ينسى ما علم؟ لا ينسى، لأنّه تكرر. لكن لو ترك العمل به نسي. وهذا دليل
مخصوص على أن العمل بالعلم يوجب ثبات العلم.

٤- دوام المراقبة:

التحلّي بدوام المراقبة لله تعالى في السر والعلن؛ سائراً إلى ربك بين الخوف والرّحاء؛ فانه ما للمسلم كالجناحين للطائر. فاقبّل على الله بكلّيتك،

والفرق بين الخشية والخوف: أن الخشية تكون من عظم المخشي، والخوف من ضعف الخائف، وإن لم يكن المخوف عظيماً، لذلك يخاف الصبي من فتى أكبر منه فليلاً.

والحاصل: أن الخشية أعظم من الخوف ، ولكن قد يقال: خاف الله . ﴿فَلَا تَخافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٧٥). وهنا في مقابلة فعل هؤلاء الذين يخافون من الناس .

فالزم خشية الله في السر والعلن؛ فإن خير البرية من يخشى الله تعالى،
وما يخشاه إلا عالم، إذن فخير البرية هو العالم، ولا يغب عن يالك أن العالم لا
يعد على إلا إذا كان عاملًا، ولا يعمل العالم بعلمه إلا إذا لزمته خشية الله.

وأسنَدَ الخطيبُ البغداديُّ رحْمَةَ اللهِ تَعَالَى - بِسَنَدٍ فِيهِ لَطِيفَةٌ إِسْنَادِيَّةٌ
بِرَوَايَةِ آبَاءِ تَسْعَةٍ، فَقَالَ^(١) : أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَرَجِ عَبْدُ الْوَهَابِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ
الْحَارِثِ بْنِ أَسَدِ الْلَّيْثِ بْنِ سُلَيْمَانِ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَفِيَّانِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَكِيْنَةِ بْنِ
عَبْدِ اللهِ التَّمِيمِيِّ مِنْ حَفْظِهِ : قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : سَمِعْتُ
أَبِي يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ :
يَقُولُ : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ يَقُولُ : هَنَّفَ الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ، وَلَا
يَنْتَهِ أَهْمَهُ مِنْ أَنْ يَخْفُى - رَحْمَةَ اللهِ تَعَالَى - .

2

قوله: «لا يعد عالماً» يعني عالماً ربانياً، وأما كونه عالم ضد الجاهل، فهذا يقال أن الذي ألغَ «المتجد» رجل نصراني وفيه من معرفة اللغة العربية الشيء الكثير، وإن كان فيه غلطات كثيرة وأشياء تؤخذ عليه من الناحية الدينية، لكن العالم الذي

(١) «الجامع» للخطيب، و«ذم من لا يعمل بعلمه»: (رقم ١٥) لابن عساكر. وراجع لإسناده: «السان المزآن»: (٤/٢٦-٢٧) للحافظ ابن حجر.

إن الشباب والفراع والجدة *** مفسدة للمرأة أي مفسدة
والذی أرى: أن الإنسان يجب أن يعامل حاله بما يقتضيه الحال وأن أقرب الأقوال
في ذلك أنه: إذا عمل خيراً فیغلب جانب الرجاء، فإذا هم بسيئة فليغلب جانب
الخوف. هذا أحسن ما أراه في هذه المسألة الخطيرة العظيمة.

إذا قال قائل: تغلب جانب الرجاء هل يجب أن يكون مبنياً على سبب صالح
للرجاء، أو يكون رجاء المفسين. الإجابة: الأول.

إنسان مثلاً يعصي الله دائمًا وأبدًا ويقول: رحمة الله واسعة. هذا غلط، لأن
إحسان الظن بالله ورجاء الله لابد أن يكون هناك سببًا يبني على الرجاء وإحسان
الظن. إلا كان مجرد أمنية، والتمني كما يقول عامة أهل نجد: التمني رأس
مال المفاسد.

٥. خَفْضُ الْجَنَاحِ وَنَبْذُ الْخَيْلَاءِ وَالْكَبْرِيَاءِ:

تَحَلُّ بِآدَابِ النَّفْسِ؛ مِنَ الْعَفَافِ، وَالْحَلْمِ، وَالصَّبْرِ، وَالتَّوَاضُعِ لِلْحَقِّ، وَسَكُونِ
الْطَّائِرِ؛ مِنَ الْوَقَارِ، وَالرِّزَانَةِ، وَخَفْضِ الْجَنَاحِ؛ مُتَحَمِّلًا ذُلُّ التَّعْلُمِ لِعَزَّةِ الْعِلْمِ،
ذَلِيلًا لِلْحَقِّ.

قوله: «تحل بآداب النفس...» لأن المقام يقتضي هكذا أن يكون عند طالب
العلم عفة عما في أيدي الناس، وعفة عما يتعلق بالنظر المحرم، وحلم لا يعجل
بالعقوبة إذا أساء إليه أحد، وصبر على ما يحصل من الأذى مما يسمعه إما من
عامة الناس وإما من أقرانه وإما من معلمه فليصبر وليحتسب، والتواضع للحق
وكذلك للخلق. يتواضع للحق بمعنى: أنه متى بان له الحق خضع له ولم يستطع
وإله بديلاً، وكذلك للخلق فكم من طالب فتح على معلمه أبواباً ليست على
بال منه. ولا تخرن شيئاً.

وليمتلىء قلبك بمحبته، ولسانك بذكره، والاستبشار والفرح والسرور بأحكامه
وحكمه سبحانه.

هذا من المهم: دوام المراقبة لله وهذا من ثمرات الخشية، أن الإنسان يكون مع الله
 دائمًا يعبد الله كأنه يراه، يقوم للصلوة فيتوضاً وكأنه ينفذ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِذَا قَمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ (سورة المائدة: ٦٢). يقوم يتوضأ وكأنه ينظر إلى
رسول الله ﷺ وهو يتوضأ، ويقول: «من توضأ نحو وضوئي هذا»^(١). كمال المراقبة ...
وهذا أمر مهم.

وقوله «يكون سائراً بين الخوف والرجاء فإنهم للمسلم كالجناحين للطائر» هذا أحد
الأقوال في هذه المسألة. وهي: هل الأولى للإنسان أن يسير إلى الله بين الخوف
والرجاء؟ أم يغلب جانب الخوف؟ أم يغلب جانب الرجاء؟

الإمام أحمد رحمه الله يقول: ينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه واحداً، فأيهما
غلب هلك صاحبه.

ومن العلماء من يُؤصل ويقول: إذا هممت بطاعة فغلب جانب الرجاء فإنك إذا
 فعلتها قبلها الله منك ورفعك بها درجات، وإذا هممت بعصية فغلب جانب الخوف
 حتى لا تقع فيها. وعلى ذلك يكون التغلب لأحدهما بحسب حالة الإنسان.

ومنهم من قال: بحسب الحال على وجه آخر، فقال: أما في المرض فيغلب جانب
الرجاء، لأن النبي ﷺ قال: «لَا يَمُوتُنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يَحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ»^(٢). ولأنه إذا غلب
في حالة المرض جانب الخوف فربما يدفعه ذلك إلى القنوط من رحمة الله. في حال
الصحة يغلب جانب الخوف لأن الصحة مدعاه للفساد كما قال الشاعر الحكيم:

(١) رواه أحمد والنسائي وأبو داود وهو في صحيح الجامع برقم (٦١٧٦).

(٢) رواه أبو داود وأحمد وهو في صحيح الجامع برقم (٧٧٩٢).

ومن دقيقه ما أستنهذه الذهبي في ترجمة عمرو بن الأسود العنسي المتوفى في خلافة عبد الملك بن مروان . رحمه الله تعالى . أنه كان إذا خرج من المسجد قبض بيمنيه على شماليه، فسئل عن ذلك؟ فقال: مخافة أن تُنافق يدي . قلت: يمسكها خوفاً من أن يخطر بيده في مشيته؛ فإن ذلك من الخيلاء^(١) . أهـ.

وهذا العارض عرض للعنسي . رحمه الله تعالى . : واحد رداء الجبارية: (الكبير): فإن الكبير والحرص والحسد أول ذنب عصي الله به^(٢) ، فتطاولك على معلمك كبراء، واستكافك عمن يفيدك ممن هو دونك كبراء، وتقصيرك عن العمل بالعلم حمأة كبير، وعنوان حرمان .
العلم حرب لفتى المتعالي^(٣) كالسيء حرب للمكان العالى

داء الجبارية وهو «الكبير» وقد فسره النبي عليه السلام بأجمع تفسير وأبينه وأوضحه فقال: «الكبير بطر الحق وغمط الناس»^(٤) . وبطريق الحق هو رد الحق، وغمط الناس يعني احتقارهم وازدرائهم؛ وقوله: «إن الكبر والحرص والحسد أول ذنب عصي الله به» يريده فيما نعلم لأننا نعلم أن أول من عصى الله عز وجل هو الشيطان حين أمره الله تبارك وتعالى أن يسجد لآدم لكن منعه الكباراء . أبي واستكبر وقال: «أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقَ لِنَا^(٥)» (سورة الإسراء: ٦١).

وقال: «هذا الذي كرمت على»^(٦) (سورة الإسراء: ٦٢) . وقال: «أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَيْ مِنْ نَارٍ^(٧) . خلقتَهُ مِنْ طِينٍ»^(٨) (سورة الأعراف: ١٢) .

وقوله: «وَسَكُونُ الطَّائِرِ، مِنَ الْوَقَارِ...» هذه أيضاً لطالب العلم أن يتبع عن الخفة سواء في المشية أو في معاملة الناس وألا يكثر من الفقهة التي تُمْتَ القلب وتذهب الواقار، بل يكون خافضاً للجناح متحلياً بالأداب التي تليق بطالب العلم .

وقوله: «مَتَحْمِلاً ذَلِ التَّعْلِمَ لِعَزَّةِ الْعِلْمِ» هذا جيد، يعني أنك لو أذلت نفسك للتعلم، فإنما تطلب عزًّا هذا العلم، فيكون تذليلها بالتعلم يتيح ثمرة طيبة .

وعليه: فاحذرْ تواضُعَ هذِهِ الْأَدَابِ، فإنَّهَا مَعَ الْإِثْمِ تُقْيِيمُ عَلَى نَفْسِكَ شَاهِدًا عَلَى أَنَّ فِي الْعَقْلِ عِلْمًا، وَعَلَى حَرْمَانِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ، فَإِيَّاكَ وَالخُلَيَّاءِ؛ فَإِنَّهُ نُفَاقٌ وَكَبْرِيَاءٌ، وَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَدَّةِ التَّوْقِيِّ مِنْهُ عِنْدِ السَّلَفِ مَبْلَغاً:

الخيلاء تحدث للإنسان طالب العلم، وللإنسان كثير المال، وللإنسان سديد الرأي، وكذلك في كل نعمة أنعم الله بها على العبد ربها يحدث له فيها خياء .
والخيلاء هي: إعجاب بالنفس مع ظهور ذلك على هيئة البدن، كما جاء في الحديث: «مَنْ جَرْثُوَهُ خِلَاءً»^(٩) . فالإعجاب يكون بالقلب فقط، فإن ظهرت آثاره فإنه خياء .

وقوله: «فَإِنَّهُ نُفَاقٌ وَكَبْرِيَاءٌ» أما كونه كباراء فواضح، أما قوله: «نُفَاقٌ» فلأن الإنسان يظهر أكبر من حجمه الحقيقي، وهكذا المنافق يظهر بمظهر المخلص الناصح وهو ليس كذلك .

سمعت إنساناً يحده عن أبيه، أنه كان واقفاً بعرفة، فرق، فقال: لو لا أني فيهم؛ لقلت: قد غُفِرُ لهم. خرجه الذبي^(١) . ثم قال: قلت: كذلك ينبغي للعبد أن يُرُى على نفسه ويُهْضَمَه^(٢) .

وهذه العبارات التي تطلق على السلف، مثل هذا يريدون به التواضع، وليسوا يريدون أنهم يغلبون جانب سوء الظن بالله عز وجل أبداً، لكنهم إذا رأوا ما هم عليه خافوا وحدروا وجرت منهم هذه الكلمات. وإنما في الأرض أولاً للإنسان أن يحسن الظن بالله ولا سيما في هذا المقام. وهو مقام عرفة الذي هو مقام تضرع إلى الله عز وجل ومقام استغفار. ويقول مثلاً: إن الله لم ييسر لي الوصول إلى هذا المكان إلا من أجل أن يغفر لي ويسأله المغفرة. والله تعالى يقول: **﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾** (سورة طه: ٦٠). لكن تكررت هذه العبارات من السلف من باب التواضع وسوء الظن بالنفس لا بالله عز وجل.

٦. القناعة والزهادة:

التحلي بالقناعة والزهادة، وحقيقة الزهد^(١) : «الزهد بالحرام، والابتعاد عن حماد؛ بالكف عن المشتبهات وعن التطلع إلى ما في أيدي الناس». **مشهد أبو الحبيب**

التحلي بالقناعة من أهم خصال طالب العلم، يعني أن يقتتنع بما أتاه الله عز وجل ولا يطلب أن يكون من الأغنياء والمتربفين، لأن بعض طلبة العلم وغيرهم يريدون أن يكونوا في مصاف الأغنياء والمتربفين، فيتكلف النفقات في المأكل والمشرب

قوله: «أول ذنب عصى الله به» يعني باعتبار ما نعلم، وإنما في الأرض أولاً قال للملائكة **﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾** (سورة البرة: ٣٠).

قال أهل العلم: إنما قال الملائكة ذلك لأنهم كانوا على الأرض أمة قبل آدم وبنيه، وكانوا يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء.

ثم ذكر أمثلة قال: «تطاولك على معلمك كبراء» ويكون التطاول باللسان ويكون أيضاً بالإفعال، قد يمشي مع معلمه وهو يتبتختر، ويقول فعلت وفعلت، وكذلك أيضاً استنكارك عمما يفديك من علوم كبراء، وهذا يقع أيضاً لبعض الطلبة إذا أخبره أحد بشيء وهو دونه في العلم يستكير ولم يقبل.

وقوله: «تقصيرك عن العمل بالعلم حماد كبر، وعنوان حرمان» نسأل الله العافية. هذا نوع من الكبر، لا تعمل بالعلم.

وقوله: «العلم حرب لفتى المتعال» يعني أن الفتى المتعال لا يمكن أن يدرك العلم، لأن العلم حرب له. **«كالسيل حرب للمكان العالى»**، صحيح المكان العالى ينفض عنه السيل يميناً وشمالاً ولا يستقر عليه.

فالزم. رحمك الله. اللصوق إلى الأرض، والإزار على نفسك، وهضمها، ومراهمتها عند الاستشراف لكبراء أو غطرسة، أو حب ظهور، أو عجب.. ونحو ذلك من آفات العلم القاتلة له، المذهبة لهيبته، المطافية لنوره، وكلما ازدلت علمأً أو رفعته في ولاية؛ فالزم ذلك؛ تحرز سعادة عظمى، ومقاماً يغبظك عليه الناس. وعن عبد الله بن الإمام الحججة الرواية في الكتب السبعة بكر بن عبد الله المزنى. رحمهما الله تعالى. قال:

(١) «سير أعلام النبلاء»: (٤/ ٥٣٤).

وانظر كلاماً نفيساً لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله تعالى في «مجموع الفتاوى»: (١٤/ ١٦٠).

(٢) «تعليم المعلم» للزنوجي: (ص ٢٨).

والملبس والمفرش ثم يسقط كاشهه من الديون، وهذا خطأ؛ لكن عليك بالقناعة فهي خير زاد للمسلم.

قال: «وَحْقِيقَةُ الزَّهْدِ ... كَانَهُ أَرَادَ بِالْزَّهْدِ هَنَا الْوَرَعَ، لَأَنَّ هُنَاكَ وَرَعًا وَزَهْدًا. وَالْزَّهْدُ أَعْلَى مَقَامًا مِنَ الْوَرَعَ، لَأَنَّ الْوَرَعَ تَرَكَ مَا يَضُرُّ فِي الْآخِرَةِ وَالْزَّهْدُ تَرَكَ مَا لَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ، بَيْنَهُمَا فَرْقٌ.»

الفرق الذي بينهما: المرتبة التي ليس فيها ضرر وليس فيها نفع، فالورع لا يتحاشاها، والزاهد يتحاشاها ويتركها، لأنّه لا يريد إلا ما ينفعه في الآخرة.

وَيُؤْثِرُ عَنِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ - رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : «لَوْأَوْصَى إِنْسَانٌ لَا يَعْقُلُ النَّاسَ؛ صُرِفَ إِلَى الزَّهَادِ».»

الله أكبر!! لو قال: أوصيت لاعقل الناس. يصرف لمن؟ إلى الزهاد. لأن الزهاد هم أعقل الناس، حيث تجنبوا ما لا ينفعهم في الآخرة، وهذا الذي قاله رحمة الله ليس على إطلاقه، لأن الوصايا والأوقاف والهبات والرهون وغيرها ترجع إلى معناها في العرف، فإذا كان أعقل الناس في عرفنا الزهاد صرف لهم ما أوصى به، وإذا كان أعقل الناس هم ذوو المروءة والوقار والكرم بالمال والنفس صرف إليهم.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ - رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - مَا قَيْلَ لَهُ أَلَا تُصَنَّفُ كِتَابًا فِي الزَّهَادِ؟ قَالَ:

(١) «تعليم المعلم» للزرنوجي: (ص ٢٨).

(٢) هو محمد بن الحسن بن فرقان الشيباني، صاحب أبا حنيفة وأخذ عنه الفقه ثم عن أبي يوسف، روى الحديث عن مالك ودون الموطأ وروي عن الشوربي وعمرو بن دينار، وعنه الشافعى، ومن كتبه: المبسوط في الفقه، الجامع الكبير والصغير. مات عام ١٨٩هـ. (شذرات الذهب ٣٢١/١)، وفيات الأعيان ٥٧٤/١).

«قَدْ صَنَفْتُ كِتَابًا فِي الْبَيْوَعِ»^(١). يعنى: «الزاهد من يتحرّرُ عن الشبهات، والملبس والكمروهات؛ في التجارات، وكذلك في سائر المعاملات والحرف» أـهـ.

لأنّ من تعرّف على البيوع وأحكامها وتحرّر عن الحرام واستحلّ الحلال فإنّ هذا الزاهد.

وعليه: فَلَيَكُنْ مَعْتَدِلًا فِي مَعَاشِهِ بِمَا لَا يُشِينُهُ، بِحِيثُ يَصُونُ نَفْسَهُ وَمَنْ يَعْوُلُ، وَلَا يَرْدُ مَوَاطِنَ الْذَّلَّةِ وَالْهُونِ.

وقد كان شيخنا محمد الأمين الشنقيطي المتوفى في ١٣٩٣/١٢/١٧هـ رحمة الله تعالى متقلاً من الدنيا، وقد شاهدته لا يعرف فنات العملة الورقية، وقد شافهني بقوله: «لقد جئت من البلاد شنقيطي. ومعي كنزٌ قد أُنْجِدَ عند أحد، وهو (القناعه)، ولو أردتُ المتناسب؛ لعرفتُ الطريق إليها، ولكنّي لا أُوْثِرُ الدنيا على الآخرة، ولا أبْذِلُ الْعِلْمَ لِنَيْلِ الْمَارِبِ الدُّنْيَوِيَّةِ». فرحمه الله تعالى رحمة واسعةً أمين.

هذا الكلام من الشيخ الشنقيطي رحمة الله وأشبهه من أهل العلم لا يريدون بذلك تركية النفس ولكن يريدون بذلك نفع الخلق وأن يقتدي الناس بهم وأن يكونوا على هذا الطريق لأننا نعلم هنا من أحوالهم. وأنهم لا يريدون تركية النفس وهم أبعد الناس عن ذلك وهو رحمة الله كما ذكره الشيخ بكر من الزهاد، إذا رأيته لا يقول إلا أنه رجل من أهل البداءة حتى العباءة تجده أن عليه عباءة عادية ما فيها هذا «الزري» وكذلك الشياب ولا تجده يهتم بهندمة نفسه وثيابه رحمة الله.

ذلك العبث، وهو أن يفعل فعلاً لا داعي له، أو يقول قولًا لا داعي له، كذلك التل في المجالس بالسُّخف والضحك والقهقهة وإدمان المزاح والإكثار منه، لاسيما عند عامة الناس، أما عند أصحابك وأقرانك، فالامر أهون، لكن عند عامة الناس يراك أن تفتح على نفسك باب الإهتمان، فإن ذلك يذهب البهية من قلوب الناس فلا يابونك ولا يهابون العلم الذي تأتي به.

وقد قيل: «من أكثر من شيء؛ عُرف به». فتجنب هاتيك السقطات في مجالستك ومُحادثتك. وبعض من يجهل يظن أن التبسط في هذا أربحية. وعن الأحنف بن قيس قال: «جنبوا مجالستنا ذكر النساء والطعام، اني أبغض الرجل يكون وصافاً لفرجه وبطنه»^(١).

لأن هذا يُشغل عن طلب العلم، مثل أن يقول: أكلت البارحة أكلاً حتى ملأت الطعن، وما أشبه ذلك من الأشياء التي لا داعي لها أو يتكلم فيما يتعلق بالنساء، أما اثنان يتكلم بما بينه وبين أهله فذلك من أشر الناس متزلةً عند الله يوم القيمة.

وفي كتاب المحدث المأمور أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في القضاء: «ومن تزيّن بما ليس فيه؛ شأنه الله». وانظر شرحه لابن القيم - رحمة الله تعالى -^(٢).

المحدث يعني به عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأن النبي صلوات الله عليه وسلم قال: «إن يكن فيكم محدثون صلوات الله عليه وسلم، والمراد «بالمأمور» الذي يلهمه الله عز وجل وكتنه يحدث بالوحى وقد أشكل هذا على بعض العلماء، حيث قالوا: إن هذا يقتضي أن عمر أفضل الصحابة لأن

التحلّي بـ(رونق العلم) حُسْن السُّمْت، والهَدْي الصالح، من دوام السكينة، والوقار، والخشوع، والتواضع، ولزوم المَحَاجَة؛ بعمارة الظاهر والباطن، والتخلّي عن تواقضها.

هذا قد يكون فرع لما سبق، فإن حسن السمت، والهدي الصالح من دوام السكينة، والوقار، والخشوع، والتواضع، والهدي الظاهر قد سبق الإشارة إليها وأنه ينبغي لطالب العلم أن يكون أسوة صالحة في هذه الأمور.

ومن ابن سيرين - رحمة الله تعالى - قال: «كانوا يتعلّمون الهَدْي كما يتعلّمون العلم».

وعن رجاء بن حيّة. رحمة الله تعالى. أنه قال لرجل: «حدثنا، ولا تحدثنا عن مُتماوتٍ ولا طَعَانٍ». رواهما الخطيب في «الجامع» وقال^(١): «يجب على طالب الحديث أن يتجنب: اللعب، والعبث والتبدل في المجالس؛ بالسُّخف، والضحك، والقهقهة، وكثرة التنادٍ، وإدمان المزاح والإكثار منه، فإنما يُستجاز من المزاح بيسيره ونادره وطريفه، والذي لا يُخرج عن حد الأدب وطريقة العلم، فاما مُنْصَلَهُ وفاحشَهُ وسخيفَهُ وما أُوْغَرَ منه الصُّدُورُ وجَلَّ الشَّرَّ؛ فإنه مذمومٌ، وكثرة المزاح والضحك يُضيّعُ من القدر، ويُزيلُ المروءة»^(٢).

هذا من أحسن ما قيل في آداب طالب العلم. أن يتجنب اللعب والعبث إلا ما جاءت به الشريعة، كاللعبة برمحة وسيفه وفرسه، لأن ذلك يعينه على الجهاد في سبيل الله، وكذلك في الوقت الحاضر اللعب بالبنادق الصغيرة هذه لا بأس بها،

مختصر أبا عبيدة

شرح كتاب حلية طالب العلم

قال: «إن يكن فيكم محدثون فعمراً»، لكن أجاب عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: بأن عمر إنما يتلقى الإصابة بواسطته، أما أبو بكر فيتلقاها بلا واسطة وعلى هذا فيكون أبو بكر أفضل من عمر، ومن رأى تصرف أبي بكر في موقع الشدة رأى أنه أقرب إلى الصواب من عمر، ففي كتاب الصلح الذي وقع بين النبي ﷺ وقريش، راجع عمر النبي ﷺ فأجابه ثم راجع أبا بكر فأجابه بما أجابه به رسول الله ﷺ حرفاً بحرف.

وفي قتال أهل الردة وكذلك في تنفيذ جيش أسامة بن زيد وكذلك في تشبيت الناس يوم وفاة النبي ﷺ كل هذا يدل على أن أبا بكر أصوب رأياً من عمر، لكن الذي أظهر عمر بن الخطاب هو طول خلافته وتفرغه لأمور المسلمين العامة والخاصة، وكان مشهوراً بذلك فوغنته لهذا فنحنا نقول: أيهما أكثر رواية للحديث أبا هريرة أم أبا بكر؟

أبو هريرة ، هل يعني ذلك أن أبا هريرة ﷺ أكثر تلقى للحديث من أبي بكر؟ لا .. لكن أبو بكر لم يحدث بما روى من الرسول وإنما، فأبا بكر صاحب الرسول ﷺ صيفاً وشتاءً، ليلاً ونهاراً، سفراً وإقامة فهو أكثر الناس تلقى عنه، وأعلم الناس بأحواله، لكن لم يتفرغ لكي يجلس للناس يحدثهم بما رواه عن النبي ﷺ .

فالحاصل: أن بهذا يتبيّن الجواب عن الحديث: «إن يكن فيكم ..» الحديث. يقول: في الكتاب الذي كتبه إلى أبي موسى الأشعري في القضايا: «من تزيّن بما ليس فيه شانه الله». هذه حقيقة، إذا تزيّن الإنسان بأنه طالب علم وقام يضرب الجلbin بعضهما بعض، وكلما جاءته مسألة شمر عن أكمامه وقال أنا صاحبه: هذا حلال وهذا حرام، وهذا واجب وهذا فرض كفایة، وهذا فرض عين، وهذا اشتراطه كذا وكذا، وهذا ليس له شروط وقام يفصل ويُجمل، ولكن يأتيه طالب علم صغير يقول: أخبرنا عن كذا. فإذا بالله يفضحه ويبيّن أنه ليس بعالم، وكذلك من تزيّن بعبادة وأظهر للناس أنه عابد فلا بد أن يكشفه الله.

مختصر أبا عبيدة

مختصر أبا عبيدة

١١٦ - لفّات مفردة، انظر «معجم المؤلفون»، المأثور (٣٩٢).

الكتاب الشيّع ابن عثيمين

ومهما تكن عند امرئٍ من خلائقه *** وإن خالها تخفى على الناس تعلم
ومهما يكتم الناس فالله يعلم وسيفضح من لا يعلم لأجله، فهذه عبارة من
غير زن بها كل أعمالك «من تزيّن بما ليس فيه شانه الله».

قال الشيخ بكر أبو زيد وفقه الله «انظر شرحه لابن القيم رحمه الله»، شرحه ابن
القيم في كتاب «إعلام الموقعين» شرحاً طويلاً حتى تقاد أن تقول: أن جميع الكتاب
الذى هو ثلات مجلدات كبار. كان شرحاً لهذا الحديث، وإن لم يكن شرحاً
لما ذكره، لكنه لا يفاظه من وجه وشرحه لمعانيه وحكمه من وجه آخر فلهذا أشار بكر
إلى أن تنظر إلى هذا الشرح.

٨. تحل بالمروعة^(١):

التحلّي بـ(المروعة)، وَمَا يَحْمِلُ إِلَيْهَا؛ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَطَلَاقَةِ الْوِجْهِ،
وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَتَحْمِلُ النَّاسَ، وَالْأَنْفَةَ مِنْ غَيْرِ كَبْرِيَاءِ، وَالْعَزَّةَ فِي غَيْرِ جَبْرُوتِ،
وَالْشَّهَادَةَ فِي غَيْرِ عَصَبَيَّةِ، وَالْحَمْيَةَ فِي غَيْرِ جَاهْلِيَّةِ.

ما هي المروعة؟ حدّها الفقهاء رحمهم الله في كتاب الشهادات. قالوا: هي فعل
ما يحمله ويزينه واجتناب ما يدنسه ويُشينه.

وهذه عبارة عامة. كل شيء يُحمله عند الناس ويزينه ويكون سبباً للثناء عليه فهو
مرءٌ وإن لم يكن من العبادات، وكل شيء بالعكس فهو خلاف المروعة. ثم ضرب
أهذا مثلاً. فقال: مكارم الأخلاق. فما هو كرم الخلق؟ أن يكون الإنسان دائماً
مسححاً في مواضع التسامح. ويأخذ بالعزم في مواضع العزيمة.

مختصر أبا عبيدة

مختصر أبا عبيدة

١١٦ - لفّات مفردة، انظر «معجم المؤلفون»، المأثور (٣٩٢).

«طلقة الوجه»، أيضاً، هذه من مكارم الأخلاق، وهل مثلاً: أطلق وجهي لكل إنسان حتى لو كان أجرم المجرمين؟ أو على حسب الحال؟ على حسب الحال، أطلق ^{أو} في ٦ من ٩ إيش معنى هذا؟ يعني في الثلثين، والثلث دعه لما تقتضيه الحال.

إ يكن سمتك طلاقة الوجه، هذا أحسن شيء، تجذب الناس إلى نفسك ويحبك الناس، ويستطيعون أن يفضوا إليك ما يفضون من أسرارهم، ولكن إذا كنت عبوساً، نفس على شفتك السفلية، فإن الناس يهابونك ولا يستطيعون أن يتكلموا معك، إذا اقتضت الحال أن لا تطلق الوجه فافعل، ولهذا لا يُلام الإنسان على العبوس مطلقاً، ولا يدح على تركها مطلقاً.

«افشاء السلام» يعني نشره وإظهاره على كل أحد؟ أسأل. لا . . على من يستحق السلام عليه، على المسلم وإن كان عاصياً، وإن كان زانياً، وإن كان سارقاً، وإن كان مُرَايِّاً، وإن كان يشرب الخمر، وإن كان فاسقاً. إِلَّيْ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لقول النبي ﷺ: **لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ يَلْتَقِيَانِ فَيُعَرِّضُ هَذَا وَيُعَرِّضُ هَذَا وَهُمَا الَّذِي يَبْدَا بِالسَّلَامِ** ^(١). فإن فعل المؤمن منكراً ولا سيما إذا كان منكراً عظيماً يُلْهِي منه أن يتفتت المجتمع الإسلامي حيث يكون هجره واجباً، إن نفع الهجر.

وإنما أقول ذلك لئلا يرد علينا قصة كعب بن مالك رض حين تخلف عن غزوة ^{صلوات الله عليه}، فإن الرسول ﷺ أمر بهجره، أمر أن يهجره الناس فهجره وصاروا لا يتكلمون معه حتى أنه ذات يوم ^{صلوات الله عليه} تسرّر حدائقه أبي قتادة رض وهو ابن عمّه وأحب الناس إليه فسلم على أبي قتادة، فلم يرد عليه السلام، فسلم ثانية فلم يرد عليه السلام، ثالثاً فلم يرد عليه السلام. فقال أنسدك بالله هل تعلم أنّي أحب الله رسوله؟ كيف تهجرني وأنا أحب الله ورسوله؟ فلم يرد عليه، ما قال نعم أو لا.

الله ورسوله أعلم !!

مُذَكَّرُ أَبُو سَعِيدٍ

ولهذا جاء الدين الإسلامي وسطاً بين التسامح الذي تضييع به الحقوق، وبين العزيمة التي ربما تحمل على الجور. فنضرب مثلاً بالقصاص - وهو قتل النفس بالنفس. يُذكر أنّ بنى إسرائيل انقسمت شرائعهم في القصاص إلى قسمين: قسم أوجب القتل ولا خيار لأولياء المقتول فيه، وهي شريعة التوراة، لأن شريعة التوراة تميل إلى الغلظة والشدة.

وقد أخر أوجب العفو. وقال: إنّه إذا قُتلَ الإِنْسَانُ عَمْدًا، فالواجب على أولياء التسامح. هكذا نقرأ في الكتب المنقولة ولم نقف على نصٍ في الإنجيل، وإن الأصل أن شريعة الإنجيل هي شريعة التوراة وقد قال الله تعالى: **وَكَبَّنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَذْنَافَ النَّفْسِ** ^(٢) (سورة المائدة: ٤٥). لكن فيما يُنقل عن بنى إسرائيل نسمع هذا، فجاء الدين الإسلامي وسطاً وجعل الخيار لأولياء المقتول إن شاءوا قتلوا قصاصاً ولهم الحق، وإن شاءوا عفواً مجاناً وإن شاءوا أخذوا الديمة.

فصار الأمر في ذلك واسعاً ومعلوم أن كل عاقل يُخَيِّر في مثل هذه الأمور سيختر ما فيه المصلحة العامة ويفقدمها على كل شيء.

مثلاً إذا كان هذا الرجل شريراً - أعني القاتل - وأولياء المقتول يحبون المال، وقالوا نريد أن نعفو إلى الديمة لأننا محتاجون ليس عندنا مال. نقول: هذه ليس من الحكمة. انظروا إلى المصالح العامة وأنتم إذا تركتم شيئاً لله، عوضكم الله خيراً منه، اقتلوا هذا القاتل. ولهذا أوجب شيخ الإسلام ابن تيمية تبعاً للإمام مالك رحمة الله، أوجب قتل القاتل غيلة حتى لو عفى أولياؤه، حتى لو كان له صغار يحتاجون إلى المال، فإنه يجب أن يقتل لأن القتل غيلة لا يمكن التخلص منه، إذ أن الإنسان أُغتيل في حالة لا يمكن أن يدافع عن نفسه، والقاتل مفسد في الأرض **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ حَارَبُوكُمْ وَرَسُولَكُمْ وَبَعْضُهُمْ فَسَادُوا أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصْلَبُوا أَوْ تُقْطَعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ حَلَفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ** ^(٣) (سورة المائدة: ٣٣).

مُذَكَّرُ أَبُو سَعِيدٍ

ما أجاب، لماذا؟ لأن الرسول ﷺ أمرهم، ولو أمرهم أن يفعلوا أكبر من ذلك لفعلوا.

الطلبة بعضهم مع بعض، يستثنى هذا . يعني الطالب لا يفشي السلام مع أخوانه وزملائه، وأصدقائه، لأن الخواطر طيبة والقلوب سليمة، والسلام تحية

المهم أن الصحابة هجروه، لأنه تخلف عن غزوة تبوك وكان هجرهم بأمر من راشة، تقبل وقبول. فلا حاجة يقولون «يُغْنِي ما في القلوب عن التعبير» ماتقولون رسول الله ﷺ . يأتي فيسلم على الرسول ﷺ فيقول: فما أدرى هل حرك شفتي هذا الاستثناء؟ برد السلام أم لا؟

هذا الاستثناء باطل! الطلبة فيما بينهم أحق الناس بإفشاء السلام. يستثنى من ذلك أيضاً عند بعض الناس من خالفك في المنهج ووافقك في الهدف.

في الآن زُمِرَ - ولا نقول أحزاباً - بعضهم يتتمى إلى جماعة دون الأخرى، لكن أن بعضهم سلم من بعض، بل بالعكس هم والعياذ بالله متناحرون بالألسن، ولا لو حصل أن ينتحروا بالسيوف أيفعلون أم لا؟ الله أعلم، لكن بالألسن متناحرون . . . يسب بعضهم بعضًا وينفر بعضهم من بعض، ويمضي أوقات كثيرة في مجالس عديدة للقذف في الطائفة الأخرى. مع أن الهدف واحد، كلهم يريدون الوصول إلى تحقيق العبادة، وإلى الإقبال إلى الله وربما يكون هناك من أهل البدع المترفين لمخالفة السنة من لا يتكلمون عليه، وهذه محنـة لمسناها في بعض الزمرة التي تناولت القلوب.

واما أن تُضرب القلوب بعضها بعض والعياذ بالله من أجل خلاف في المنهج مع الأئمـة في الهدف فهذا غلط عظيم.

لكن الرسول يحبه لأنه إذا قام يصلي كعب، جعل النبي ﷺ يسارقه النظر . ينظر إليه.

فهل هذا الهجر الذي وقع من الصحابة لكتعب بن مالك هل أثر أم لم يؤثر؟ أثر . . . رجوعاً عظيماً إلى الله عزَّ وجلَّ **﴿حَتَّىٰ إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَّ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُوا أَنَّ لَا مُلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾** (سورة التوبة: ١١٨). جلوا إلى الله فرج الله عنهم .

فالحاصل: إفشاء السلام . . . الأصل فيه أنه عام لكل أحد من المسلمين إلا من جاهر بمعصية، وكان من المصلحة أن يهجر فليهجر.

أما غير المسلمين فقد قال النبي ﷺ : **«لَا تَبْدِأُوا إِلَيْهِمْ وَالنَّصَارَىِ بِالسَّلَامِ»**^(١). فيحرم علينا أن نبدأ اليهود والنصارى بالسلام، ومن سواهم أخبيـث منهم فلا نبدأهم بالسلام، وإن سلـمو نـزد عليهم، لقول الله تعالى: **«إِذَا حِيَّتْ بِتَحْيَةٍ فَحِيُّوْا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا»** (سورة النساء: ٨٦). فإذا قالـوا السلام عليـکم. نـقول: عليـکم السلام صـراحة، لأن الآية ناطقة بذلك **«فَحِيُّوْا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا»**. ولـأن النبي ﷺ إـنما أمرـاً

قولـ: **«وَعَلَيْكُمْ»** لأنـهم يقولـون: **«الـسـامـ عـلـيـکـمـ»** كما جاء ذلك مصـرـحاً به في حـدـيـث عبد الله بن عمر أنه قالـ: **«إـنـماـ إـلـيـهـودـ أـوـ أـهـلـ الـكـتـابـ يـقـولـونـ السـامـ عـلـيـکـمـ،ـ فـإـذـاـ سـلـمـواـ فـقـولـواـ وـعـلـيـکـمـ»**^(٢). ما يستـثنـى من ذلك شيء آخر؟

(١) رواه مسلم (٢١٦٧).

(٢) رواه البخاري (٦٢٥٧) و(٦٢٥٨). ومسلم (٢١٦٣) و(٢١٦٤).

احتقار الآخرين فالبطر هو احتقار الآخرين - هو الكبر كما قال عليه الصلاة والسلام:
الكبر بطر الحق وغمط الناس^(١). أي: احتقارهم.

«غشيان مواطن الريب» التي تكون محل الشك فيه وفي مروءته وأخلاقه يتجلبها حم الله امرأً كفَّ الغيبة عن نفسه.

إذا كان رسول الله ﷺ أطهر الخلق قال للرجلين الأنصاريين وهو مع زوجه سمية: «إنها صفية»، فكيف بغيره؟!

فالحاصل: إنك لا تثق بنفسك وتقول: إن الناس لا يظنون بي شيئاً فأنت وإن كنت عند الناس في هذه المثابة، لكن الشيطان يلقي في قلوبهم الشر حتى يتهموك بما أنت منه بريء فتجنباً مواطن الريب حتى تسلم من الريب.

٩. التمتع بخصال الرجلة:

تمتع بخصال الرجلة: من الشجاعة، وشدة البأس في الحق، ومكارم الأخلاق، والبذل في سبيل المعروف، حتى تنقطع دونك آمال الرجال. وعليه: فاحذر نواقضها: من ضعف الجأش، وقلة الصبر، وضعف المكارم، فإنها تهضم العلم، وتقطع اللسان عن قولة الحق، وتأخذ بناصيته إلى خصومه في حالة تلفح بسمومها في وجوه الصالحين من عباده.

هذه كالتكامل للأول، لأن التمتع بخصال الرجلة من المروءة بلاشك، فإن الإنسان إذا نزل نفسه منزلة الرجال، الذين هم رجال بمعنى الكلمة فإنه سوف يتمتع بما ذكره من الشجاعة وشدة البأس ومكارم لأخلاق والبذل في سبيل المعروف، حتى تقطع دونك آمال الرجال.

وعليه: فتتكتُّبْ (خوارم المروءة): في طبع، أو قول، أو عمل: من حرفه مهينة، أو خلة رديئة، كالعجب، والرياء، والبطر، والخيال، واحتقار الآخرين، وغشيان مواطن الريب.

لما ذكر المروءة وأنه ينبغي لطالب العلم أن يتحلى بها. قال «تنكتُّبْ» يعني: أبعد عن خوارم المروءة في طبع أو قول أو عمل، يعني في طباعك. حاول أن تكون طباعك ملائمة للمروءة، ومن المعلوم أن ليس التكحُّل في العين كالكحل، وليس التطبع كالطبع. ولكن الإنسان مع ممارسته للشيء ربما يكون الكسب غريزة والطبع طيبة وإن الإنسان لو حاول ما يحاول من أخلاق وطبعه ليس كذلك سيجد صعوبة لكنه مع التمرن يحسن أو يحسن حاله وهذا م التجرب، لقد سمعنا عن بعض الناس الذي كان بعيداً عن طلب العلم، أو طالب علم كانت له أخلاق سيئة ثم لما من الله عليه بالعلم والهدى صارت أخلاقه طيبة لأنه مرن نفسه على هذه الأخلاق حتى صارت كأنها من طباعه وغرازه.

قوله: «من حرفه مهينة أو خلة رديئة»، الخلة يعني: الخصلة، والحرف المهينة كل ما يحترف به الإنسان من عمل، ثم ضرب لذلك أمثلة. فيقول: كالعجب أن يعجب الإنسان بنفسه، فإذا استبطط فائدة قال: ما شاء الله، هذه الفائدة ما استبططها أكبر عالم، ثم أعجب بنفسه ورأى نفسه كبيراً وانتفع.

الرياء: أن يُرائي الناس بأن يتكلّم في العلوم أمامهم حتى يروا أنه عالم فيقال أنه عالم. البطر: رد الحق. وهذه تحصل في المجادلات والتعصب لرأي من الآراء أو المذهب من المذاهب، تجده يغمس الآخرين، يرد الحق لأنّه خلاف ما يرى. الخيال: نتيجة العجب، يعني يظهر نفسه بظهور العالم الواسع العلم ومن ذلك أن يكون للعلماء في بلد ما زي خاص في اللباس، فيأتي هذا الإنسان الباديء بالعلم فيلبس لباس كبير العلماء ليذلن الفلان أنه من كبار العلماء، هذا من الخيال. كذلك أيضاً

١٠. هجر الترفة:

لا تسترسل في (التنعم والرفاهية)؛ فإنَّ البداءة من الإيمان^(١)، وخذ بوصيَّة أمير المؤمنين عُمر بن الخطَّاب^(٢) في كتابه المشهور، وفيه: «وَإِيَّاكُمْ وَالتنعمُ وَزِيَّ الْعَجَمِ، وَتَمَعَّدُوا، وَاحْشُوْشُنُوا....».

قوله: «لا تسترسل في التنعم والرفاهية» وهذه النصيحة تقال لطالب العلم ولغير طالب العلم لأن الاسترossal في ذلك مخالف لإرشاد النبي ﷺ فقد كان ينهى عن شريرة الإرفة وياًمر بالاحتفاء أحياناً، والإنسان الذي يعتاد الرفاهية يصعب عليه مواجهة الأمور، لأنَّه قد تأثيره الأمور من وجه لا يستطيع فيه الرفاهية. ولنضرب لهذا مثلاً: الذي ذكرناه في الحديث «يأمر بالاحتفاء أحياناً» بعض الناس لا يحتفي دائماً، عليه الجورب وعليه الخف، لا تجده يمشي^{عَصْفَنَا} هذا الرجل لو عرض له عارض وقيل له تمشي ٥٠ متر بدون وقاية للرجل، لوجدت ذلك يشق عليه مشقة عظيمة وربما تدمي قدمه من مسافة الأرض، لكن لو عود نفسه على الخشونة وترك الترفة دائماً لحصل له خير كثير، ثم إن البدن لو لم يعود على مثل هذه الأمور لم يكن عنده مناعة فتجده يتآلم عن أي شيء من ذلك، لكن إذا كان عنده مناعة لا يهتم به لهذا تجد أيدي العمال الآن أقوى بكثير من أيدي طلبة العلم، ما في مانع لطلبة العلم لأنها تعودت على ذلك، حتى أن بعض العمال فيما سبق لما كانوا يعانون الطين واللبن إذا مسستها كأنك سست حجراً.. من خشونتها، ولو أنه ضم أصابعه على يدك لآلمك كثيراً، لأنَّه اعتاد على ذلك. فترفيه الإنسان نفسه لاشك أنها ضرر عليه كبير.

يعني: حتى لا يهم أحد أن يسبقك بما أنت عليه من هذه الخصال. فالشجاعة الإقدام في محل الإقدام، فإذا كانت الشجاعة هي الإقدام في محل الإقدام لزم من ذلك أن تسبق برأي وتفكير وحنكة، ولهذا قال المتني^(١).

الرأي قبل شجاعة الشجاعان ❖ هو أولُ وهي المحل الثاني

فإذا هما اجتمعوا لنفس حُرَة ❖ بلغت من العلياء كل آمال

فلا بد من رأي؛ لأن الإقدام في غير رأي تهور وتكون نتيجته على عكس ما يريد هذا المقدم، كذلك شدة البأس في الحق، بحيث يكون قوياً فيه، صابراً على ما يحصل من أذى أو غيره في جانب الحق.

«مكارم الأخلاق» سبق الكلام عليها وأنها تشمل كل خلق كريم يُحمد الإنسان عليه.

«البذل في المعروف» البذل يشمل بذل المال والجاه والعلم، وكل ما يُبذل للغير لكن في سبيل المعروف، لكن البذل في سبيل المنكر فهو منكر، والبذل فيما ليس معروفاً ولا منكر قد يكون من إضاعة المال.

مذكرة أبو سعيد

(١) كما صَرَّحَ عن النبي ﷺ راجع له: «السلسلة الصحيحة» (رقم ٣٤١)، و«تعظيم قدر الصلاة» (رقم ٤٨٤) لابن نصر الموزي.

(٢) «مسند على بن الجعده» (١٠٣٠، رقم ٥١٧)، وعنه «الفرسوية» لابن القيم: (ص ٩)، وأدب الإملاء والاستملاء»: (ص ٨١١). واصله في «الاصحاحين» وغيرهما.

(١) هو شاعر الزمان أبو الطيب أحمد بن حسين بن حسن الجعفي الكوفي الأديب، الشهير بالمتني به الذروة في النظم، وسار ديوانه في الآفاق. مات في رمضان سنة ٣٥٤ هـ. «سير أعلام النبلاء»

الحركة، مثل: السمنة، والضغط، وضيق التنفس بعض الناس تجده شاباً، تصعد أنت إياه الجبل لا يتصف الجبل إلا وقد سارع نفسه حتى كاد يخور بدن، وأنت شرير. لماذا؟ لأنك تعودت وهو لم يتعود رغم أنه شاب، لكن لم يعود نفسه. زي العجم الآن موجود، يتربون كل موضة تخرج حتى يقلدوها، وقد اتعبت النساء رجالها في هذا الباب. تأتي صباح النهار بلباس من أحسن الألبسة نظيف، ساتر، واسع، ثم تنزل إلى السوق في آخر النهار، فإذا بمواضحة جديدة فتصبح .. أريد أن أشتري هذا الثوب. مع أنه أصيق من الأول وأسوء من الأول، وأرداً من الأول .. لكن هذا شيء جديد لابد أن تأخذنه، خصوصاً من من الله عليها بالمال، البعض المدرستات وغيرهم، تجده ما يهم تشتري ما تريده. هذا غلط، ولهذا كثراً الآن من أيدي النساء مجلات تسمى «البوردا» تأخذها المرأة وتنتظر ما يرproc لها، حتى لو كان لباساً ما يتناسب مع الشرع، لكنه جديد. نسأل الله السلامة والهدایة.

وعلیه: فَازُورَ عَنْ زَيْفِ الْحَضَارَةِ؛ فَإِنَّهُ يُؤْنِثُ الْطَّبَاعَ، وَيُرْخِي الْأَعْصَابَ
وَيُقَيِّدُ بِخِيَطِ الْأَوْهَامِ، وَيَصِلُّ الْمُجَدِّدُونَ لِغَایَاتِهِمْ وَأَنْتَ لَمْ تَبْرَحْ مَكَانَكَ
مَشْغُولٌ بِالْتَّأْنِقِ فِي مَلْبَسِكَ، إِنْ كَانَ مِنْهَا شَيْئَاتٌ لَيْسَتْ مَحْرَمَةً وَلَا مَكْرُوحةً
لَكُنْ لَيْسَتْ سَمَّتَا صَالِحَاً، وَالْحَلِيَّةُ فِي الظَّاهِرِ كَاللِّبَاسِ عَنْوَانٌ عَلَى اِنْتِمَاءِ
الشَّخْصِ، بَلْ تَحْدِيدٌ لَهُ، وَهُلْ الْلِّبَاسُ إِلَّا وَسِيلَةٌ مِنْ وَسَائِلِ التَّعْبِيرِ عَنِ الدَّاتِ؟^{١)}
فَكُنْ حَذِيرَاً فِي لِبَاسِكَ؛ لَأَنَّهُ يُعْبِرُ لِغَيْرِكَ عَنْ تَقْوِيمِكَ؛ فِي الْاِنْتِمَاءِ،
وَالْتَّكَوِينِ، وَالذِّوقِ، وَلَهُذَا قِيلَ: الْحَلِيَّةُ فِي الظَّاهِرِ تَدْلُّ عَلَى مَيْلِ فِي الْبَاطِنِ،
وَالنَّاسُ يَصِنْفُونَكَ مِنْ لِبَاسِكَ، بَلْ إِنْ كَيْفِيَّةُ الْلِّبَسِ تَعْطِي لِلنَّاظِرِ تَصْنِيفَ
اللِّابِسِ مِنَ الرَّصَانَةِ وَالْتَّعَقُّلِ، أَوِ التَّمْشِيَّ وَالرَّهْبَنَةِ، أَوِ التَّصَابِيِّ وَحُبِّ
الظَّهُورِ. فَخُذْ مِنَ الْلِّبَاسِ مَا يُزِينُكَ وَلَا يُشِينُكَ، وَلَا يَجْعَلُ فِيكَ مَقَالَةً لِقَائِلِ،
وَلَا مَزَّا لِلَّامِزِ، وَإِذَا تَلَاقَ مَلْبَسَكَ وَكَيْفِيَّةَ لِبَاسِكَ بِمَا يَلْتَقِي مَعَ شَرَفِ مَا تَحْمِلُهُ

قوله «البذادة من الإيمان» ما هي البذادة؟ البذادة عدم التنعم والترفة. «وابياكم وزي العجم» هذه الجملة تحذيرية، لأن العرب عندهم جمل تحذيرية وعندهم جمل إغرائية، فإن وردت في مطلوب فهي إغراء، وإن وردت في محظوظ فهي تحذير فإن قلت لشخص: الأسد الأسد. فهذا تحذير، ولو قلت: الغزال الغزال. هذا إغراء. أما «إيا» فهي للتحذير. قال ابن مالك

إِيَّاكَ وَالشَّرُونَ حَوْهُ نَصْبٌ ❁ ❁ ❁ مُحَذِّرٌ بِمَا اسْتَرْوَجَبْ

«إياكم والتنعم» هذه الواو للعطف، وقيل للمعية^(١). والمعنى: أحذركم مع التنعم. أي: أن تكونوا مع التنعم باللباس، بالبدن، بكل شيء. والمراد بذلك: كثرة. لأن التنعم بما أحل الله على وجه لا إسراف فيه من الأمور محمودة، ومن ترك التنعم بما أحل الله من غير سبب شرعي، فهو مذموم.

وقوله «زي العجم» ما هو زي العجم؟ شكله. سواء كان هذا في الخلية، أو كشكل شعر الرأس وما أشبه ذلك. أو كان باللباس، فإننا منهبون عن زي العجم، وليس المراد بالعجم أمة إيران، بل المراد بالعجم كل من سوى العرب، فيدخل فيه الأوربيون والشرقيون في آسيا وغيرهم، لكن المسلم من العجم التحق بالعرب حكماً لا نسباً، لأنه اقتدى بن بن بعث في الأميين رسولاً عليه السلام.

وقوله «اخشوشينا» فهو من الخشونة التي هي ضد السليمة والتنعم. وكل هذه وصايا من عمر خالد^(٢) .. وصايا نادرة، لو أن الناس عملوا بها سواء من طلبة العلم أو غير طلبة العلم لكن فيه خير كثير، لكن الآن في البلاد التي من الله عليها بالأمن وطيب العيش وكثرة المال، صار الأمر بالعكس فالنعم موجود لا يزيد الإنسان إلا أن يركب مركباً مريحاً، وبيني قصراً مشيداً، ولا يناله شيء من الأذى لا برد ولا حر في حر ولا يمسه شيء، متنعم تماماً، ولهذا كثراً فيهم الأوبئة التي تترتب على عدم

(١) أي يعني «مع» التي تقييد الظرفية، ولا يقع بعدها إلا اسماء، ويكون منصوباً على أنه مفعولاً معه.
منقول من شاعر وائل. أما العاطفة فيختلف ذلك.

من العلم الشرعي؛ كان أدعى لتعظيمك والانتفاع بعلمك، بل بحسن نيتك يكون قرية؛ إنه وسيلة إلى هداية الخلق للحق. وفي المأثور عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رض ^(١) : «أحب إلى أن أنظر القارئ أبيض الثياب».

أي: ليعظم في نفوس الناس، فيُعظم في نفوسهم ما لديه من الحق. والناس. كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله تعالى. كأسراب القطا، محبولون على تشبه بعضهم ببعض ^(٢) . فإذاك ثم إذاك من لباس التصابي، أما اللباس الإفرنجي؛ فغير خاف عليك حكمه، وليس معنى هذا أن تأتي بلباس مشوه، لكنه الاقتضاد في اللباس برسم الشرع، تحفه بالسمة الصالحة، والهدى الحسن.

وتطلب دلائل ذلك في كتب السنة والرقة لا سيما في «الجامع» للخطيب ^(٣) . ولا تستنكر هذه الإشارة؛ فما زال أهل العلم ينبهون على هذا في كتب الرقة والأداب واللباس ^(٤) ، والله أعلم.

لما ذكر - وفقه الله - هجر الترف، اطلب في ذكر اللباس الظاهر لأن اللباس الظاهر عنوان على اللباس الباطن، لذلك فإنك تجد رجلان كلاهما عليه ثوب مثل الآخر ففتردي أحدهما ولا تهتم بالآخر، تزدري من لباسه ينبغي أن يكون على غير هذا الوجه إما في الكيفية، وإما في اللون، وإما في الخياطة أو غير ذلك.

والثاني - لا ترفع له رأساً ولا ترى في لباسه بأساً لأن لكل قالب ما يناسبه فمثلاً: العقال هو في الأصل لا بأس فيه، بل إن بعضهم يقول: إنه العمامة العصرية.

(١) «الإحکام للقرافی»: (ص ٢٧١).

(٢) «مجموع الفتاوى»: (٢٨/ ١٥٠).

(٣) «الجامع»: (١/ ١٥٣-١٥٥).

(٤) «أدب الإملاء والاستملاء»: (ص ١١٩-١١٦)، «اقتضاء الصراط المستقيم»، «مجموع الفتاوى»:

(٢١/ ٥٣٩)، وانظر: «الروح» لابن القيم: (ص ٤).

قوله: «جنايتك على العلم وأهله عظيمة، أما كونه جناية على نفسه فالامر ظاهر، من: لو رأيت طالب علم يجلس مجالس اللهو واللغو والمنكر، فجنايته على نفسه والجناية عظيمة، لكن كيف تكون جناية على العلم وأهله؟ بأن الناس يقولون: طلبة العلم هؤلاء العلماء . . هذا نتيجة العلم وما أشبه ذلك فيكون قد جنى على نفسه وعلى غيره.

١٢. الإعراض عن الهيئات

التصوُّنُ من اللُّغْطِ وَالهَيَّشَاتِ؛ فَإِنَّ الْغَلَطَ تَحْتَ اللُّغْطِ؛ وَهَذَا يُنَافِي أَدْبَ الْطَّلَبِ.

«الهيئات» يعني بذلك هيئات الأسواق. كما جاء في الحديث التحذير منها لأنها تسل على لغط وسب وشتم، وبعض طلبة العلم يقول: أنا أقعد في الأسواق من أجل أن أظفر بما يفعل الناس وماذا يكون بينهم. فنقول: هناك فرق بين الاختبار والممارسة.

يعني لو ذكر لك أن في السوق الفلاني كذا وكذا، فهنا لا حرج عليك أن تذهب بحسب نفسك، لكن لو كان جلوسك في هذا السوق مستمراً، تمارسه كل عصر يرج إلى السوق لكان هذا خطأ بالنسبة لك لأن إهانة لك ولطلبة العلم عموماً للعلم الشرعي أيضاً.

ومن لطيف ما يستحضر هنا ما ذكره صاحب «الوسيط» في أدباء شنقيط، وعنه في «معجم المعاجم»: أنه وقع نزاع بين قبيلتين، فسعت بينهما قبيلة أخرى في الصلح، فتراضوا بحكم الشرع، وحكموا عالماً، فاستظهر قتل أربعة من قبيلة قتلوا من القبيلة الأخرى، فقال الشيخ باب بن أحمد: مثل هذا لا فصاص فيه. فقال القاضي: إن هذا لا يوجد في كتاب. فقال: بل لم يدخل منه كتاب، فقال القاضي: هذا «القاموس»، يعني أنه يدخل في عموم كتاب. فتناول

١١. الإعراض عن مجالس اللغو

لَطَّأْ بِسَاطَ مِنْ يَغْشُونَ فِي نَادِيهِمُ الْمُنْكَرَ، وَيَهُنْكُونَ أَسْتَارَ الْأَدْبِ؛ مُتَغَابِيَاً عَنْ ذَلِكَ، فَإِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ جَنَاحِيَّتَكَ عَلَى الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ عَظِيمَةٌ.

أما قوله: «الإعراض عن مجالس اللغو» فاللغو نوعان:

الأول - لغو ليس فيهفائدة ولا مضر.

والثاني - لغو فيه مضر.

أما الأول فلا ينبغي للعاقل أن يذهب وقته فيه، لأنّه خسارة.

وأما الثاني فإنه يحرم عليه أن يضيّ وقته فيه، لأنّه منكر محرم.

والمؤلف كأنه حمل الترجمة على المعنى الثاني الذي هو: اللغو المحرم، ولا شك أن المجالس التي تشتمل على المحرّم لا يجوز للإنسان أن يجلس فيها لأن الله عز وجل يقول: **﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكَفِّرُ بَهَا وَيُسْتَهْزِئُ بَهَا فَلَا تَقْدِلُوْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمُوهُمْ﴾** (سورة النساء: ١٤٠).

فمن جلس مجلس منكر وجب عليه أن ينهي عن هذا المنكر، فإن استقامت الحال فهذا هو المطلوب، وإن لم يستقم وأصرروا على منكرهم فالواجب أن ينصرف. خلافاً لما يتوجهه بعض العامة يقولون: فإن الرسول عليه السلام قال: «فَإِنْ لَمْ يُسْتَطِعْ فِي قَلْبِهِ^(١) . وَأَنَا كَارِهُ لِهَذَا الْمُنْكَرِ فِي قَلْبِي .

يقال له: لو كنت كاره حقاً ما جلست معهم، لأن الإنسان لا يمكن أن يجلس على مكره، إلا أن يكون مكرهًا، أما شيء يكره وأنت جالس بإختيارك فأنت في دعواك - كراهيته - ليست بصحّحة.

(١) رواه مسلم (٤٩).

صاحبُ الترجمة «القاموس» وأولُ ما وقع نظره عليه: والهَيْشَةُ: الفتنةُ، وأمُّ حُبَيْنٍ^(١)، وليس في الهَيْشَاتِ قِوَدٌ؛ أي: في القتيلِ في الفتنةِ لا يُدرِى قاتله، فتعجبُ الناسُ من مثل هذا الاستحضارِ في ذلك الموقفِ الحرجِ. أَهْمَلُخَصًا.

هؤلاء القبيلة حديث بينهم فتنة، فقتلت من إحدى القبيلتين أربعة رجال حضرها إلى القاضي. فقال الشيخ واسمه باب بن أحمد: مثل هذا لا قصاص فيه. قال القاضي الحاكم: إن هذا لا يوجد في كتاب.

أي: أين الدليل على أنه لا يوجد في كتاب. فقال: بل لم يخل منه كتاب.

فقال القاضي: هذا القاموس. أي أنه يدخل في عموم كتاب.

كلمة «كتاب» عامة تشمل كل الكتب. العقيدة والفقه والنحو والأدب وكل شيء.

لأن كتاب نكرة في سياق النفي تكون للعموم.

«القاموس» كتاب لغة.

«أم حُبَيْنٍ» دويبة تشيه الخفسياء.

١٣. التَّحْلِي بِالرَّفِيقِ

التَّزِمُ الرَّفِيقَ فِي الْقَوْلِ؛ مُجْتَبِنًا الْكَلْمَةَ الْجَافِيَةَ؛ إِنَّ الْخَطَابَ الَّذِي يَتَأَلَّفُ الْنُفُوسُ النَّاشرَةُ. وَأَدَلَّةُ الْكَتَابِ وَالسُّنْنَةِ فِي هَذَا مُتَكَاثِرَةً.

هذا من أهم الأخلاق لطالب العلم، سوء كان طالب أم مطلوب - أي: معلم - فالرفق كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفِيقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»^(٢). «مَا كَانَ الرَّفِيقُ فِي

(١) هي دويبة.

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٣).

فالأخبار إذا نقلت فلابد أن تثبت أولاً. هل صحت عمن نقلت إليه أو لا ؟ ثم إذا صحت فلا تحكم حتى تثبت في الحكم، ربما يكون الخبر الذي سمعته مبنياً على أصل أنت تجهله فتحكم بأنه خطأ، الواقع بأنه ليس بخطأ، ولكن كيف العلاج في هذه الحال؟

العلاج بأن تتصل بين نسب إليه الخطأ وتقول: نقل عنك كذا وكذا فهل هذا صحيح؟ ثم نناشره. فقد يكون استنكارك ونفور نفسك منه أول وله سمعته لأنك لا تدري ما سبب هذا المنقول. ويقال: إذا علم السبب بطل العجل. أو العجب؟

«الثبات والتثبت» هذان شيئاً متباهاً لفظاً، و مختلفان معنى.

فالثبات: معناه الصبر والمصايرة، وألا يمل ولا يتضجر وألا يأخذ من كل كتاب الله، أو من كل فن قطعة ثم يترك. لأن هذا هو الذي يضر الطالب، يقطع عليه الأيام بلا فائدة إذا لم يثبت على شيء. تجده مرة في الأجرمية، ومرة في متن قطر الشد ومرة في الألفية. في المصطلح مرة في النخبة ومرة في ألفية العراقي، ويتبخبط في الفقه مرة في زاد المستقنع ومرة في عمدة الفقه، مرة في المغني مرة في شرح المذهب وهكذا. هذا في الغالب أنه لا يحصل علم، ولو حصل علمًا فإنما يحصل مسائل لا أصول المسائل كالذي يلقط الجراد واحدة بعد أخرى، لكن التأصيل والرسوخ والثبات هذا هو المهم. اثبت بالنسبة للكتب التي تقرأ وتراجع، وثبت بالنسبة للشيخ أيضًا الذين تتلقى عنهم لا تكن ذوافًا كل أسبوع عند شيخ، كل شهر عند شيخ، قرر أولاً من ستلقى العلم عنده، ثم إذا قررت ذلك فثبت. فإن من ثبتت، ومن لم يثبت لم يثبت . ولم يحصل على شيء.

صح

منذر أبو سعيد

فإذا دار الأمر بين أن أثأني وأصبر أو أتعجل وأقدم . فما أقدم؟ الأول. لا القولة أو الفعلة إذا خرجم منك لا يمكن أن ترجع. لكن مادمت لم تقل ولم تفعل فأنت حر. فتأمل بماذا تتكلم به، وما هي فائدة الكلام، ولهذا قال النبي عليه السلام : «من كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(١). «تحرز في العبارة والأداء» وهذا أيضًا من أهم ما يكون. يعني: لا تطلق العبارة على وجه تؤخذ عليك بل تحرز إما بقيو تصفيتها إلى الإطلاق، وإما بتخصيص تصفيتها إلى العموم، وإما بشرط تقول إن كذا أو ما أشبه ذلك. ولكن أقول دون تعتن أو تحزلق. حَرَزْنَاهُ

«وتتأمل عند المذاكرة كيف تختار القالب المناسب للمعنى المراد» لعله أراد تأمل عند المذاكرة، أي عند تذاكر غيرك في شيء وتناظره، فاختار القالب المناسب للمعنى المراد.

«وتتأمل عند سؤال السائل كيف تفهم السؤال على وجهه حتى لا يحتمل وجهين» وكذلك في الجواب وهو الأهم، لأن السؤال يسهل على المسئول أن يستفهم من السائل ماذا تريده؟ أريد كذا وكذا. فيتبين الأمر، لكن الجواب إذا وقع مجملًا فإنه عند الناس على تفاسير متعددة، كل إنسان يفسر هذا الكلام بما يريده وبما يناسبه.

١٥. الثبات والتثبت:

تحل بالثبات والتثبت، لاسيما في الملمات والمهمات، ومنه: الصبر والثبات في التلقى، وطي الساعات في الطلب على الأشياخ، فإن «من ثبت ثبت».

هذا أهم ما يكون في هذه الآداب، هو التثبت فيما ينقل من أخبار، والتثبت فيما يصدر منك من الأحكام.



الفصل الثاني

كيفية الطلب والتلقي

١٦. كيفية الطلب ومراتبها:

«منْ لَمْ يَتْقَنِ الْأَصْوَلَ، حُرْمَ الْوُصْوَلَ»^(١)، «مَنْ رَأَمَ الْعِلْمَ جُمْلَةً، ذَهَبَ عَنْهُ جُمْلَةً»^(٢)، وَقَيلَ أَيْضًا: «اَرْدَحَ الْعِلْمَ فِي السَّمْعِ مَضَلَّةً لِلْفَهْمِ»^(٣). وَعَلَيْهِ: فَلَابْدُ مِنَ التَّأصِيلِ وَالتَّأْسِيسِ لِكُلِّ فَنٍ تَطَلُّبُهُ، بِضَبْطِ أَصْلِهِ وَمُخْتَصِرِهِ عَلَى شَيْخٍ مُتَقِنٍّ، لَا بِالْتَّحْصِيلِ الذَّاتِي وَحْدَهُ، وَأَخْدَى الْطَّلَبَ بِالْتَّدْرِجِ.

قال الله تعالى: **﴿وَقَرَأْنَا فِرْقَاهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَرَتَلَاهُ تَرْتِيلًا﴾** (سورة الإسراء: ٦). وقال تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لَتَبَثَّ بِهِ فُؤَادُكُ وَرَتَلَاهُ تَرْتِيلًا﴾** (سورة الفرقان: ٣٢). وقال تعالى: **﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتَلَوُنَهُ حَقَّ تَلَاوَتِهِ﴾** (سورة البقرة: ١٢١).

«كيفية الطلب» وهذه أيضًا مهمة، لبني الإنسان طلبه على أصول ولا ينخبط خبط شوائي. يقول «منْ لَمْ يَتْقَنِ الْأَصْوَلَ، حُرْمَ الْوُصْوَلَ» وَقَيلَ بِعِبَارَةِ أَخْرَى: «مَنْ فَاتَهُ الْأَصْوَلُ حُرْمَ الْوُصْوَلَ». لَأَنَّ الْأَصْوَلَ هِيَ الْعِلْمُ وَالْمَسَائِلُ فَرُوعٌ كَأَصْلِ الشَّجَرَةِ (أَصْنَانِهَا)، إِذَا لَمْ تَكُنِ الْأَغْصَانُ عَلَى أَصْلِ جَيْدٍ فَإِنَّهَا تَذَبَّلُ وَتَهَلَّكُ.

ما هي الأصول؟ هل هي الأدلة الصحيحة؟ أم هي القواعد والضوابط؟ أو هذا وهذا؟ الثاني هو المراد. تبني على الأصول من الكتاب والسنّة وتبني على قواعد

منذر أبو سعيد

(١) «تذكرة السامع والمتكلّم»: (ص: ١٤٤).

(٢) «فضل العلم»: ميرزا زمانلي: (ص: ١٤٤).

(٣) «شرح الإحياء»: (١/ ٢٣٤).

(١) رواه أحمد. وهو في صحيح الجامع برقم (٣٧٧٨).

(٢) رواه مسلم (٢٣٥٧).

وضوابط مأخوذة بالتبع والاستقراء من الكتاب والسنة ترجع إليها أحكام الكتاب والسنة، وهذه من أهم ما يكون لطالب العلم. متى تجد المشقة تجد التيسير. هذا أصل من الأصول مأخوذ من الكتاب والسنة.

من الكتاب قوله تعالى: **﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾** (سورة الحج: ٧٨). ومن السنة قول النبي ﷺ لعمران بن حصين: **«صَلَّ قَائِمًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ»**^(١). وقال: **«إِذَا أَمْرَتُكُمْ بِأَمْرٍ فَاتَّوْ مِنْهُ مَا أَسْتَطِعْتُمْ»**^(٢). هذا أصل لو جاءت ألف مسألة بصور متنوعة لأمكنك أن تحكم على هذه المسائل بناء على هذا الأصل، لكن لو لم يكن لديك هذا الأصل وتأتيك مسألتان أشكال عليك الأمر.

كذلك أيضاً قال: «من رام العلم جملة ذهب عنه جملة» هذا أيضاً له وجاهة صحيح إذا أراد الإنسان أن يأخذ العلم جميماً فإنه يفوته العلم جميماً، لأن هذا لا يمكن، لابد أن تأخذ العلم شيئاً فشيئاً، كسلم تصعد عليه من الأرض إلى السطح، ليس العلم مأكول ككتب فيه العلوم، تأكل ثم تقول انتهى هضمت هذا العلم .. لا العلم يحتاج مرونة وصبر وثبات وتدريج، وقيل أيضاً: «ازدحام العلم في السمع مضلة الفهم» يعني كثرة استماع العلم توجب أن تضل في فهمك. وهذا أيضاً ربما يكون صحيحاً، فالإنسان إذا ملأ سمعه بما يسمع أو بصره بما يقرأ ربما ازدحمت العلوم عليه ثم تشتبه عليه ثم يعجز عن التخلص منها.

قال: «وعليه، فلابد من التخصيص والتأسيس لكل فن تطلبه بضيق أصله ومختصره على شيخ متقن». لابد من هذا ولو على شيخ أعلى منك بقليل، لأن بعض الناس إذا رأى طالباً من الطلبة يتميز عنه بشيء من التميز جعله شيخاً وعنه شيخ أعلم من هذا بكثير، لكن يجعل هذا الصغير شيخه لأنه بذلك شيء من مسائل العلم. وهذا

غير صحيح. بل اختر المشايخ ذوي الاتقان، وأيضاً نصيف إلى الاتقان وصفاً آخر هو الأمانة لأن الاتقان قوة، والقوة لابد فيها من أمانة: **﴿إِنَّ خَيْرَ مِنْ أَسْتَأْجِرَتِ الْقُوَّىٰ الْأَمِينَ﴾** (سورة القصص: ٢٦). ربما يكون العالم عنده اتقان وعنه سعة علم وعنه قدرة على التفريع وعلى التقسيم وعلى كل شيء، لكن ليس عنده أمانة، فربما أصلك من حيث لا تشعر. «لا بالتحصيل الذاتي وحده» يعني لا تأخذ العلم بالتحصيل الذاتي، إن تقرأ الكتب فقط دون أن يكون لك شيئاً معتمدأً، ولهذا قيل: «من كان دليلاً كتابه كان خطأه أكثر من صوابه». أما من أخذ عن عالم، عن شيخ فإنه يستفيد فائدتين عظيمتين:

الفائدة الأولى - قصر المدة.

الفائدة الثانية - قلة التكلف.

وفيه فائدة ثالثة - هي أن ذلك أحرى بالصواب، لأن هذا الشيخ عالم مستعلم مرجع، فيعطيك الشيء ناصحاً، وإن كان عنده شيء من الأمانة فإنه يمرنه على المراجعة والمطالعة. أما من اعتمد على الكتب فإنه لابد أن يكرس جهوده ليلاً ونهاراً، ثم إذا طالع الكتب التي يقارن فيها بين أقوال العلماء، فسيقت أدللة هؤلاء، أدللة هؤلاء. من يدله على أن ذلك أصوب؟ يقى متثيراً. ولهذا نرى أن ابن القيم رحمه الله - عندما يناقش قولين لأهل العلم سواء في «زاد المعاد» أو في «إعلام المأمين» إذا ساق أدلة هذا القول وعلمه. تقول: هذا هو القول الصواب. ولا يجوز العدول عنه بأي حال من الأحوال، ثم ينقض ويأتي بالقول المناقض ويأتي بالأدلة، فتقول هذا هو القول الصواب. «أخذ الطلب بالتدريج» ثم استدل بالآيات.

في التوحيد: من أحسن ماقرأنا كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الله هاب وقد يسر الله في الآونة الأخيرة من خرج أحاديشه وبين ما في بعضها من سعف، والحق أحق أن يتبع.

في الأسماء والصفات: من أحسن ما قرأت «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن حشيشة، فهي كتاب جامع مبارك مفيد. وhelm جرا ... خذ من كل فن تريد طلبه كتاباً مختصراً فيه واحفظه.

ثانياً. ضبطه على شيخ متقن ولو قال: ضبطه وشرحه لكان أولى، لأن المقصود ضبطه وتحقيق الفاظه وما كان زائداً أو ناقصاً، وكذلك الشرح. استشرح هذا المتن على شيخ متقن، وكما قلنا فيما سبق أنه يجب أن يضاف إلى الاتقان صفة أخرى هي الأمانة.

ثالثاً. عدم الاشتغال بالمطولات وهذه مهمة جداً لطالب العلم، أن يتقن المختصرات أولاً حتى ترسخ المختصرات بذهنه ثم بعد ذلك يفيض إلى المطولات، لكن بعض الطلبة قد يغرس، فيطالع المطولات ثم إذا جلس مجلساً قال: قال صاحب الغني، قال صاحب المجموع، قال صاحب الإنصاف، قال صاحب الحاوي يُظهر أنه واسع الاضطلاع وهذا خطأ. نحن نقول أبداً بالمختصرات أولاً حتى ترسخ العلوم في «هناك، ثم إذا من الله عليك فاشتغل بالمطولات.

رابعاً. لا تنتقل من مختصر إلى آخر بلا موجب فهذا من باب الضجر التنتقل من مختصر إلى آخر، أو كتاب فوق المختصر إلى آخر هذه آفة عظيمة، تقطع على الطالب طلبه وتضيع على الطالب أوقاته، كل يوم له كتاب، بل كل ساعة له كتاب، هذا خطأ، إذا عزمت أن يكون قرارك الكتاب الفلاسي فاستمر، لا تقل أقرأ فصلاً في هذا الكتاب ثم تقول انتقل إلى آخر، فإن هذا مضيعة الوقت.

- فأمامك أمور لا بد من مراعاتها في كل فن تطليبه:
1. حفظ مختصر فيه.
2. ضبطه على شيخ متقن.
3. عدم الاشتغال بالمطولات وتفاريق المصنفات قبل الضبط والإتقان لأصله.
4. لا تنتقل من مختصر إلى آخر بلا موجب، وهذا من باب الضجر.
5. اقتناص الفوائد والضوابط العلمية.

6. جمع النفس للطلب والترقى فيه، والاهتمام والتحرق للتحصيل والبلغ إلى ما فوقه حتى تفيض إلى المطولات بسابقة موثقة.

أولاً. حفظ مختصر فيه، فمثلاً إذا كنت تطلب التحو فاحفظ مختصرأ فيه، فإن كنت مبتدئاً فلا أرى أحسن من متن الأجرمية^(١)، لأنه واضح جامع وفيه بركة ثم متن الألفية، ألفية ابن مالك. لأنها خلاصة علم التحو كما قال هو نفسه: أحصى من الكافية الخلاصة كما اقتضى فناً بلا خلاصة في الفقه: احفظ «زاد المستقنع» لأن هذا الكتاب مخدوم في الشرح والحوashi والتدرис، وإن كان بعض المتنون الأخرى أحسن منه من وجه، وإن أنه أحسن منها من وجه آخر من حيث كثرة المسائل الموجودة فيه، ومن حيث أنه مخدوم بالشرح والحوashi وغير ذلك.

في الحديث: متن عمدة الأحكام وإن ترقىت ببلغ المرام. وإذا كنت تقول إنما هذا أو هذا ببلغ المرام أحسن لأنه أكثر، ولأن الحافظ ابن حجر رحمه الله بين درجة الحديث، وهذا مفقود بالنسبة لعمدة الأحكام، وإن كان درجة الحديث فيها معروفة لأنه لم يضع في هذا الكتاب إلا ما اتفق عليه الشیخان. البخاري ومسلم.

(١) مطبوع بشرح سماحة الشیخ ابن عثیمین - رحمة الله - وهو من مطبوعات دار البصیرة.

أما إذا كان هناك موجب، كأن لم تجد أحداً يدرسك في هذا المختصر ورأيت شيئاً موثقاً بإتقانه وأمانته يدرس مختصر آخر فهذا موجب لا حرج عليك أن تنتقل من هذا إلى هذا.

خامساً. اقتناص الفوائد والضوابط العلمية وهذا أيضاً من أهم ما يكون الفوائد التي لا تكاد تطرق على الذهن أو التي يندر ذكرها والتعرض لها أو التي تكون مستجدة تحتاج إلى بيان حكم فيها، هذه اقتناصها قيدها، لا تقل هذا أمر معلوم عندي ولا حاجة إلى أن أقيدها، إن شاء الله أنا لا أنساها. فإنك سرعان ما تنساها.

أما الضوابط فنهايك بها، فأيضاً احرص على الاهتمام بالضوابط، ومن الضوابط ما يذكره الفقهاء تعليلاً للأحكام فإن كل التعليقات للأحكام الفقهية تعتبر ضوابط، لأنها تبني عليها الأحكام، فهذه أيضاً احتفظ بها. لأن كل علة يبني عليها مسائل كثيرة، إذ أن العلة ضابط يدخل تحته جزئيات كثيرة. مثلاً إذ قال: إذا شك في طهارة الماء أو لم يحاسسه، فإنه يبني على اليقين، هذا على كل حال تعتبر حكماً وتعتبر ضابطاً أيضاً يعلل، لأن الأصل بقاء ما كان على ما كان، فإذا شك في نجاسة طاهر فهو طاهر، أو في طهارة نجس فهو نجس لأن الأصل بقاء ما كان على ما كان. فإذا شك في نجاسة طاهر فهو طاهر، أو في طهارة نجس فهو نجس لأن الأصل بقاء ما كان على ما كان.

ولهذا لو أن الإنسان كلما مرّ عليه مثل هذه التعليقات ضبطها وحررها ثم حاول في المستقبل أن يبني عليها مسائل جزئية لكان في هذا فائدة كبيرة له ولغيره.

سادساً. جمع النفس للطلب والترقي فيه، والاهتمام والتحرق للتحصيل والبلوغ إلى ما فوقه حتى تفيسن إلى المطلولات بسبابلة موثقة هذا أيضاً مهم، أن الإنسان يجمع نفسه للطلب فلا يشتتها يميناً ويساراً يوماً يطلب العلم، يوماً يفكر أن يفتح مكتبة، يوم ثانٍ يقول: لا أروح إلى ميع الخضار. هذا ما هو صحيح.

جمع النفس على الطلب مادمت مقتنعاً بأن هذا منه جاك وسبيلك فاجمع نفسك عليك، وأيضاً اجمع نفسك على الترقى فيه، لا تبقى ساكناً فكر فيما وصل إليه

وألاك من المسائل والدلائل حتى تترقى شيئاً فشيئاً واستعن بن تثق به من زملائك وإنك، ولا تستحي أن تقول يا فلان ساعدني على تحقيق هذه المسألة بمراجعة الكتب الملاينة. الحياة لا ينال العلم به أحد.

قوله: «التحرق للتحصيل ...» معناه أن الإنسان يكون معه شغف كبير تحرق نفسه بال فوق المترفة التي هو فيها حتى تفيسن إلى المطلولات بسبابلة موثقة.

١٤

وكان من رأي ابن المالكي^(١). أن لا يخلط الطالب في التعليم بين علمين، وأن يقدم تعليم العربية والشعر والحساب، ثم ينتقل منه إلى القرآن. لكن تعقبه ابن خلدون بأن العوائد لا تساعد على هذا، وأن المقدم هو دراسة القرآن الكريم وحفظه: لأن الولد مدام في الحجر؛ ينقاد للحكم، فإذا تجاوز البلوغ؛ صعب جبره. أما الخلط في التعليم بين علمين فاكثر؛ فهذا يختلف باختلاف المتعلمين في الفهم والنشاط. وكان من أهل العلم من يدرس الفقه الحنفي في «زاد المستقنع» للمبتدئين، و«المقنع» من بعدهم للخلاف المذهبى، ثم «المغني» للخلاف العالى، ولا يسمح للطبقة الأولى أن تجلس في درس الثانية ... وهكذا؛ دفعاً للتشويش.

قوله: «تقديم تعليم العربية» وذلك لأنك لا يمكن أن يعرف القرآن إلا إذا تعلم العربية، ولكن من كان عربياً فليس من المسلم بأن نقول: تعلم العربية يعني توسيع فيها.

«والشعر والحساب» كيف نقدم الشعر والحساب على القرآن. هذا ليس بسلام.

لاء. وسبب ذلك أن الطلاب عندنا يتواردون شيئاً فشيئاً ولو راعينا الوافدين لاهملنا حق السابقين. لو قلنا مثلاً: لو جاء أناس جدد رجعنا مثلاً من زاد المستنقع إلى باب الطهارة ووصلنا مثلاً إلى كتاب الصلاة. جاء العام الثاني وفд ماذا نفعل؟ رجعنا لباب الطهارة، كان هذا ظلم للسابقين. ومعناه سبقى دائمًا أبداً من أول الكتاب هذا ما يستقيم.

واعلم أن ذكر المختصرات فالمطلولات التي يؤسس عليها الطلب والتلقي لدى المشايخ تختلف غالباً من قطر إلى قطر باختلاف المذاهب، وما نشأ عليه علماء ذلك القطر من إتقان هذا المختصر والتمرس فيه دون غيره. والحال هنا تختلف من طالب إلى آخر.

هذه الفقرة معناها صحيح. مثلاً: قد يكون الإنسان في بلد يتحولون مذهب الشافعي^(١). ستجد العلماء يبنون أصول التدريس على كتب المذهب الشافعي، في بلد يتبع فيه أهله مذهب الإمام أحمد تجد العلماء يدرسون كتب مذهب الإمام أحمد .. وهلم جره.

والحال هنا تختلف من طالب إلى آخر باختلاف القراء والفهم، وقوه الاستعداد وضعفه، وبرودة الذهن وتوقدّه.

نعم. وهناك أيضاً أسباب أخرى وهي: قوة الاستعداد للعلم وتلقيه وضعف ذلك، وكذلك كثرة المشاغل وقلتها. المهم أن الاختلاف وارد في كل شيء، لكن ما ذكره أولاً مبني على الغالب.

(١) الإمام محمد بن إدريس بن شافع بن السائب، ولد سنة مائة وخمسين، وتوفي سنة ٢٠٤، كان من الماقبِّلِين المتأخر حافظاً مقتطع النظر. (تهذيب التهذيب ٢٥/٩).

قوله: «لا يجمع بين علمين» الناس يختلفون في الفهم والاستعداد، فقد يكون سهلاً على المرء أن يجمع بين علمين. وقد يكون من الصعب أن يجمع بين علمي كل إنسان طيب نفسه، فإذا رأى من نفسه قدرة وقوة فلا بأس أن يجمع بين علمين ولكن ليحدِّر النشاط أو نشاط البدء، فإن نشاط البدء بمنزلة السفر، لأن بعض الناس أول ما يبدأ يرى نفسه نشيطاً فيريد أن يلتهم العلوم جميعاً، فإذا به ينكص على الوراء لأنَّ كبر اللقمة ومن كبر اللقمة فلابد أن يُغصَّ، حتى إذا رأيت من نفسك قدرة فلا يخلفها ما لا تطيق اتزن حتى تستمر.

قوله: «وكان من أهل العلم ...» صحيح من أهل العلم من يفعل ذلك إذا كان يدرس في الفقه الحنفي يدرس زاد المستنقع، لأن زاد المستنقع اختصار المقنع ثم ينتقل إلى تدريس المقنع، لأن المقنع فيه ذكر الروايتين والوجهين والقولين في المذهب بدون تعليل ولا دليل. وبعضهم ينتقل من بعد المقنع إلى الكافي قبل المغني، لأن الكافي يذكر فيه الخلاف المذهبى مع الأدلة، وبهذا يمتاز على المقنع، فهو يذكر الخلاف والأدلة سواء كانت الأدلة سمعية من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس الصحيح. أو عقلية. ثم بعد ذلك المغني، لأن الخلاف في المغني ليس مع أصحاب الإمام أحمد، بل مع أصحاب المذهب، فيرتقى من هذا إلى هذا.

الموفق رحمة الله سلك هذا التدرج، لكن له كتاب قبل المقنع، سلم للمقنع وهو عمدة الفقه كتاب مختصر أقل بكثير من زاد المستنقع من حيث المسائل، لكنها تشتمل على بعض الدلائل، يعني ليست جافة كزداد المستنقع، لكن فيها أدلة.

فالحاصل: أن ينبغي أن المعلم يرتقي بالطلبة درجة درجة حتى يتقنوا ما تعلموه.

قال: «ولا يسمح للطبقة الأولى أن تجلس في دروس الطبقة الثانية وهكذا دفعاً للتشویش»، لكن في النقطة الأخيرة لا أستطيع، ولهذا أجمع بين الصغير والكبير فيما نذرُّه من الكتب ونقول هذا الصغير الآن يذهب، ثم يبدأ يشي شيئاً فشيئاً حتى تقا...

وقد كان الطلب في قطربنا بعد مرحلة الكتاتيب والأخذ بحفظ القرآن الكريم يمر بمراحل ثلاثة لدى المشايخ في دروس المساجد: للمبتدئين، ثم المتوسطين، ثم المتمكنين:

ففي التوحيد: «ثلاثة الأصول وأدلةها»، «القواعد الأربع»، ثم «كشف الشبهات» ثم «كتاب التوحيد»، أريعتها للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى^(١) ..، هذا في توحيد العبادة.

وفي توحيد الأسماء والصفات: «العقيدة الواسطية» ثم «الحموية» و«التدمرية»، ثلاثتها لشيخ الإسلام ابن تيمية. رحمه الله تعالى. «الطحاوية» مع «شرحها» وفي النحو: «الأجرمية»^(٢). ثم «ملحة الإعراب» للحريري، ثم «قطر الندى» لابن هشام، و«الافية ابن مالك» مع «شرحها» لابن عقيل.

وفي الحديث: «الأربعين» للنبوبي، ثم «عمدة الأحكام» للمقدسي، ثم «بلغة المرام» لابن حجر، و«المنتقى» للمجدد ابن تيمية. رحمهم الله تعالى. فالدخول في قراءة الأئمّات السّتّ وغيرها.

يقول رحمه الله وأطال في طاعته: ففي التوحيد: ثلاثة الأصول وأدلةها .. . هذا في توحيد العبادة. يعني يبدأ بالأصغر فالأخير. ثلاثة الأصول تدور حول: من ربك وما دينك ومن نبيك؟

(١) شيخ الإسلام مجدد العقيدة السلفية، الداعية الكبير والعلم الشهير ولد في العينية في كنف أبي القاضي، كان كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث، قرأ على بعض علماء المدينة، ورحل إلى البصرة، عاونه في دعوته محمد بن سعود حتى قضى على مظاهر الشرك وأقام دولة التوحيد. مات عام ١٢٠٦ هـ. (الأعلام/٦: ٢٥٧).

(٢) أبو عبد الله محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن آجر، ولد بفاس عام ٦٧٢ هـ. توفي بها عام ٧٢٣ هـ، ودرس بفارس ثم قصد مكة حاج، وعاشر بالقاهرة، درس على النحوي الأندلسي الشهير أبي حيان صاحب البحر المحيط.

«القواعد الأربع» تدور على قوله تعالى: «والعصر (١) إن الإنسان لفي حسر» (سورة العصر: ٢-١). الآية «كشف الشبهات» شبّهات بعض أهل الشرك التي أوردوها وأجاب عنها الشيخ رحمه الله بما تيسّر.

وفي توحيد الأسماء والصفات «العقيدة الواسطية» التي ألفها شيخ الإسلام ابن رحمه الله - وهي من أخصب كتب العقيدة وأحسن كتب العقيدة، وسميت الواسطية نسبة إلى واسط، لأن بعض قضايتها قدم إلى الشيخ رحمه الله وطلب منه أن يكتب ملخص في عقيدة السلف، فكتب هذه العقيدة المباركة.

قال: ثم «الحموية» و«التدمرية» وهم رسالتان أوسع من العقيدة الواسطية لكنها تجمع منهما لأنّه ذكر فيها الأسماء والصفات والكلام على الإيمان واليوم الآخر، ولريقة أهل السنة والجماعة ومنهجهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهي تجمع من التدمرية والحموية، لكن التدمرية والحموية متباذلان بأنهما أوسع منها في أب الصفات.

يقول: «فالطحاوية مع شرحها» وهي معروفة وصارت شائعة بين الناس الآن حيث نشرت في الجامعة الإسلامية.

قال: «وفي النحو «الأجرمية»» كتاب صغير في النحو، لكنه مبارك جامع مقسم بهل، وأنا أُنصح به كل مبتدئ بالنحو أن يقرأه، وكذلك «ملحة الإعراب» للحريري، ثم «قطر الندى» لابن هشام و«الافية ابن مالك» مع شرحها لابن عقيل .. . هكذا قال الشيخ بكر، لكنني أقول: «الأجرمية ثم الألّفية»، أما أن نحشوا أذهاننا بكتب تعتبر كالتكرار لا لها، فلا حاجة.

«ملحة الإعراب» هذه نظم فيه بيت مشهور بين الناس وهو:

إن تجذب عيّباً فسد الخلل ٠٠٠ جلا من لا عيّب فيه وعلا

شَرِحُ كِتَابِ حَلَيَهِ طَالِبُ الْعَالَمِ
كثير من الكتاب الذين يكتبون الكتب العلمية إذا انتهى من كتابه قال: إن تجاه
عيًا . . أنا اختار الأجرافية ثم ألفية ابن مالك، احفظها ثم استشرحها من رجل
عالِم بالنحو وفيها الخير الكثير.

وفي الحديث «الأربعين» للنووي، هذا كتاب طيب، فيه آداب ومنهج جيد
وقواعد مفيدة جدًا، في حديث واحد يبني المرء حياته عليه. «من حسن إسلام المرء تركه
ما لا يعنيه»^(١). هذه القاعدة إذا جعلتها هي الطريق التي تمشي عليها وتسير وكانت
كافية، وفي النطق: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(٢). فهي من
احسن ما ألف، ثم «عمدة الأحكام» للمقدسي، ثم «بلغ المرام»، وأرى أن يقتصر على
بلغ المرام لأن عمدة الأحكام داخلة في بلوغ المرام، أكثر أحاديثها موجودة في بلوغ
المرام، وبلغ المرام أوسع منها وأشد تحريرًا لكن:

إذا لم تستطع شيئاً فادعه . . وجاؤه إلى ما تستطيع
إذا قال: أنا ما أستطيع أن أحفظ بلوغ المرام لاسيما أنه يجيء صاحبه فلان
وضعفه فلان وهذه الحيرة.

قلنا له: إذا لم تستطع شيئاً فدعه، عندك عمدة الأحكام أي ساعة تريد أن تستدل
خذ حديثاً منها ولا حاجة أن تبحث عن صحته لأنها أحاديث منتخبة من البخاري
ومسلم. و«المتقى» للمجدد ابن تيمية، المتقى أكبر من بلوغ المرام لكنه أضعف. من
حيث بيان مرتبة الحديث.

قال: «فالدخول في الأمهات الست وغيرها» ما هي الأمهات الست؟ البخاري ومسلم
وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة. وسميت أمهات لأنها مرجع الأحاديث.

لِلْمُسْلِمَةِ الشَّرِيقَةِ بْنِ عَلِيِّهِ
إذا قال بعض العلماء، إذا رأيت حديثاً في غير الأمهات فلا تحكم عليه حتى تحرر
أيًّا، لأن هذه الأمهات التي اشتهرت بين المسلمين وأخذوها وتلقواها بالقبول وإن
كان فيها ضعف وربما موضوع أيضاً لكن اشتهرت واعتبرت بين المسلمين.

وفي المصطلح: «ذُخْبَةُ الْفِكْرِ» لابن حجر، ثم «الْأَفْيَةُ الْعَرَقِيُّ» . رحمة
الله تعالى .

ذُخْبَةُ الْفِكْرِ أَنْظَهَا ثَلَاثَ صَفَحَاتٍ تَقْرِيْبًا، لَكُنْهَا ذُخْبَةً. يَعْنِي إِنَّ اسْنَانَ إِذَا فَهَمَهَا
أَنَّا وَأَتَقْنَهَا، تُغْنِي عَنْ كِتَابَ كَثِيرٍ فِي الْمَصْتَلِحِ لَأَنَّهَا مُضْبُوْطَةً تَعَامِلًا وَلَهَا طَرِيقَةً غَرِيْبَةً
تَأْلِيفَهَا وَهِيَ السَّرْعَةُ وَالتَّقْسِيمُ، أَكْثَرُ الْمُؤْلِفَاتِ يَأْتِي الْكَلَامُ مَرْسَلًا يَعْنِي سَلْسَلًا.

لَكُنْ هُوَ - رحمة الله - اخترع هَذِهِ الطَّرِيقَةَ: الْخَبَرُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لِهِ طَرُقٌ مَحْصُورَةٌ
مَدَدٌ أَوْ غَيْرَ مَحْصُورَةٌ، وَالْمَحْصُورَةُ بَعْدَ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ يَذْكُرُ فَتَجَدُ أَنَّ إِنَّ اسْنَانَ إِذَا
أَهَا يَجِدُ نَشَاطًا لَأَنَّهَا مَبْنِيَةٌ عَلَى إِثْرَةِ الْعُقْلِ، وَأَنَا أَشِيرُ عَلَيْكُمْ أَيْمَانَ الْمُطَلَّبِ أَنَّ
مَلْفُولَهَا لَأَنَّهَا خَلَاصَةٌ وَزِيْدَةٌ . . نَعَمْ .

ثُمَّ «الْأَفْيَةُ الْعَرَقِيُّ» مَطْلُوْبَة، لَكُنِّي أَرَى أَنَّ إِنَّ اسْنَانَ يَقْتَصِرُ عَلَى فَهَمَهَا وَأَنَّهَا لَا حَاجَةٌ
إِلَى حَفْظِهَا، لَأَنَّهَا قَدْ يَكُونُ هَنَاكَ مَتُونٌ أَهْمَمُ مِنْهَا.

وفي الفقه مثلاً: «آدَابُ الْمَشِيِّ إِلَى الصَّلَاةِ» لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَابِ ثُمَّ
«رَادُ الْمُسْتَقْنَعِ» لِلْحِجَاؤِيِّ . رحمة الله تعالى . أو «عُمَدةُ الْفَقْهِ» ثُمَّ «الْمُقْنَعُ» لِلْخَلَافِ
المَذْهَبِيِّ، و«الْمَغْنِيُّ» لِلْخَلَافِ الْعَالَمِيِّ، ثَلَاثُهَا لَابْنِ قَدَّامَةِ رحمة الله تعالى .

يعني بذلك: عمدة الفقه، المقنع، المغني. لكن غيره ذكر أربعة وهي: العمدة ثُمَّ
الْمُقْنَعُ ثُمَّ الْكَافِيِّ ثُمَّ الْمَغْنِيُّ .

(١) رواه الترمذى (٢٣١٧) وابن ماجة (٣٩٧٦).

(٢) سبق تخريرجه.

ولها شرح لابن سلوم مطول ومحضر مفيد جداً، فلذلك فأنا أرى أن البرهانية من الرحيبة للوجوه التي ذكرتها.

وفي التفسير: «تفسير ابن كثير». رحمة الله تعالى.

وهو جيد بالنسبة للتفسير بالآخر، لكنه قليل الفائدة بالنسبة لأوجه الإعراب اللغة وخير ما قرأت من أوجه الإعراب والبلاغة «الكاف» للزمخري^(١). وكل بعده فهم عيال عليه، أحياناً تجد عبارات الزمخشري منقوله نقاً، لكن تفسير مخشري فيه بلايا من جهة العقيدة لأنه معترض.

وفي أصول التفسير: «المقدمة» لشيخ الإسلام ابن تيمية. رحمة الله تعالى..

المعروف المقدمة في التفسير، وهي كتاب مختصر جيد مفيد.

وفي السيرة النبوية: «مختصرها» للشيخ محمد بن عبد الوهاب، «أصلها» لابن هشام، وفي «زاد المعاد» لابن القيم. رحمة الله تعالى..

أما السيرة النبوية المختصر والأصل مجرد تاريخ، أما زاد المعاد فإنه تاريخ وفقه السيرة، وقد يكون في التوحيد، وقد يكون في الأمور العملية.

كفى الناس بالكافى واقنع طالباً⁺⁺⁺ بمقنع فقهه عن كتاب مطول
واغنى بمعنى الفقه من كان باحثاً⁺⁺⁺ وعمدته من يعتمدها يحصل

وفي أصول الفقه: «الورقات» للجويني. رحمة الله تعالى. ثم «روضة الناظر» لابن قادمة. رحمة الله تعالى.

قفرة جيدة، الورقات من ورقة صغيرة إلى روضة الناظر، الفرق بينهما كبير لكن هناك كتب مختصرة جيدة في أصول الفقه يمكن أن يعتمد عليها، وربما تعينه أيضاً عن روضة الناظر، وأصول الفقه هي عبارة عن قواعد وضوابط يتوصل الإنسان بها إلى معرفة استنباط الأحكام الشرعية من أدلةها التفصيلية.

وفي الفرائض: «الرحيبة»، ثم مع شروحها، و«الفوائد الجلية».

أما الرحيبة فهي للرحيبي، وشرحها فهي متعددة، وأما الفوائد الجلية فهي للشيخ عبد العزيز بن باز^(٢). لكن أرى أن «البرهانية» أحسن من الرحيبة، البرهانية أجمع من الرحيبة من وجه، وأوسع معلومات من وجه آخر، ففي مقدمتها ذكر الحقوق المترتبة في التركة أو المترتبة في التركة المتعلقة بالإنسان ذكرها ولم تذكر في الرحيبة، وهي أخصب من الرحيبة وأجمع. أتى بالثلثين، الرحيبي ذكر أربعة أبيات، والبرهانى ذكر بيت واحد فقال:

والثلثان لاثنتين استوتا⁺⁺⁺ فصارا ثمن له النصف أكبر

(١) الإمام العلم مجده القرن شيخ الإسلام أبي عبد الله ولد سنة ١٣٣٠ هـ. ولازم شيخه محمد بن إبراهيم فترة من الزمن، ولـي القضاء، ثم التدريس في كلية الشريعة، ثم رئيساً للجامعة الإسلامية، ثم رئيساً للإفتاء، وكانت وفاته في يوم الجمعة ٢٨ من المحرم ١٤٢٠ هـ. تغمده الله برحمته.

(٢) أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري اللغوي، كان يضرب به المثل في علم الأدب وال نحو، وصنف تصانيف في التفسير وشرح الأحاديث، ورد «مرو» وخرج إلى العراق، وجاور بمكة سنتين، مات ليلة عرفة من سنة ثمان وثلاثين وخمسين. الأنساب (٢/ ٣٧٣).

... وهكذا من مراحل الطلب في الفنون. وكانوا مع ذلك يأخذون بجرد المطولة، مثل «تاريخ ابن جرير»، وابن كثير، وتفسيرهما، ويركزون على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى، وكتب أئمة الدعوة وفتاواهم، لاسيما محرراتهم في الاعتقاد.

يتحدث الشيخ بكر عن طلب العلم في قطره - ليس عن الطلب عموماً - أنه الكتب التي يعنيها هي في قطرنا، وقد يكون ما يساوينها ويشابهها في الأقطار أخرى على هذا النمط، أما قوله: «يركزون على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه في القيم رحمهما الله تعالى» فهذا صحيح، وغالب المتأخرين يركزون عليهما، وكان أئمانتنا عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - يحثنا على قراءتهما. أي قراءة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم لأن فيهما من التحقيق والتحرير والتقييد لا يوجد في غيرهما، ونشر أن كلامهما ينبع من القلب، ولها يؤثر في زيادة الإيمان، وأما تمثيله أيضاً لتاريخ ابن جرير وابن كثير، فهذا أيضاً عن المراجعة فلا أثر، وأما أن يجعله الإنسان قراءة يقرؤها فهذا طويل، وربما يقطع عليه وقتاً شهماً. وقوله: «كتب الدعوة» المراد بها أيام الدعوة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الله وأحفاده ومن تلمنذ عليه.

وهكذا كانت الأوقات عامرة في الطلب، ومجالس العلم، وبعد صلاة الفجر إلى ارتفاع الضحى، ثم تكون القيلولة قبيل صلاة الظهر، وفي أعقاب جميع الصلوات الخمس تُعقد الدروس، وكانوا في أدب جم، وتقدير بعزة نفس من الطرفيين على منهج السلف الصالح رحمهم الله تعالى، ولذا أدركوا وصار منهم في عداد الأئمة في العالم جمّ غفير، والحمد لله رب العالمين. فهل من

وفي لسان العرب: العناية بأشعارها، كـ«المعلقات السبع» والقراءة في «القاموس» للفيروزآبادي ^(١) - رحمه الله تعالى ..

المعلقات السبع قصائد من أجمع القصائد، وأحسنها وأروعها، اختارتها قرية لكي تُعلق في الكعبة ولها تسمى المعلقات ^(٢). ولما ذكر ابن كثير رحمه الله «اللامي» لأبي طالب قال: هذه «اللامية» يُحقّ أن تكون مع المعلقات لأنها أقوى منها وأعظّ وفيها يقول أبو طالب:

لقد علموا أن ابننا لا مكذب ^{٠٠٠} لدinya ولا يعني بقول الأباطل

يعني: الرسول ﷺ. وهذه الشهادة للرسول ﷺ بأنه صادق، ولكن هذه الشهادة من أبي طالب لن تستلزم القبول والإذعان، ولذلك لم تُنفع وُحُدُل عند موته، فكان النبي ﷺ يقول له: «قل لا إله إلا الله» ولكن لم يقلها. نسأل الله العافية.

ويقول: «القراءة في القاموس» لكن هل تقرأ في القاموس أم تراجع القاموس الثاني، لأنك مهما قرأت لا تستفيد الفائدة المرجوة.

(١) محمد بن يعقوب بن الفيروزآبادي، الشيرازي، الشافعي، مجد الدين، أبو الطاهر، لغوي، مشارف في عدة علوم، له «المشهور» و«بصائر ذوي التمييز» في التفسير. توفي سنة ٨١٧هـ. انظر: إباء الغمر (١٥٩/٧)، وبغية الوعاة (٢٧٣/١).

(٢) أصحاب المعلقات هم: عترة بن شداد، أمرؤ القيس، طرفة بن العبد، زهير، ابن سليمي، الشابذاني، الأعشى، عمرو بن كلثوم.

وقال الحافظ عثمان بن خُرَّادَ (م سنة ٢٨٢ هـ) رحمه الله تعالى :
يحتاجُ صاحبُ الحديثِ إلى خمس، فإنْ عَدْمَتْ واحدةً، فمُنْقَصٌ، يحتاجُ إلى
عقلٍ جيدٍ، ودينٍ، وضبطٍ، وحذافةٍ بالصناعةِ، مع أمانةٍ تُعرَفُ منه». ﴿١﴾
قلتُ. أي الذهبي ^(٢) : «الأمانةُ جزءٌ من الدينِ، والضبطُ داخلٌ في الحذفِ،
فالذَّي يَحْتَاجُ إلَيْهِ الْحَافِظُ أَنْ يَكُونَ : تقياً، ذكياً، فَحْوِياً، لَغُوياً، زكيَا، حَيِّياً،
سَافِياً، يَكْفِيهِ أَنْ يَكْتُبَ بِيَدِهِ مِنْتَيِ مجلداً، وَيُحَصِّلَ مِنَ الدَّوَافِعِ الْمُعْتَبِرَةِ
خَمْسَ مِائَةَ مجلداً، وَأَنْ لَا يَفْتَرُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَى الْمَاتَ، بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ، وَتَوَاضِعٍ
وَالْأَقْلَى يَتَعَنَّ أَهـ». ﴿٢﴾

شروط ثقيلة من الذهبي - رحمه الله - أقول: لو بقينا على كلام الحافظ عثمان بن حرزاد لكان أحسن، يعني أهون علينا. الأمانة جزء من الدين فتدخل في قوله: «الدين» والضبط يدخل في الحفظ، لأن حدق الشيء - بمعنى فهمه وإدراكه جيداً، ثم من الخمس ثلاث، لكن دخل علينا أكثر من الثلاث: يحتاج أن يكون تقياً، وهذا

١١) سیر اعلام النبلاء: (١٣ / ٣٨٠).

(٢) هو الإمام العلامة شيخ المحدثين قدوة الحفاظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايصر التركماني الذهبي . ولد سنة ٦٧٣هـ . سمع من ابن عساكر والدمياطي وابن بدران وغيرهم ، له مؤلفات كثيرة ومقدمة تقارب المائة . مات سنة ٧٤٨هـ رحمة الله . (البداية / ١٤ ٢٢٥).

عوده إلى أصالة الطَّلَبِ في دراسة المختصرات المعتمدة، لا على المذكَرات،
وفي حفظها لا الاعتماد على الفهم فحسب، حتى ضاع الطَّلَبُ فلا
حفظ ولا فهم.

قوله - وفقه الله - «الاعتماد على هذه المتون الأصيلة لا على هذه المذكرات» هذا صـ لأن المذكرات قد يكون واضعها من لا يعرف من هذا إلا معرفة سطحية، فتجده يـ كلمات من هذا وكلمات من هذا، ولا يكون كلاماً محرراً متناسقاً، لكن هذه الكـ الأصيلة القديمة محررة ومتناسبة، مخدومة، وكذلك أيضاً الحفظ. أي علم بلا حـ يزول سريعاً وكان زمان يعيشون علينا، يقولون لا تتعب نفسك في حفظ المتن علىـ بالفهم، الفهم الفهم. لكن وجدنا أننا ضائعون إذا لم يكن عندنا حفظ، وما نفعناـ إلا بما حفظنا من المتون ولو لا أن الله نفعنا بذلك لضاع علينا علم عظيم.

فلا نفتر من يقول: الفهم. ولهذا هؤلاء الدعاة القائلون بالفهم لو سألهُم
نماشتهم لوجدهُم ضحلاً، ليس عندهم علم. **﴿كَسْرَابٌ بِقِعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَادِّاً جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾** (سورة التور: ٣٩).

وَفِي خُلُوِّ التَّلْقِينِ مِنَ الرَّغْلِ وَالشَّوَائِبِ وَالكَّدَرِ، سَيِّرُ عَلَى مِنْهَاجِ السَّلَفِ؟
وَاللَّهُ الْمُسْتَعْنَى.

ينبغي للعالم والمتعلم أن يكون التعليم والتعلم منهما خالياً من هذه العيوب بل ينبغي أن يكون صافياً بحيث يكون المعلم يريد بذلك إيصاله إلى الطلاب الإستعلاء عليهم أو إظهار علمه عليهم أو ما أشبه ذلك، ويكون التلميذ كذلك وطمأناً إلى ما يقول معلمه لأنه إذا كان يتعلم منه يقول إني أتعلم الآن، ولكن خرجت أبحث على عالم آخر. فكانه لم يأخذ عن هذا العالم أخذ وائق مستذكرة، وهذا يضيعه بلاشك. لكنه إذا أخذ عن العالم أخذ ملهم وائق،

سافياً: يعني يأخذ بطريق السلف في العقيدة والاداب والعمل والمنهج وفي كل لأن السلف هم صدر هذه الأمة الذين قال فيهم رسول الله ﷺ : **«خير الناس**

١١) ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم

بكفيه أن يكتب بيديه مئتي مجلد» ونعزي أنفسنا أن المجلدات عندهم قليلة قد
 ٥ صفحه، وقد يكون مجلد، فإن كان هذا هو المراد فعلل الله أن يعيننا عليه،
 ان مراده المجلد ٦٠٠ صفحه، فالواحد منا لو يبقى ليل نهار ما أظنه يكتب مائة
 ٥٠٠ مائه مجلد \times ٦٠٠ مجلد = ١٢٠ ألف !! «ويحصل من الدواوين المعتبرة
 أين من يقدر على تحصيل ٥٠٠ مجلد؟! على كل حال هم يقولون على قد
 (٢) **افتهم، ونحر: نقول الله المستعان!!**

وأن لا يفتر من طلب العلم إلى الممات» هذا صحيح فإن طالب العلم يجب ألا يفتر،
إلا عود نفسه الفتور والكسل اعتقاد ذلك. ومن طلب العلا سهر الليالي. ويقال:
العلم كلك يعطيك بعضه، وأعطيه بعضك يفتك كله. العلم يحتاج إلى تعب
لكتني أقول لكم: إن الإنسان إذا ترعرع في العلم سهل عليه أن يعرف أشياء
تكون في بطون الكتب لاسيما مع النية الخالصة وإرادة الحق والحكم بشرع الله،
الله تعالى يهبه علمًا لا يطرأ على باله ولا يجده في بطون الكتب، وكثيراً ما
مسألة من المسائل في الكتب في مظانها ثم لا يجدها، ثم إذا فكرنا في آية من
الله أو في حديث من سنة رسول الله عليه السلام وجدنا الحل، لأن بركة القرآن والسنة
ساهيها أى بركة.

وَالْمُخَارِقِ (٣٦٥٠) وَمُسْلِمٌ (٢٥٣٥).

قال ابن جرير لأصحابه: هل تنشطون لتأريخ العالم من آدم إلى وقتنا؟ قالوا كم قدره؟ فذكر نحو الملايين ألف ورقة. فقالوا: هذا مما تفني الأعمار قبل تمامه. فقال: إنا لله . . . ماتت لهم. فاختصر ذلك في نحو ثلاثة آلاف ورقة. ولما أن أراد أن يُملي التفسير قال لهم نحواً من ذلك، ثم أملأه على نحو من قدر التاريخ». (السير ١٤/٤٧٤).

صحيح، والتقوى رأس كل عبادة، وهي الأصل. والتقوى هي فعل أوامر الله واجتناب نواهيه، لأنه بذلك تكون الوقاية من عذاب الله.

«ذكياً» يعني ليس غبياً، بأن يكون عنده فطنة، وكم من إنسان حافظ وليس بذكره يكتبه ببديه مئتي مجلد» ونعزي أنفسنا أن المجلدات عندهم قليلة قد يكتبه ٥ صفحة، وقد يكون مجلد، فإن كان هذا هو المراد فعل الله أن يعيننا عليه، ناد مراده المجلد ٦٠٠ صفحة، فالواحد منا لو يبقى لي ليل نهار ما أظنه يكتب مائة مائة مجلد \times ٦٠٠ صفحة = ١٢٠ ألف !! «ويحصل من الدواوين المعتبرة ٥٠٠ لغويًّا» النحو هو الذي يعني بالإعراب والبناء، وهذا يختص بأواخر الكلمات، اللغوي يدخل فيه من علم الصرف وعلم فقه اللغة، وعلى هذا لابد من مراجعة كتب النحو، وكتب الصرف وكتب اللغة كالقاموس ولسان العرب وغير ذلك.

«ذكياً» الزكي والتقى معناهما متقارب، فإن ذكراً فينبغي أن يحمل التقى على من ترك المحرمات، والزكي على من قام باللآموات، ويعجبني أن أذكر لكم كلمة قالها شيخ الإسلام رحمة الله في أهل الكلام قال: «أنهم أتوا فهوماً وما أتوا علوماً» يعني عندهم فهم لكن ما عندهم علم. «وأتوا ذكاءً وما أتوا زكاءً». أذكياء لكن ليسوا أذكياء.

«حييأ» لكن بشرط لا يمنعه حياؤه من طلب العلم، ولهذا قال بعضهم: لا ينال
العلم حيي ولا مستكير. يكون حييأ، ولكن لا يمنعه ذلك من طلب الحق. أم سلمة
قالت: يا رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ إن الله لا يستحيي من الحق: هل على المرأة الغسل إِنَّ
حاتمت؟ قال: **نعم إذا هي رأت النساء** ^(١)

١١) رواه مسلم (٣١١).

يقول: «بنية خالصة وتواضع» نعم، هذا من أهم ما يكون. التواضع، أسأل الله يرزقني وإياكم التواضع للحق وللخلق، من أهم شيء لطالب العلم التواضع، لا التواضع من الأخلاق العظيمة التي قال الله فيها لرسول الله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم: ٤). فأعظم الناس تواضعًا رسول الله ﷺ.

قال: «وَإِلَّا فَلَا يَتَعْنَىٰ» فلا يتعب نفسه إذا لم يتصل بهذا، ولكن نقول عفواً عنك يا ذهبي ارجع إلى قول الله تعالى: ﴿فَأَتَقْرَأُ اللَّهُ مَا أَسْتَطَعْتُمْ﴾ (سورة التغابن: ١٦) ولنعامل الناس بما يمكن أن يقوم به وإلا فلا ننفر الناس.

لو قلنا للطالب يكفيك بأن تكتب ٢٠٠ مجلد، ويكتفيك بأن يكون عندك ٥٠٠ مجلد والأكمل ١٠٠٠ مجلد، لو قلنا للطالب هكذا لشُقْ عَلَى الطلب، لكن نقول: يكفيك أن تكتب بيديك ما تقدر عليه بشرط أن يكون عندك حرص ونشاط في طلب العلم.

١٧. تلقى العلم عن الأشياخ:

الأصل في الطلب أن يكون بطريق التلقين والتلقى عن الأساتيد، والمشافنة للأشياخ، والأخذ من أفواه الرجال لا من الصحف ويطوون الكتب، والأول من باب أخذ النسب عن النسّيب الناطق، وهو المعلم، أما الثاني عن الكتاب، فهو جماد، فما هي اتصال النسب؟

هذا أيضًا مما ينبغي على طالب العلم مراعاته، أن يتلقى العلم عن الأشياخ لا يستفيد بذلك فائدة، بل أكثر:

الفائدة الأولى - اختصار الطريق، بدل ما يذهب يقلّب في بطون الكتب وينظر ما هو القول الراجح، وما سبب رجحانه؟ وما هو القول الضعيف؟ وما هو سبب

٢٠٢ هذه لقمة سائفة ... المعلم يقول: اختلف العلماء في كذا على قولين أو أكثر، والراجح كذا، والدليل كذا. وهذا لاشك أنه نافع لطالب العلم.

المادة الثانية - السرعة، يعني سرعة الإدراك، لأن الإنسان إذا كان يقرأ على قوله يدرك بسرعة أكثر من ذهب يقرأ في الكتب، لأنه إذا ذهب يقرأ يردد العبارة.

أو خمس مرات، وربما فهم أيضًا على وجه خطأ غير صحيح.

المادة الثالثة - الرابطة بين طالب العلم ومعلمه، فيكون ارتباط بين أهل العلم أصغر إلى الكبر.

هذه من فوائد تلقى العلم على الأشياخ، لكن سبق أن قلنا أنه من الواجب حماية الإنسان من العلماء من هو كفاءة أمن قوي، يعني عنده علم وإدراك، علمه سطحيًا، وعنه أمانة، وكذلك أيضًا إذا كان عنده عبادة فإن الطالب يعلمته.

وقد قيل: «مَنْ دَخَلَ فِي الْعِلْمِ وَحْدَهُ، خَرَجَ وَحْدَهُ»^(١) أي: مَنْ دَخَلَ فِي طَلَبِ

الْعِلْمِ بِلَا شَيْخٍ، خَرَجَ مِنْهُ بِلَا عِلْمٍ، إِذَا الْعِلْمُ صَنْعَةٌ، وَكُلُّ صَنْعَةٍ تَحْتَاجُ إِلَى صَانِعٍ، فَلَا يَدْرِي إِذَا تَعْلَمَهُ مَنْ مُلْعَمُهَا الْحَادِقُ.

هذا أيضًا صحيح وقد قيل: أنه من كان دليله كتاباً خطأ أكثر من صوابه. هذا العالب بلاشك، لكن قد يندر من الناس من يكرّس جهوده تكريساً صحيحاً ما إن لم يكن عنده من يتلقى العلم عنده، فيعتمد اعتماداً كاملاً على الله عزّ وجلّ ليلاً نهار يحصل من العلم ما يحصل إن لم يكن له شيخ.

والدليل المادي القائم على بطلان نظرية ابن رضوان: أنك ترى آلاف الترافق والسير على اختلاف الأزمان ومر الأعصار وتتنوع المعرف، مشحونة بتسمية المسیوخ والتلاميذ، ومستقلٌ من ذلك ومستكثر، وانظر شذرة من المكثرين عن الشیوخ حتى بلغ بعضهم الألوف كما في «العزاب» من «الإسفار» لراقيمه. وكان أبو حیان محمد يوسف الأندلسي (م سنة ٧٤٥هـ)^(١) إذا ذكر عنده ابن مالك، يقول: «أين شیوخه؟».

وقال الوليد^(٢) :

كان الأوزاعي يقول: كان هذا العلم كريماً يتلاقا به الرجال بينهم، فلما دخل في الكتب، دخل فيه غير أهله.

وروى مثلاً ابن المبارك عن الأوزاعي. ولا ريب أن الأخذ من الصحف وبالإجازة يقع فيه خلل، ولا سيما في ذلك العصر، حيث لم يكن بعد نقطة ولا شكل، فتتصحّف الكلمة بما يحيل المعنى، ولا يقع مثل ذلك في الأخذ من أفواه الرجال، وكذلك التحديث من الحفظ يقع فيه الوهم، بخلاف الرواية من كتاب محررٍ أهـ.

ولابن خلدون مبحثٌ تفيس في هذا، كما في «المقدمة»^(٣) له. ولبعضهم: «من لم يشافه عالماً بأصوله... يقينه في المشكلات ظنون... وكان أبو حیان كثيراً ما ينشد:

وهذا يكاد يكون محل إجماع كلمة من أهل العلم، إلا من شذٌّ مثل: على ابن رضوان المصري الطبيب (م سنة ٤٥٣هـ)، وقد رد عليه علماء عصره ومن بعدهم. قال الحافظ الذهبي رحمة الله تعالى في ترجمته له: «ولم يكن له شيخ، بل اشتغل بالأخذ عن الكتب، وصنف كتاباً في تحصيل الصناعة من الكتب، وأنها أفقٌ من المعلمين، وهذا خطأ» أهـ.

وقد بسط الصفدي في «الوافي» الرد عليه، وعنه الزبيدي في «شرح الإحياء» عن عدد من العلماء معلين له بعده علـلـ، منها ما قاله ابن بطلان في الرد عليه^(٤) : «السادسة: يوجد في الكتاب أشياءً تصد عن العلم، وهي معدومة عند المعلم، وهي التصحيف العارض من اشتباه الحروف مع عدم اللفظ، والغلط بزوغان البصر، وقلة الخبرة بالإعراب، أو فساد الموجود منه، وإصلاح الكتاب، وكتابه ما لا يقرأ، وقراءة ما لا يكتب، ومذهب صاحب الكتاب، وسقمه النسخ، ورداعه النقل، وإدماج القارئ موضع المقاطع، وخلط مبادئ التعليم، وذكر الفاظ مصطلح علىها في تلك الصناعة، وألفاظ يونانية لم يخرجها الناقل من اللغة، كالنورس، فهذه كلها موعقة عن العلم، وقد استراح المتعلم من تكاليفها عند قراءته على المعلم، وإذا كان الأمر على هذه الصورة فالقراءة على العلماء أجدى وأفضل من قراءة الإنسان لنفسه، وهو ما أردنا بيانه ...»

قال الصفدي: ولهذا قال العلماء: لا تأخذ العلم من صحفى ولا من مصنفى، يعني: لا تقرأ القرآن على من قرأ من الصحف، ولا الحديث وغيره على من أخذ ذلك من الصحف ... أهـ.

(١) سير أعلام النبلاء: (١٨/١٨٠).

وانظر: «شرح الإحياء»: (١/٦٦)، و«بُغية الوعاء»: (١١/٢٨٦، ١٣١)، و«شذرات الذهب»: (١١/٥)، و«الغنية» لقاضي عياض: (ص ١٦-١٧).

(٢) «شرح الإحياء»: (١/٦٦).

يَظْنُ الْغَمْرُ^(١) أَنَّ الْكُتُبَ تَهْدِي
أَخَافُهُمْ لِإِدْرَاكِ الْعِلْمِ
وَمَا يَدْرِي الْجَهْوَلُ بِأَنَّ فِيهَا
غَوَامِضَ حَيْرَتُ عَقْلَ الْفَهِيمِ
إِذَا رُمِتَ الْعِلْمُ بِغَيْرِ شَيْخٍ
ضَلَّلَتْ عَنِ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
وَتَلَبَّسَ الْأُمُورُ عَلَيْكَ حَتَّىٰ
تَصِيرَ أَضَلَّ مِنْ «تُوْمَا الْحَكِيمِ»

٢٥

هذا الكلام فيما أشرنا إليه من قبل، أن الأخذ عن العلماء والمشايخ أفضل
الأخذ من الكتب، وبين ما نقله هنا في الرد على ابن بطلان. قال: «يوجد في الكتب
أشياء تصد عن العلم، وهي معروفة عند المعلم وهي التصحيف العارض من اشتباه الحروف
عدم النقط». وكان فيما سبق يكتبون بلا نقط في خطأ الإنسان، فمثلاً ربما تجد كلام
«بزة»: اشتريت بزة بصاع من تمر بدون مقابضة. إذا لم يكن فيها نقطه «بزة» تكون
«برة»، ومعلوم أنك إذا اشتريت بُرْ يتم بذرة بدون مقابضة فالبليع غير صحيح، فتختلط
الأحكام باختلاف النقط، كذلك «الغلط بزوغان البصر» فيرى الكلمة على صورة
حقيقةها لاسيما إذا كان الكتاب ليس جيداً؛ كذلك «قلة الخبرة بالإعراب» والإعراب له
في تغيير المعنى. وكذلك «إصلاح الكتاب» وكتابه ما لا يقرأ، وقراءة ما لا يكتب كل
يعترى من يأخذ العلم عن الكتاب، كذلك «منذهب صاحب الكتاب» ربما يكون مذهب
معتلي أو جهمي أو غيره وأنت ما تدرى، وكذلك «سقم النسخ» رداءة النقل، إنما
القاريء مواضع المقاطع يعني أن الكلمة لابد أن تقف عليها، فيأتي القاريء ليقرأ الكتاب
فيقرأ ما بعدها فيختلف المعنى، «وخلط مبادئ التعليم» بحيث لا يميز بعضها من بعض
يعنى أن الكاتب ربما لا يكون متقدماً للكتاب فيخلط هذا مع هذا، والمبتدء لا يعرف
اللفاظ مصطلح عليها في تلك الصناعة وهو لا يدرى مثل الكلمة في المصطلح «معظم
منقطع» أيش معنى منقطع؟ إذا لم يكن عنده علم أشكال عليه هذا الشيء.

الفصل الثالث

آداب الطالب مع شیخہ

١٨ - رعاية حرمـة الشـيخ:

بما أنَّ العلمَ لا يُؤخَذُ ابتداءً من الكُتُبِ بل لابدُ من شيخٍ تُقْنَى عَلَيْهِ مَفَاتِيحُ
الْطَّلَبِ؛ لِتَأْمَنَّ مِنَ الْعَثَارِ وَالزَّلَلِ؛ فَعَلَيْكِ إِذَا بِالْتَّحْلِيِّ بِرِعَايَةِ حَرْمَتِهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ
عَنْوَانُ النِّجَاحِ وَالْفَلَاحِ وَالْتَّحْصِيلِ وَالْتَّوْفِيقِ، فَلَيْكُنْ شِيَخُكَ مَحْلُّ إِجْلَالٍ مِنْكَ
وَإِكْرَامٍ وَتَقْدِيرٍ وَتَلَاطُفٍ، فَخُذْ بِمَجَامِعِ الْأَدَابِ مَعَ شِيَخِكَ فِي جُلُوسِكَ مَعَهُ،
وَالْتَّحَدُثُ إِلَيْهِ، وَحُسْنُ السُّؤَالِ وَالْأَسْتِمَاعِ، وَحُسْنُ الْأَدَبِ فِي تَصْفُحِ الْكِتَابِ أَمَامَهُ
وَمَعَ الْكِتَابِ، وَتَرْكُ التَّنْطَاوِلِ وَالْمَمَارَةِ أَمَامَهُ، وَعَدَمُ التَّقْدُمِ عَلَيْهِ بِكَلَامٍ أَوْ مَسِيرٍ أَوْ
إِكْثَارِ الْكَلَامِ عِنْهُ، أَوْ مُدَخَّلَتِهِ فِي حَدِيثِهِ وَدُرْسِهِ بِكَلَامِهِ، أَوْ الْإِلْحَاجِ عَلَيْهِ فِي
جَوَابِهِ؛ مُتَجَبِّنًا إِلَى إِكْثَارِ مِنَ السُّؤَالِ، لَاسِيَّمًا مَعَ شُهُودِ الْمَلَأِ، فَإِنَّ هَذَا يُوْجِبُ لَكَ
الْغُرُورَ وَلِهِ الْمَلَلُ.

اداب الطالب مع شيخه. وهذه من أهم الآداب لطالب العلم، أن يعتبر شيخه مربيناً، معلماً يلقي إليه العلم، ومربياً يلقي إليه الآداب، والتلميذ إذا لم يثق في هذين الأمرين فإنه لن يستفيد منه الفائدة المرجوة.

فمثلاً: إذا كان عنده شك في علمه، كيف يتفع به؟ إن أي مسألة ترد على
أن الشيخ سوف لا يقبلها حتى يسأل ويبحث، وهذا خطأ في التقدير من وجهه،
هذا في التصرف من وجه آخر. أما كونه خطأ في التقدير: فإن الشيخ المفروض
أنه لن يجلس للتعليم إلا وهو يرى أنه أهل، وأن التلميذ لم يأتي لهذا الشيخ إلا
يعتقد أنه أهل.

كثيراً وأنت جالس
أما في المنهج فلأن الطالب إذا سار في هذا السبيل وسلك هذا المنهج سوف
أكثـرـاـ بـقـلـبـكـ فـيـ غـيـرـ مـكـانـ الدـرـسـ، إنـ هـذـاـ يـفـوـتـكـ خـيـرـاـ

وقـتـكـ لـابـدـ أـنـ يـكـونـ مـلـوـكـاـ لـهـذـاـ الدـرـسـ.

هل من علامات حضور القلب تشخيص العين؟ لا ليس من العلامات، ولكنه
كون قرينة، وإن كان قرينة هشة، كذلك أيضاً «حسن الأدب في تصفح الكتاب
وأهـ وـمـعـ الـكـتـابـ» إذا تصفحت الكتاب تصفحه برفق لئلا يتمزق. «وترك التطاول
المـارـأـةـ أـمـامـهـ» والتطاول في الواقع ليس أمراً محسوساً مدرك بالحسن الظاهر، لكن
تشهد بأن هذا السائل متطاول، وقد يكون هذا بسوء ظن، وقد يكون بفراسة
التطاول معروف. كذلك المماراة يعني: يجادل الشيخ وإذا أجاب يقول: وإذا كان
إذا أجاب، يقول: إذا كان كذلك، يجيئه، ثم هذه مسألة فرضيته، يجيئه عن هذا
من، تحيب فرضاً آخر أضيق من الأول. هذه مماراة مالها داعي.

كذلك: «عدم التقدم عليه بكلام أو مسيير» الله المستعان، وهذا داء عندكم موجود،
إذا بعضكم يجيئ قبل أن أتكلم معه. «أو مسيير» أيضاً هذا سوء أدب، ومن ذلك
إذا تقدم الشيخ خارجاً من المسجد وكان حذاء الطالب عن يمين الشيخ وحذاء
الشيخ عن يساره خطى أمام الشيخ من الأمام ليأخذ الحذاء. هذا تقدم في المسير
عافية لسير الشيخ.

يقول أيضاً: «أو إكثار الكلام عنده» المجالس تختلف إذا كان مجلس علم
جـدـ فـلاـ تـكـثـرـ، لكنـ إـذـاـ كـانـ المـكـانـ نـزـهـةـ فـهـذـاـ لـاـ بـأـسـ أـنـ يـأـتـيـ أحدـ يـكـثـرـ
وـيـوـسـعـ صـدـرـ الشـيـخـ وـصـدـرـ الـحـاضـرـينـ مـاـ فـيـ مـانـعـ، كذلكـ أـيـضـاـ أوـ «مـدـاـخـلـتـهـ فـيـ
دـرـسـهـ وـدـرـسـهـ بـكـلـامـ مـنـكـ» يعني: الشيخ يتكلم، مستمر في كلامه، فتاتي أنت وتدخل
لقطع الكلام هذا لا يصح لا في الدرس ولا خارج الدرس، لأن هذا سوء أدب.
الإلحاح عليه في جواب، إذا سأله الشيخ قال: ياشيخ انتظر، أعاد، قال: انتظر.

علمـهـ عـلـىـ شـفـاـ جـرـفـ هـارـ، لأنـ نـفـسـهـ قـلـقـةـ، لـيـسـ وـاـنـقـاـ كـلـ الثـقـةـ فـيـ هـذـاـ الشـيـخـ الـ

قـرـأـ عـلـيـهـ وـلـهـذـاـ يـضـيـعـ عـلـيـهـ الـوقـتـ، وـيـضـيـعـ عـلـيـهـ التـحـصـيلـ.

وقـولـ شـيـخـناـ: «إـنـ الـعـلـمـ لـاـ يـؤـخـدـ اـبـتـدـاءـ مـنـ الـكـتـبـ» سـبـقـ الـكـلـامـ عـلـيـهـ، وـأـنـ يـرـىـ
لـابـدـ مـنـ الـقـرـاءـةـ عـلـىـ شـيـخـ، بـلـ لـابـدـ مـنـ شـيـخـ مـتـقـنـ. تـتـقـنـ عـلـيـهـ مـفـاتـيـحـ الـطـلـمـ

وـتـأـمـنـ مـنـ الـعـثـارـ وـالـزـلـلـ، فـعـلـيـكـ إـذـاـ بـالـتـحـلـيـ بـرـعـاـيـةـ حـرـمـتـهـ، فـإـنـ ذـلـكـ عـنـوانـ النـ

وـفـلـاحـ وـالـتـحـصـيلـ وـهـذـاـ كـمـ قـالـ الشـيـخـ وـاضـحـ.

«فـلـيـكـ شـيـخـكـ مـحـلـ إـجـالـ مـنـكـ وـإـكـرـامـ وـتـقـدـيرـ وـتـلـطـفـ» كـلـ هـذـاـ صـحـيـحـ وـلـكـنـ

نـحـنـ عـلـمـنـاـ بـذـلـكـ؟ وـالـلـهـ مـاـ أـدـرـيـ !!

لـكـنـ إـذـاـ كـانـ طـالـبـ يـرـُـ بـشـيـخـهـ وـلـمـ يـسـلـمـ هـلـ هـذـاـ عـمـلـ؟ـ هـذـاـ لـيـسـ بـأـهـلـ،ـ

أـنـ إـذـاـ جـاءـ شـيـخـهـ مـرـّـ مـرـ السـحـابـ وـعـجـلـ لـيـدـرـكـ.ـ هـذـاـ لـيـسـ مـنـ الـآـدـابـ،ـ نـحـنـ نـذـكـرـ

كـنـاـ طـلـبـةـ،ـ إـذـاـ رـأـيـنـاـ شـيـخـنـاـ مـنـ بـعـدـ نـقـفـ وـنـسـلـمـ،ـ وـمـثـلـاـ إـذـاـ كـنـاـ مـعـهـ نـدـخـلـ الـمـسـجـدـ

مـنـكـنـهـ أـنـ يـدـخـلـ قـبـلـنـاـ وـأـنـ شـخـصـيـاـ مـاـ أـرـيـدـ هـذـاـ.ـ أـنـ تـقـفـوـلـيـ وـأـدـخـلـ قـبـلـكـ،ـ وـلـ

أـرـيـدـ السـلـامـ الـذـيـ أـمـرـ بـهـ الرـسـوـلـ عـلـيـهـ سـلـاـمـ بـإـفـشـائـهـ،ـ وـكـذـلـكـ بـعـضـ النـاسـ يـرـمـيـ مـعـ زـمـيـلـهـ

يـصـنـعـ بـرـأـسـهـ هـكـذـاـ كـأـنـهـ يـسـبـحـ فـيـ الـمـاءـ.ـ وـهـذـاـ غـلـطـ أـيـضـاـ.

يـقـولـ أـيـضـاـ:ـ «ـفـخـدـ بـمـجـامـعـ الـآـدـابـ مـعـ شـيـخـكـ فـيـ جـلـوسـكـ مـعـهـ وـالـتـحـدـثـ إـلـيـهـ»ـ وـهـذـاـ

صـحـيـحـ.ـ اـجـلـسـ جـلـسـةـ الـمـتـأـدـبـ.ـ يـعـنـيـ مـثـلـاـ:ـ لـاـ تـمـدـ رـجـلـيـكـ بـيـدـيـهـ لـأـنـ هـذـاـ

أـدـبـ،ـ وـلـاـ تـجـلـسـ مـتـكـئـاـ،ـ هـذـاـ أـيـضـاـ سـوـءـ أـدـبـ وـلـاـ سـيـمـاـ فـيـ مـكـانـ الـطـلـبـ،ـ أـمـاـ إـذـاـ كـ

فـيـ مـكـانـ جـلـوسـ عـادـيـ فـهـذـاـ أـمـرـ أـهـوـنـ،ـ كـذـلـكـ أـيـضـاـ فـيـ التـحـدـثـ إـلـيـهـ لـاـ تـحـدـثـ إـلـيـهـ

شـيـخـ وـكـانـكـ تـحـدـثـ مـعـ قـرـيـنـكـ،ـ لـاـ يـسـتـقـيمـ هـذـاـ،ـ تـحـدـثـ إـلـيـهـ تـحـدـثـ الـابـنـ إـلـيـهـ

بـاحـتـرـامـ وـتـوـاضـعـ.

يـقـولـ:ـ «ـوـحـسـنـ السـؤـالـ وـالـاسـتـمـاعـ»ـ إـذـاـ سـأـلـ بـهـدـوـءـ وـرـفـقـ حـسـنـ الـاسـتـمـاعـ

أـيـضـاـ مـهـمـ،ـ بـعـيـثـ يـكـونـ قـلـبـكـ وـقـالـبـكـ مـتـجـهـ إـلـيـهـ مـحـدـثـكـ وـمـعـلـمـكـ،ـ لـاـ تـكـنـ جـالـ

هذا أيضاً غلط «متجنبًا الإكثار من السؤال» لأن بعض الناس يحب الإكثار السؤال، وقد يكون في غير موضوع الدرس، فيقول الشيخ لا تكثر. «لاسيما مع شهادة، فإن هذا يوجب لك الغرور ولهم الملل» صحيح. مثلاً في مجلس كبير تسأل بعض الناس حتى إذا جلسوا على المائدة أكثر الأسئلة هذا يسأل فإذا انتهى سأله آخر، فإذا أتاه سؤال ثالث ... وهكذا حتى يخرج الشيخ ولم يأكل الطعام وهؤلاء مستريحين.

ولا تُنادِه باسمِهِ مُجَرَّدًا، أو مع لقبه كقولك: يا شيخ فلان! بل قل يا شيخي! أو يا شيخنا! فلا تُسَمِّهِ: فإنه أرفع في الأدب، ولا تُخاطِبْه بـ«أبا الخطاب»، أو تُنادِيه من بعْدِ من غير اضطرار.

سبحان الله! هذا عتاب الآن «لا تُنادِه باسمِهِ» لا تقل يا محمد، يا عبد الله، على مُجَرَّدًا. أو مع لقبه مثل يا شيخ محمد، يا شيخ عبد الله، لا تفعل. بل تقول يا شيخي أو يا شيخنا. «فلا تُسَمِّهِ: فإنه أرفع في الأدب» وهل يقال مثل ذلك في مناسبات؟ لا تُنادِه باسمِهِ، وهل تخبر عنه باسمِهِ؟ وقع عن الصحابة أنهم يسمون آبائهم فيقول ابن عمر: قال عمر، وما أشبه ذلك من الكلام.

فيقال إن الخبر أهون من النداء، لأنك لو تنادي أباك فتقول: يا فلان! صار سوء الأدب، ولو تقول: قال فلان وكان هو مشهور بالعلم فلا بعد ذلك سوءًا، فلما كان في مقام مقال، وباب الطلب أشد يجب أن يكون أشد في الاحترام.

يقول: «ولا تُخاطِبْه بـ«أبا الخطاب» كيف تقول؟ يعني لا تقل: قلت أنت كذلك، قلت في الدرس الماضي كذلك وكذا لأن هذا فيه إساءة وسوء أدب وإشعار بذلك هذا الكلام أنت لا ترتضيه. إذاً ما تقول؟ تقول: قلنا كذلك، مر علينا كذلك.

«أو تُنادِيه من بعْدِ من أقصى الشارع يا فلان .. يا فلان! ما يصلح إلا ضرورة، فإن كان هناك ضرورة بحيث يكون عليه خطر هو أمامه حفرة، أما سيارات، أمامه أشياء خطر عليه هو، هنا لا بأس أن تنادي من بعيد.

وانظُرْمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى الْأَدْبِ مَعَ مُحَمَّدِ النَّاسِ
الْخَيْرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءَ بَعْضَكُمْ بَعْضًا﴾ (سُورَةُ
الْأَلْيَاءِ) ٦٣. الآية.

هذه الآية للعلماء في تفسيرها قولان:

القول الأول - لا تنادوه باسمه كما ينادي بعضكم بعضاً وهذا ما ساقه المؤلف
أجله.

والثاني - لا تجعلوا دعاء إياكم كدعاء بعضكم بعضاً، بل عليكم أن تحييوه
أدوا أمره وتحتبوا نهيه بخلاف غيره، فغيره إن دعاك إن شئت أجبت وإن شئت لم
يأجِب، لكن النبي عليه السلام إذا دعاك يجب أن تحيييه. لذلك قال العلماء: إن النبي عليه السلام إذا
ما إنساناً وهو في صلاة، وجب عليه أن يحيييه ولو قطعها.

في الآية قولان لأهل العلم، فعلى القول الأول: تكون دعاء مضافة إلى الفاعل
المفعول. يعني: لا تجعلوا دعاءكم الرسول كدعاء بعضكم بعضاً.

وإذا قلنا دعاء الرسول، يعني إذا دعاك الرسول فأحيييه، تكون مضافة إلى
الفاعل. لا تجعلوا دعاء الرسول إياكم كدعاء بعضكم بعضاً.

بناء على القاعدة التفسيرية: أن الآية إذا كانت تحتمل المعنين ولا منافاة بينهما،
هل يمكن أن نحملها على المعنين؟ نعم يمكن أن نحملها على المعنين.

وكما لا يليق أن تقول لوالدك ذي الأبوة الطينية: «يا فلان» أو «يا والدي فلان» فلا يحملُ بك مع شيخك.

۲۰۰

الأبوبة الطينية لا تقول لأبيك من النسب يا فلان، فكذلك أبوك في العلم لا
له يا فلان، والشيخ بكر لم يقل أن تقول لوالدك ذي النسب، ذي الأبوبة الطينية إشا
إلى حقارته بالنسبة لأب العلم، المعلم.

والالتزام توقيف المجلس، وإظهار السرور من الدرس والافادة به.

1

هذا أيضاً مهم، أن تُبدي السرور من الدرس والإفادة منه، وأن ترتبه بفأ
الصبر، أما أن تململ، مرة تقلب الكتاب، ومرة تخطط بالأرض، ومرة تطلع السوا
تسوك ومرة تزين الغُترة وما أشبه ذلك، هذا معناه الملل. ينبغي للإنسان أن يفرج
وأنه نزل في رياض يجني ثماره.

سَبِّ لَحْرَمَانَكَ مِنْ عِلْمِهِ، وَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْجُو مِنَ الْخَطَا سَيِّدًا؟

ولكن إذا بدا خطأً أو وهم من الشيخ هل تskت أم تنبهه، وإذا نبهته هل تنبهه في مكان الدرس أو في مكان آخر؟ هذا يجب التزام الأدب فيه.

نقول: لا يجوز لك أن تسكت على الخطأ، لأن هذا ضرر عليك وعلى شيخك، فإنك إذا نبهته على الخطأ وانتبه أصلاح الخطأ. وكذلك الوهم قد يتوجه، قد يسوق الإنسان إلى كلمة لا يريد لها فلابد من التنبيه. لكن يبقى هل تنبهه في مكان الدرس أو خارجه؟ هذا ينظر في القرار تنبهه في الحال أن تنبهه في الدرس مثل حالنا الآن،

نبي أن تنبهونا في الدرس لأنّا عندنا الأخ موسى والأخ عبد الله وكل واحد ما
أ، الله ماسك بمسجل فإذا لم يصلح الخطأ في حينه، نشر هذا العلم على خطأ،
من التنبية في مكان الدرس. أما لو كان لا يحضر ولا يسمع هذا الوهم أو هذا
إلا الطالب فإن من الألائق ألا تنبهه في مكان الدرس، بل إذا خرج تلتزم الأدب
وتقشي معه وتقول: سمعت كذا وكذا فلا أدرى أو همتُ أنا في السمع أم أن
أخطأ مثلاً.

وَاحْذَرُ أَن تُعَامِلَهُ بِمَا يُضْجِرُهُ، وَمِنْهُ يُسَمِّيهِ الْمُؤْتَدُونَ: «حَرْبُ الْأَعْصَابِ»،

معنى: امتحانُ الشِّيخ على القدرة العلمية والتحمل.

هذا صحيح، بعض الناس يقول امتحن الشيخ، فيأتي بأسئلة معضلة ويبا
ال، كلما أجاب الشيخ في جواب إذا كان كذا الحكم وإذا كان كذا ويصعده مائة
جة بهذه التقديرات ويشوف هل يضجر ويمل ويغضب فما رأيه لو غضب الشيخ في
له الحال. هل يحق له ذلك؟ نعم. ولو طرد الطالب؟ هذا يُنظر فيه.

وأمّلكُ لقلبي في محبّتكِ والعاطفَ علىكِ ...
وإذا بدا لكَ الانتقالُ إلى شيخٍ آخرَ، فاستأذنْهُ بذلكَ، فإنه أدعى لحرّمتهِ.

إذا بدا لك أن تنتقل إلى شيخ آخر أو أن تتعلم من شيخ آخر علمًا آخر غير الذي علم على شيخك فإنه من الأدب أن تستأذن، للفوائد الذي ذكرها الشيخ يكر: لأنه أدعى لحرمه، وأملك لقلبه ومحبتك والعطف عليك. ثم إنه قد يعلم عن الشيخ الذي، تبد أنت الذهاب إليه ما لا تعلمه أنت فينصحك. لأن كثير من الشباب

(١) «معجم الاتاكي» لاحمد ابو سعد: (ص ٢٨٣)، تركيب مؤلد.

منذر أبو سعيد

شرح مذاب حلية طالب العلوم

الصغار قد يغترون بأسلوب أحدٍ من الناس وبيان فصاحة فيظنونه ذاك الرجل العظيم، لكنه على خطأ، لذلك فإستاندان الشيخ له فوائد، منها ما ذكره الشيخ بكر، ومنها ما أشرنا له الآن.

الى آخر جملة من الآداب يعرفها بالطبع كل موفق مبارك وفاءً لحق^(١) شيخك في «أبوته الدينية» أو ما تسميه بعض القوانين باسم «الرضاع الأدبي»، وتسمية بعض العلماء له «الأبوة الدينية» أليق، وتركته أنسٌ. وأعلم أنه يقدر رعاية حرمته يكون النجاح والفلاح، وينقدر الفوت يكون من علامات الإخفاق. تنبية مهم: أعيذك بالله من صنيع الأعاجم، والطريقية، والمبتدعة الخلفية، من الخوض الخارج عن آداب الشرع، من لحس الأيدي، وتقبيل الأكتاف، والقبض على اليمين باليمين والشمال عند السلام، كحال تودد الكبار للأطفال، والانحناء عند السلام، واستعمال الألفاظ الرخوة المتخاذلة: سيدٍ، مولاي، ونحوها من ألفاظ الخدم والعبيد.

«أعيذك بالله» معنى هذه الجملة يريدها التحذير من هذا «لحس الأيدي» هذا ما سمعناه أن يخرج الإنسان لسانه ويلحس الأيدي، لكن تقبيل الأيدي فلا بأس به ما لا يخرج عن حد الإفراط والزيادة، وتقبيل الأكتاف ليس أيضاً مذموماً، على كل حال عندما يأتي الإنسان من سفرٍ فلا بأس أن يقبل هامته وجبهته وكذلك بأكتافه لا يضر إلا إذا اقتضى ذلك إحناء، كذلك القبض على اليمين باليمين والشمال هذا أيضاً لا نرى فيه بأس، فإن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «علمني النبي ﷺ التشهد كفي بين كفيه» وهذا يدل على أنه يجوز أن يقبض الكف بين الكف، وإذا اعتاد الناس أن يفعلوا ذلك عند السلام فلا حرج لأنه ليس فيه نهي، صحيح أن المصافحة باليد مع اليد فقط، لكن

(١) «مقاصد الشريعة» لعلال الفاسي: (ص ٢٣).

منذر أبو سعيد

منذر أبو سعيد

(١) «أذن»: (٤٢-٤٣).

منذر أبو سعيد

رسالة الشيخ ابن تيمية

عن باب إظهار الشفقة والإكرام كما هو معروف الآن، فلا نرى أن في ذلك بأساً، الإنحناء عند السلام، هذا حلق ذميم لأنه ورد النهي عن ذلك. استعمال الألفاظ الرخوة المتخاذلة: سيدٍ، مولاي» هذا ما لها داعي، وإلا حقيقة الشيخ سيد إلى تلميذه ولكن ينبغي أن يتخاذل أمامه حتى يقول: سيدٍ، أو يقول لأن، ولكن مع ذلك هو جائز من حيث الشرع.

وانظر ما يقوله العلامة السلفي الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الجزائري (م سنة ١٣٨٠ هـ) رحمه الله تعالى في «البصائر» فإنه فائق السياق^(١).

أحالنا إلى هذا الكتاب المسمى «البصائر» فإنه فائق السياق لا أعرف الكتاب هذا أطلاعه.

١٩. رأسٌ مالك. أيها الطالب. من شيخك:

القدوة بصالح أخلاقه وكريم شمائله، أمّا التلقي والتلقين، فهو ريح زائد، لكن لا يأخذك الاندفاع في محبة شيخك فتقع في الشناعة من حيث لا تدري وكل من ينظر إليك يدرّي، فلا تُقلّدْه بصوتٍ وتَفْمِةٍ، ولا مشية وحركة وهيئة، فإنه إنما صار شيخاً جليلاً بتلك، فلا تَسْقُطْ أنت بالتبَعَيَّةِ له في هذه.

هذا من أهم ما يكون إذا كان شيخك على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة والشمائل الطيبة، فهنا اجعله قدوة لك، لكن قد يكون الشيخ على خلاف ذلك أو

٢. نشاط الشيخ في درسه:

يكون على قدر مدارك الطالب في استماعه، وجمع نفسه، وتفاعل حاسيسه مع شيخه في درسه، ولهذا فاحذر أن تكون وسيلة قطع لعلمه، لا كساً، والفتور، والاتكاء، وانصراف الذهن وفتوره.

قال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى: ^(١) «حق الفائدة أن لا تُساق إلا إلى مُبْتَغِها، ولا تُعرض إلا على الراغب فيها، فإذا رأى المُحدَّثُ بعضَ الفَتُورِ من المستمع، فليُسْكُنْهُ، فإنَّ بعضَ الأدباء قال: نشاطُ القائل على قدرِ فَهْمِ المستمع». ثم ساق بسنده عن زيد بن وهب، قال: «قال عبد الله: حدث القوم ما رَمَقُوك بِأَبْصَارِهِمْ، فإذا رأيْتَ مِنْهُمْ فَتْرَةً، فانزِعْ» أهـ .

هذه أيضًا من حلية الطالب: أن يكون له همةً وقوةً في الاستماع إلى الشيوخ
اباع نطقه حتى ينشط الشيخ على هذا، ولا يُظهر للشيخ أنه قد ملّ وتعب بالإكاء
ارة والحملقة فيه تارة، أو تقليل الأوراق تارة وما أشبه ذلك، ولا ينبغي للإنسان أن
في العلم بين الطلبة ولا بين عامة الناس إلا وهم متशوقون له حتى يكون كالغيث
اصاب أرض يابسة فقبلته، أما أن يُكره أو يفرض نفسه فهذا أمر لا ينبغي. أولاً لأن
المائدة تكون قليلة، وثانياً ربما يقع في قلب السامع الذي أُكره على إلقاء هذه الكلمة
ثلاً يقع في قلبه كراهة إما للشخص وإما لما يلقيه الشخص، وكلا الأمرين مرءٍ،
أو همَا أن يُكره ما يلقيه الشخص.

على كل حال متى رأيت الناس متشوقين للكلام فتكلم، وإذا رأيت الأمر لا يناسب فلا تتكلم لا تشق على الناس، وهذا قد مرّ معنا في البخاري في حديث ابن

عنه نقص في ذلك، فلا تقتدي به في هذا ولا تقل إذا صار شيخ عنده خلق سوء اقتديت به .. تقول هذا. كان شيخي مثلاً. لأن الشيخ يكون قدوة. لكن بماذا؟ بالأخلاق السليمة والشمائل الكريمة وكذلك أنت، أما التلقى والتلقين فهو رائد، الواقع أن التلقى والتلقين هو الأصل، لأن التلميذ لم يأت للشيخ من أجل أتعلم منه الأخلاق فقط، بل من أجل أن يتعلم منه العلم أولاً ثم الأخلاق ثانياً، فـ الحقيقة أن التلقى والتلقين أمر مقصود كما أن الارتداء به في أخلاقه أمر مقصود أيضاً، ولهذا لو سألت أي طالب علم لماذا حضرت عند هذا الشيخ؟ لقال لا تلقى العلم، ولا يقول لأجعله قدوة لي في الأخلاق. وعلى كل فالشيخ شيخ في العادة وفي الأخلاق.

أما قوله: «لا تقلده بصوت ونفحة» فهذا صحيح لأن بعض الناس يملأه حبه لشيء أو لبعض الناس حتى يبدأ بتقليد صوته ونغمته. وكذلك: «ولا مشية وحركة وهيئة» هنا أيضاً ليس على إطلاقه بل يقال: إن كانت مشية الشيخ كمشية النبي عليه السلام فاقتدي به، لأن الشيخ قد وشك، ولكن لأن رسول الله عليه السلام قد وشك، وكذلك أيضاً الحركة، والحركة قد تكون في بعض العلماء حركة مقوته مثلاً لو تحرك بحركة الكلمة تحرك كل جسده. نعم هذا تقديره في هذا، لكن حركة تبين المراد أو تبين حركة النفس من انفعال هذا لا يأس بها، وربما تكون تشطط الطالب لأنك تجد فرقاً بين معلم يكره له حركات تُنبع عن المعنى وعما في نفسه من إحساسات، وبين معلم يسرد له العلم سرداً، وكانت في الطلب في المعهد العلمي في الرياض يأتينا واحد يدرسنا في النحو، ما شاء الله ولكن يتكلم ويتحرك كل شيء يحتاج إلى حركة يتحرك تجدها مشدودين معه تماماً، حتى لو كان عندنا نوم في الأول يطير عنا النوم. لكن يأتي واحد يتكلم يسرد الحديث سرداً قد يموت حيل الإنسان.

واما الشرط فتشير إلى أنك كتبته من سمعاه من درسه حتى يتبعن للقارئ ،
لكن لو لم تشر إلى هذا ، لظن القارئ أن الشيخ أملأه عليك إملاء ، وهناك فرق بين
الإملاء وبين كتابة الدرس الذي يلقيه الشيخ بدون أن يشعر أنه يُملي على الطلبة -
من ما يُسمى بالتقرير ، فرق بين الكتابة بالتقرير والكتابة بالإملاء ، لأن الإملاء سوف
دون محررًا ومنقحًا ، والشيخ لا يلقي كلمة إلا ويعرف متهاها ، لكن التقرير يلقي
الكلام هكذا مرسلاً رجما تدخل كلمات في بعض وربما سقطت كلمة سهواً وغير
ذلك ، ففرق بين التقرير وبين الإملاء .

ولذلك ينبغي أن يستأذن الشيخ ، فإن قال قائل : هل إقرار الشيخ إذن؟^(١) يعني أنه
رأى الطلبة يكتبون وسكت . هل يعتبر إذنًا؟^(٢) نعم . نقول هو إذن بشرط القدرة على
الإنكار ، فإن كان لا يقدر أن ينكر ، يخشى أن تثور عليه الطلبة وتهيج عليه الطلبة إن
الال لا تكتبون ، فلا تعتبر سكته إقرار .

٢٢. التلقّي عن المبتدع:

احذر (أبا الجهل) المبتدع ، الذي مَسَّهُ زَيْغُ العقيدة ، وغشّيَّته سُخْبَ
الخرافة ، يُحَكِّمُ الهوى ويُسَمِّيه العقل ، ويُعَدِّلُ عن النص ، وهل العقل إلا في
النص؟^(١) ويَسْتَمْسِكُ بالضعف ويُبْعِدُ عن الصحيح ، ويُقَالُ لهم أيضًا : أهل
الشبهات^(٢) ، وأهل الأهواء ، ولذا كان ابن المبارك^(٣) - رحمة الله تعالى -
يُسَمِّي المبتدعة : «الأصغر» .

Abbas: إنك لا تلقى على القوم الحديث إلا وأنت تعلم أنهم يحبون ذلك وإنما
تلقى عليهم . وهنا يسوق كلام الخطيب . وهذا صحيح: إلقاء المتكلم ناطقه على قدر
فهم المستمع ، وشطأته على قدر انتباه المستمع ، لأن الفهم مرتبة وراء الانتباه ، يتم
الإنسان أولاً ثم يفهم .

٢١. الكتابة عن الشيخ حال الدرس والمذاكرة:

وهي تختلف من شيخ إلى آخر ، فافهم . ولهذا أدب وشرط: أما الأدب ،
في ينبغي لك أن تعلمَ شيخك أنك ستكتب ، أو كتبَ ما سمعته مذاكرة . وأما
الشرط فتشير إلى أنك كتبته من سمعاه من درسه^(١) .

كيف تختلف من شيخ إلى آخر؟ بعضهم سريع ، وبعضهم يملي إملاء ، وبعضهم
يلقى إلقاء ، وبعضهم لا يستحق أن يكتب ما يقول ، ومثل هذا قد يكون إنسان يضيع
وقته في الجلوس إليه . وأيضاً يجب في مسألة الكتابة عن الشيخ يجب أن يتبع
الإنسان إلى مسألة مهمة ، يفوته بعض الكلمات من حيث لا يشعر فيكتب خلا
ما قال الشيخ .

ونحن الآن والحمد لله في هذا الوقت لا نحتاج أن يكتب الطالب حال إلقاء
الشيخ ، لماذا؟ لأننا عندنا تسجيلات ينقل لك كلام الشيخ من أوله إلى آخره وأنما
تستمع إليه وتقيد ما ترى أنه جدير بالتقيد .

ولابد أن تخبر الشيخ أنك ستكتب وإن كنت لابد أن تكتب أو تسجل تخبره أنك
سوف تسجل ، لأن الشيخ ربما لا يرضى أن تكتب عنه شيئاً .

وقال الذهبي - رحمه الله تعالى - : «إذا رأيت المتكلم المبتدع يقول: دعنا من الكتاب والأحاديث، وهات (العقل)؛ فاعلم أنه أبو جهل، وإذا رأيت السالك التوحيد ي يقول: دعنا من النقل ومن العقل، وهات الذوق والوجود، فاعلم أنه أبليس قد ظهر بصورة بشر، أو قد حل فيه، فإن جبنته منه فاهرب، والناصر عليه، وابن رك على صدره، واقرأ عليه آية الكرسي، واحتفظ به». (١)

二

يقول رحمة الله: «احذر أبا الجهل» يعني صاحب الجهل - «المبتدع الذي مسه العقيدة وغشته سحب الخرافه» وهذا التحليل الذي قاله الشيخ بكر لازم يجب احذر أهل البدع وصائغوا البدع بصياغة مغربية ممزخرفة، وهؤلاء الذين يتبعون أهواءهم في العقيدة يسمون ذلك العقل، والحقيقة أنه عقلٌ ولكن عقولهم عن الهدى إلى اتباع الهوى، فهم كما قال ابن القيم في أمثالهم: «هربوا من الرق الذي خلقوا وابتلوا برق النفس والشيطان» يعدل عن النص ويقول: دل العقل على الخلاف سبحان الله!! هل العقل يخالف النص؟ أبداً .. لا يمكن بأي عقل صريح خاليٌ الشبهات والشهوات يخالف النقل الصحيح أبداً، لكن العلة إما من النقل قد يكون غير صحيح أو من العقل قد يكون غير صريح، أما مع صراحة العقل وصحة النقل فلا يمكن أن يوجد تعارض إطلاقاً، ولهذا نعي الله سبحانه وتعالى عن المخالفة، للرسيل، نعي عليهم عقولهم يقول: **﴿أَفَلَا يَعْقُلُونَ﴾** (سورة يس: ٦٨).

فالعقل كما قال الشيخ: «هل العقل إلا في النص ويستمسك بالضعف ويبعد
الصحيح». وأكثر ما يكون ذلك في الوعاظ والقصاص تجدهم يحشون أدمغتهم
الأحاديث الضعيفة من أحاجا، تهسيح الناس، تهسيحاً أو تغبيساً.

باب بثال: **«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»** (سورة الإخلاص: ١). يقول: قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ مِنْ كُلِّ حِرْفٍ مِنْ سُورَةِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ أَلْفٌ طَائِرٌ، وَلِكُلِّ طَائِرٍ أَلْفٌ لِسَانٌ كُلُّهَا تَدْعُو إِلَيْهِ أَنْ يَهْدِيَهُ إِلَيْهَا الَّذِي قَرَأَهَا». من قال هذا؟! وأشياء غريبة وعجيبة في فضائل الأعمال كذلك هذا يقال لهم أيضاً أهل الشبهات مع أهل الجهل وأهل الأهواء، وكان المارك يُسمّي المبتدعة «الأصغر» وهذا وصف مطابق لوصوفه، فهم أصغر وإن أنفسهم، وكل من خالف النص فهو صغير.

اما كلام الذهبي: فالصوفية كل دينهم ذوق ووجد، والظاهر أن الذهبي رحمة
النكر من هؤلاء ولهذا شدد في تقبیح أوصافهم.

فإن جبنت منه فاهرب» يعني فإن عجزت عنه أن تناوله أو تناوله فاهرب، هذا الحكم، وإن فإن كنت تستطيع أن تجادله وأن تفهمه فاصرعيه صرعاً حسياً أو أورياً «فاصرعيه وابرك على صدره» هذا يدل على أنه حسي. «واقرأ عليه آية الكرسي بذهب الشيطان واحنقه».

الإنسان يسمع كلام الذهبي هذا في ظني أنه إذا صرעהه ثم برك على صدره ثم
عليه آية الكرسي ثم خنقه سيموت، لأنّه يكون خنقه حينئذ شديداً قوياً. ولكن
في كل حال الظاهر أنّ الشيخ الذهبي رحمه الله قد أصابه ما أصابه من هؤلاء
العافى من عفاه الله، لو ذهبت إلى بعض البلاد الإسلامية لوجدت من هؤلاء القوم
كما يذكر عنهم العلماء السابقون واللاحقون، يعني يصلون إلى حد الجنون،
ومن بالطبل، يضرّون بالعصم، على الأرض ويغترون.

و والصرف . فهل مجلس إليه ونأخذ منه هذا العلم الذي هو جيد فيه أم نهجره ؟
فأهـر كلام الشيخ أتنا لا نجلس إليه لأن ذلك يوجب مفسدتين :

المفسدة الثانية - اغترار الناس به، حيث يتوراد عليه الناس وطلبة العلم ويتلقون العارم، لا يفرق بين علم النحو وعلم العقيدة.

هذا نرى أن الإنسان لا يجلس إلى أهل البدع والأهواء مطلقاً، حتى إن كان لا علم العربية والبلاغة والصرف إلا فيهم، فسيجعل الله له خيراً منه، لأننا كوننا لهؤلاء ونتردد إليهم لا شك أنه يوجب غرورهم واغترار الناس بهم.

وكتب السير والاعتصام بالسنة حافلة باجهاز أهل السنة على البدعة، ومنابذة المبتدعة، والابتعاد عنهم، كما يبتعد السليم عن الأجرب المريض، ولهم قصص واقعات يطول شرحها^(١)، لكن يطيب لي الإشارة إلى رؤوس المقيدات فيها: فقد كان السلف رحمة الله تعالى يحتسبون الاستخفاف بهم، وتحقيرهم، ورفض المبتدع وبدعته، ويحذرون من مخالطتهم، ومشاورتهم، ومأكلتهم، فلا توارى نار سني ومبتدع.

وكان من السلف من لا يصلّي على جنازة مبتدع، فينصرف، وقد شوهد من العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم (م سنة ١٣٨٩هـ). رحمه الله تعالى - انصراوه عن الصلاة على مبتدع. وكان من السلف من ينهى عن الصلاة

وكان سهل بن عبد الله التستري لا يرى إباحة الأكل من الميّة .. للمبتدئ
عند الاضطرار، لاتنه باغ، لقول الله تعالى: **فمن اضطرَّ غير باغ ولا عاد** (سورة

وقال أيضاً . رحمة الله تعالى . ^(١) : وقرأت بخط الشيخ الموفق قال: سمعنا درسه . أي: ابن أبي عصرون . مع أخي أبي عمر وانقطعتنا، فسمعت أخي يقول: دخلت عليه بعد، فقال: لم انقطعت عنِّي؟ قلت: إنَّ ناساً يقولون: إنك أشعريٌ، فقال: والله ما أنا أشعري . هذا معنى الحكاية أهـ .

يُستفاد أنك لا ينبغي أن تجلس لمبتدع وإن كانت بدعته حقيقة كبدعة الأشعرية

وعن مالكٍ . رحمه الله تعالى . قال ^(٣) : « لَا يُؤْخَذُ الْعِلْمُ عَنْ أَرْبَعَةِ : سَفِيهٍ يُعْلَمُ السَّفَهُ وَإِنْ كَانَ أَرْوَى النَّاسَ ، وَصَاحِبِ بَدْعَةٍ يُدْعَوْ إِلَى هَوَاهُ ، وَمَنْ يَكْذِبُ فِي حَدِيثِ النَّاسِ ، وَأَنْ كُنْتَ لَا أَتَهْمَهُ فِي الْحَدِيثِ ، وَصَالِحٌ عَابِدٌ فَاضِلٌ إِذَا كَانَ لَا يَحْفَظُ مَا يُحَدِّثُ بِهِ ». »

في أيها الطالب إذا كنتَ في السَّعَةِ والاختيار، فلا تأخذُ عن مبتدئٍ: رافضٍ، أو خارجيٍّ، أو مُرجِّحٍ، أو قَدْرِيٍّ، أو قُبُوريٍّ، ... وهكذا، فإنك لَن تبلغَ مبلغَ الرجال - صحيحَ العَقدِ في الدِّينِ، متينَ الاتصالِ باللهِ، صحيحَ النَّظرِ، تَقْفُوا الأَثَرَ - إِلَّا بِهَجْرِ المبتدئِ وَبِدَعْهُمْ.

وظاهر كلام الشيخ - وفقه الله - أنه لا يؤخذ عن صاحب البدعة شيء حتى لا يتعلّق ببدعته. فمثلاً إذا وجدنا رجلاً مبتدعاً، لكنه جيد في علم العربية: البلا

.(١٢٩/٢١) : «المس» (١)

(٢) ينتسب الأشاعرة إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري البصري، وكان معتلياً فرجم الاعتزال وردد على المعزلة وبين تناقضهم، ومن مذهبة: أن الواجبات كلها سمعية، وأن العقل يوجب شيئاً، وأن الله صفات أزلية قائمة بذاته تعالى، دلتُّ أفعاله عليها، لا يمكن جحدها كـ

انظر : الملا و النجا للشهـ ستانـ (١/٩٤).

(٣) كما في : «الرس» : (٨/٦).

١) وفي رسالة «هجر المبتدع» لرافعه أصول مهنة في هذه المسألة.

البقرة: ١٧٣). الآية، فهو باغٌ ببدعته^(١). وكانتوا يطردونهم من مجالسهم، كما في قصة الإمام مالك. رحمة الله تعالى. مع من سأله عن كيفية الاستواء، وفيه بعد جوابه المشهور: «أظنك صاحبٌ بَدِعَةٍ، وأمْرَبُه، فَأَخْرَجَ، وَأَخْبَارُ السَّلَفِ مُتَكَاثِرَةٌ فِي النُّفُرَةِ مِنَ الْمُبَدِعَةِ وَهَجْرُهُمْ، حَذَرُوا مِنْ شَرِّهِمْ، وَتَحْجِيمًا لِأَنْتَشَارِ بَدِعِهِمْ، وَكَسْرًا لِنَفْوِهِمْ حَتَّى تَضَعُفَ عَنْ نَشَرِ الْبَدِعَةِ، وَلَأَنَّ فِي مَعَاشِرِ السُّنْنِ لِلْمُبَدِعِ تَرْكِيَّةً لِهِ لَدِيِ الْمُبَدِعِيِّ وَالْعَامِيِّ. وَالْعَامِيُّ مُشْتَقٌ مِنَ الْعُمَىِ، فَهُوَ بِيَدِ مَنْ يَقُودُهُ غَالِبًا.. وَنَرِيٌّ فِي كِتَابِ الْمُصْطَلَحِ، وَآدَابِ الْطَّلَبِ، وَأَحْكَامِ الْجَرْحِ وَالْتَّعْدِيلِ الْأَخْبَارِ فِي هَذَا»^(٢).

هـ

المؤلف - وفقه الله - حذر هذا التحذير المثير من أهل البدع، وهم جديرون بذلك ولا سيما إذا كان المبتدع سليط اللسان، فصيح البيان، فإن شره يكون أشد وأعظم ولا سيما إذا كانت بدعة مكفرة أو مفسقة، فإن خطره أعظم ولا سيما إذا كان يتظاهر أمام الناس بأنه من أهل السنة، لأن بعض أهل البدع عندهم نفاق، تجده عند من يخاف منه يتمسكن ويقول: أنا من أهل السنة وأنا لا أكره فلان ولا فلان من الصحابة وأنا معكم. وهو كاذب فمثل هؤلاء يجب الحذر منهم.

وقوله: «وكان من السلف من لا يصلي على مبتدع» على كل حال إذا كانت البدعة مكفرة فلا شك أن الصلاة عليه لا تجوز لقول الله تعالى لرسوله عليه السلام في المنافقين **«وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّا تَبَدَّلَ»** (سورة التوبة: ٨٤). هذا لا يصلي عليه، أما إذا كانت غير مكفرة فهذا ينظر فيما يترتب على ترك الصلاة عليه من المفسدة وعدمها، فإذا كان أهل السنة أقويلاً وكان أهل البدعة في عنفوان بدعهم، فلا شك أن ترك الصلاة عليهم

(١) «الفتاوى»: (٢١٨/٢٨)، انظرها، فهو مهم.

(٢) منها في: «الجامع» للخطيب، باب: تغیر الشیوخ إذا تباین أوصافهم: (١٢٧/١٠)، وفي كتاب «مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» للسامرياني: (ص ٢١٥-٢٥٥)، وهو مهم وفي (التحول المذهبي) من «الإسفار» لراقيه أمثلة من آثار مخالفتهم

لأن أهل السنة أقواء وهؤلاء في عنفوان دعوتهم، ربما إذا تركنا الصلاة عليهم كل بذلك ردعاً عظيماً لهم. وما ذكر عن الشيخ محمد بن إبراهيم رحمة الله في البلاد السعودية في زمانه يدل على قوته رحمة الله وصرامتها، حيث انصرف عن الصلاة على مبتدع. أيضاً الصلاة خلفه من باب أولى أن يحدن الإنسان منها، فإن بدعته مكفرة فإن الصلاة خلفه مع العلم بدعته المكفرة لا تصح. وإن كانت ذلك فالصحيح أن الصلاة خلفه صحيحة. لكن لا ينبغي أن يصلى خلفه، أما ما عن سهل بن عبد الله التستري^(١). الذي لا يبيح أكل الميّة للمبتدع، وإن اضطرر ذلك، فإن كان هذا المبتدع كافراً فإنه لا يباح له عند الله أكل الميّة ولا أكل مذكّاته، الله تعالى: **«لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا أَتَوْا وَآمَنُوا عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ أَتَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ أَتَوْا وَآخْسَطُوا»** (سورة المائدة: ٩٣). ولقوله تعالى: **«عَرَمَ زَيْنَهُ اللَّهُ الَّتِي أَخْرَجَ لِعَبَادَهُ وَالْطَّيَّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هُنَّ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَهُمُ الْقِيَامَةُ»** (سورة الأعراف: ٣٢). فدل هذا على أن الطيبات من الرزق والزينة التي أخرج لعباده ليست خالصة لغير المؤمنين يوم القيمة، بل يحاسبون عليها فإذا كانت مكفرة فنحن نقول: لا يحل له أن يأكل الميّة عند الاضطرار ولا الذكارة عند اختيار لكن نقول: تب من بدعتك المكفرة وكل كما يأكل المؤمنون.

وإن كانت مفسقة ففي ما قاله رحمة الله نظر، لأن الصحيح فيما قاله تعالى: **«فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادَ»** (سورة البقرة: ١٧٣). أي غير مبتعن لأكل الميّة **«وَلَا عَادَ»** غير معتمد لأكل ما يحتاج إليه. هذا هو الصحيح في الآية والدليل على أن هذا الصحيح، هو قوله تعالى: **«فَمَنْ اضْطَرَّ فِي مَحْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَحَاجِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لِلْمُؤْمِنِينَ»** (سورة المائدة: ٣). ومن العلماء من قال المراد بالباغي: الباغي على الإمام وليس

فأعلى معصية.

(١) سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أبو محمد. من كبار العباد والزهاد. توفي سنة ثلث وثمانين وثمانين، صفة الصفة (٤١/٤).

أما الأخذة عن علماء السنة، فاللعن العسل ولا تسأل. وفقك الله لرشدك، لتنهل من ميراث النبوة صافياً، ولا فليباً على الدين من كان باكيماً. وما ذكرته لك هو في حال السعة والاختيار، أما إن كنتَ في دراسة نظامية لا خيار لك، فاحذر منه، مع الاستعادة من شرّه، ولا تتحاذل عن الطلب، فأخشى أن يكون هذا من التوّلي يوم الرّحْفِ، فما عليك إلا أن تَتَبَيَّنَ أَمْرَهُ، وتَتَقَيَّ شَرَّهُ، وتكشف سِرْتَهُ.

هذا إحتراز جيد، قد يلجم الإنسان إلى المبتعد وذلك في الدراسات النظامية قد أب إلى التدريس في العلوم العربية مثلاً أو في العلوم الأخرى. هو مبتعد ومعروف من أهل البدع، ولكن ماذا تفعل إذا كنت لابد أن تدرس على هذا الشيخ؟

نقول: خذ من خيره ودع شرّه، إن تكلم أمام الطلاب في العقيدة فعليك بمناقشته كنت تقدر على المناقشة والإلّا فارفع أمره لمن يقدر على مناقشته واحذر أن تدخل معه نقاش لا تستطيع التخلص منه، لأن هذا ضرر لا عليك أنت، بل على القول الذي أرفع عنه، لأنك إذا فشلت أمام هذا الأستاذ مثلاً صار هذا كسر للحق ونصر الباطل، إن إذا كان عندك قدرة في مجادلته فعليك بذلك، وربما يكون في هذا مصلحة الجميع، مصلحة لك أنت يهديه الله على يديك ومصلحة له هو يهديه الله من بدعه.

وهل تقارن مثل هذا من أبلي بالدراسة مع الإختلاط على الوجه النظامي؟ فيه سهل. إن دعت الضرورة بذلك، إذا لم يكن هناك جامعات أو مدارس خالية من ذلك فهنا قد تكون هناك ضرورة، وفي هذه الحال يجب على الطالب أن يتبع عن الملوس إلى امرأة أو التحدث معها أو تكرار النظر إليها. يعني بقدر ما يستطيع مد عن الفتنة.

أما إذا كان من الممكن أن يدرس في مدارس أخرى خالية من الإختلاط أو بها نصف اختلاط، كما أن يكون النساء في جانب الرجال في جانب آخر

بليق الله ما استطاع.

ففي كلام سهل رحمة الله تفصيل: وهو إذا كانت بدعته مكفرة فلا يحل له أياكل من الميتة أو المذكاة ويحاسب على بدعته عند الله، وإن كانت غير مكفرة ففيه نظر أما في طرده من المجالس، فنعم يطردون من المجالس، وللشيخ أن يطرد مجلسه ما دون ذلك إذا رأى من أحد الطلبة أنه يريد أن يفسد الطلب عند زملائه وبحيث يعتدون على الشيخ ولا يهابونه ويحتقرونه، فله أن يطرده لأن هذا يعتد مفسداً يُطرد. والإمام مالك رحمة الله قال: ما أراك إلا مبتدعًا. لأن الذين يسألون عن مثل ذلك المبتدةعة. يسألون كيف استوى؟ يحرجون بذلك أهل السنة. يقولون أخبرني كيف استوى؟ والإخبار عن ذلك سهل. أن الله أخبرنا أنه قد استوى، وإن يخبرنا كيف استوى. وهل نعلم كيفية شيء لم نعلم به وهو غائب عنا؟ أبداً.

لو قال لك قائل: إني بنيت بيتي. فأنت قد علمت أنه بني بيته وتعلم كيف بنا البيت. لكن تعرف كيفية هذا البيت وما فيه من الحجر...؟ الجواب: لا إن كنت لتشاهده.

وقوله: «العامي من العمى» لم أعرف أنه اشتقت من العمى إلى الآن، فينظر ذلك هل هو من العمى أم هو من العموم، أي من عموم الناس. والعامي لاشك أنه هو الجاهل الذي لا يعرف؟

فيما أبليها الطالبُ كُنْ سَافِيَاً عَلَى الْجَادَةِ، واحذر المبتدةعةَ أَنْ يَفْتَنُوكَ، فِإِنَّهُمْ يُوَظِّفُونَ لِلْلَّاقِتَاصِ وَالْمُخَاتِلَةِ سُبُّاً، يَفْتَلُونَ تَعْبِيَدَهَا بِالْكَلَامِ الْمَسْعُولِ، وَهُوَ: (عسل) مقلوبٌ. وَهُطُولُ الدَّمْعَةِ، وَحُسْنُ الْبَزَّةِ، وَالْإِغْرَاءُ بِالْخِيَالَاتِ، وَالْإِدْهَاشُ بِالْكَرَامَاتِ، وَلَحْسُ الْأَيْدِيِّ، وَتَقْبِيلُ الْأَكْتَافِ .. وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ إِلَّا وَحْمُ الْبَدْعَةِ، وَرَهْجُ الْفَتْنَةِ، يَغْرِسُهَا فِي فَوَادِكَ، وَيَعْتَمِلُكَ فِي شِرَاكِهِ، فَوَاللَّهِ لَا يَصْلُحُ الْأَعْمَى لِقِيَادَةِ الْأَعْمَى وَإِرْشَادِهِمْ.

وجه آخر، لكن بدعته تبغض بكل حال. كذلك أيضاً «ولا يصحبونه»، صحبته تاليفاً واعونه فلا بأس، لكن بشرط أنك إذا رأيت من صلاحه فارقهه وتركته، لا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم» كل هذه إلى قيود. لا يسمعون كلامهم. إذا لم يكن في ذلك فائدة، فإن كان في ذلك بحيث يسمع كلامه ليرى ما فيه من الباطل ليرى ما يرد عليه فإن السماع هنا واجب، لأنك لا يمكن أن تُردد على قوم حتى تعرفهم إذ أن الحكم على السماع فرع من تصوره. وأيضاً لا تسمع عن أقوال أهل البدع من أعدائهم، بل من لأنه ربما تشوّه المقالة. فإن قلت: أنت قلت كذا وكذا. يقولون: أبداً ما قلنا، أيا يخطئ بعض الناس حين يحكم على شخص بالبدعة أو بالفسق دون أن يرجع الأصل، لابد من الرجوع إلى الأصل، لأنك إذا قلت: أنت قلت كذا وكذا لأحد أهل البدع.

قالوا: نحن لم نقل هذا. هذه كتبنا، تخسر كل الجولة ولا يوثق بكلامك أياً «لا يجادلونهم في الدين» هذا أيضاً يجب أن يقيّد، لأن الله تعالى قال: **«مَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**» (سورة النحل: ١٣٥). فلابد من المجادلة، كيف نعرف غيري عن الباطل إلا بالمجادلة والمناظرة. المجادلة التي يقصدها: المرأة. هذه تترك نفس، إذا علمنا أن الرجل يجادل مراءة ما يقصد الحق فهذا يترك.

وانظر إلى قصة أبي سفيان حيث جعل ينادي يوم أحد: أفيكم محمدًا، أفيكم أبا قحافة، أفيكم عمر. قال النبي ﷺ: **«لَا تجِيبُوهُ** لماذا؟ إهانة له وإذلاً وعدم الـ له. فلما قال: «أعل هيل» وافتخر بصنمه قال: **«أجِيبُوهُ**» الآن ما يمكن كوت. قالوا. ما نجيّبه؟ قال: قولوا: **«اللَّهُ أَعْلَى وَأَجْلٌ**» إذا كان صنمك قد علا، أعلى وأجل. ثم قال: يوم بيوم بدر وال Herb سجال. يوم بدر لمن؟ ويوم أحد؟

ألا المشركين؟ قالوا له: «لا سوا فلتلانا في الجنة وقتلناكم في النار».

ومن النُّفُرِ الطريفة أنَّ أبا عبد الرحمن المُقرئَ حدَثَ عن مُرجِّعٍ، فقيل له: لِمَ تُحدِثُ عن مُرجِّعٍ؟ فقال: «أَبِي عُكْمَ اللَّحْمَ بِالْعِظَامِ» . فالمُقرئ رحمة الله تعالى . حدَثَ بلا غَرَرٍ ولا جَهَالَةٍ، إذ بيَّنَ فقال: «وَكَانَ مُرجِّعًا» .

إلى ماذا تشير هذه القصة؟ أَبِي عُكْمَ اللَّحْمَ بِالْعِظَامِ . الباء هنا للمصاحبة والمعنى معناها: ما من لحمة إلا وفيها عظم. فأنا أَحَدُكُمْ بما حدث به، وأقول «وَكَانَ مُرجِّعًا»، فيكون العظم هنا في الوسط.

وما سطّرته لك هنا هو من قواعدِ معتقدِكِ، عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعة، ومنه ما في «العقيدة السُّلَفِيَّةِ» لشِيخِ الإِسْلَامِ أَبِي عُثْمَانَ إِسْمَاعِيلَ أَبْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الصَّابِوْنِيِّ (مِنْ سَنَةِ ٤٤٩هـ) ، قال . رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى : «وَيُبَغْضُونَ أَهْلَ الْبَدْعِ الَّذِينَ أَحَدُثُوا فِي الدِّينِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، وَلَا يُحِبُّونَهُمْ، وَلَا يَصْحِبُونَهُمْ، وَلَا يَسْمَعُونَ كَلَامَهُمْ، وَلَا يُجَادِلُونَهُمْ، وَلَا يُنَاظِرُونَهُمْ، وَلَا يُرَوُنَ صُونَ آذانِهِمْ عَنْ سَمَاعِ أَبَاطِيلِهِمُ الَّتِي إِذَا مَرَّتْ بِالآذانِ، وَقَرَّتْ فِي الْقُلُوبِ، ضَرَّتْ، وَجَرَّتْ إِلَيْهَا مِنَ الْوَسَاسِ وَالْخَطَرَاتِ الْفَاسِدَةِ مَا جَرَّتْ، وَفِيهِ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلَهُ: **«وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخْرُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَاعْرُضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخْرُضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ»** (سورة الأتّام: ٦٨) . أَهـ .

كلام الصابوني رحمة الله يحتاج إلى بيان. قوله: «وَيُبَغْضُونَ أَهْلَ الْبَدْعِ الَّذِينَ أَحَدُثُوا فِي الدِّينِ مَا لَيْسَ مِنْهُ» لاشك أن هذا أمرٌ واجب على كل مسلم أن يُبغض دين الله ما ليس منه، لكن إذا كانت بدعته غير مكفرة فإنه يبغض من وجهه وبـ

٢٠٣ تدل على إقرارهم على ذنبهم، وما أشبه ذلك. وهذا لا شك أنه سعى في الأرض بالفساد.

وتشكيك الناس، وحق لمن هذه حاله أن يفعل به أمير المؤمنين رض ما فعل . وفيه
أن بعض الناس قد يورد المشابهات لاشتباهها عليه حقيقة، وهذا لا يلام . وقد
المشابهات لأنها في الأصل لم يركز نفسه على إرادة الجمع بين النصوص، فتجده
ما يتبع الأشياء المشابهة ثم يأتي فيجمع بين كذا وكذا وهذه حقيقة مهنة ليست
أبداً، وأذكر أن محمد الخليوني رحمه الله كان له حاشية على متن «الممتع» وكان كلما
بحث . قال: يحتمل كذا ويحتمل كذا، فلقب عند بعض طلاب العلم بالشكاك،
لا يستقر على رأي، ولهذا ينبغي أن تأخذ نفسك طريقاً بأن تبني على الأمور
الصححة ولا تتبع المشابهات لأنك إن تتبع المشابهات ربما تزل .

والنَّوْوَىُ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . قَالَ فِي كِتَابِ «الْأَذْكَارِ»: بَابُ التَّبَرِّيِّ مِنْ أَهْلِ الْبَيْعِ وَالْمُعَاصِيِّ . وَذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِئَ مِنِ الْمُسَاقَةِ، وَالْحَالَةِ، وَالشَّاقَةِ . مِتَّفِقُ عَلَيْهِ .

الصالقة» هي التي ترفع صوتها باليابحة، «والحالقة»، التي تخلق شعرها تستعملها حلقته بالموسي أو نتفته باليد، «الشاققة» التي تشق الجيب عند المصيبة وإنما برىء الله عز وجل من هؤلاء الثلات لعدم إيمانهم بالقدر. ومن فعل من الرجال مثلهن كمه حكمهن، لكنه ذكر ذلك لأن الغالب أن هذا يقع من النساء، لأن الرجال ^أ تعملاً من النساء.

هذا أيضاً افترخ بقومه واستزل المسلمين، فلا بد من مجاوبته، قالوا لا سواء قاتلوا في الجنة وقتلواكم في النار.

«ويرون صون آذانهم ..» هذا صحيح، الإنسان الذي يخشى على نفسه من سوء البدع أن يقع في قلبه شيء، فالواجب عليه البعد وعدم السماع، وأما إذا كان من اليقين والقوة والثبات ما لا يؤثر عليه سماعها، فإنه إن كان في ذلك مصادمة، واستجبنا له أن يسمعها، وإن لم يكن له في ذلك مصلحة. قلنا أن الأول أن لا تسمعها لما في ذلك من ضياع الوقت واللغو. والآية واضحة. لكن كنت تزيد أن تعرف ما هم عليه من الباطل لترده فإنه لا يدخل في الآية الكريمة.

وعن سليمان بن يسار أن رجلاً يقال له: صبيح، قدم المدينة، فجعل يسأل عن متشابه القرآن؟ فأرسل إليه عمر^{رض} وقد أعد له عراجين التخل، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيح، فأخذ عرجونا من تلك العراجين، فضربه حتى دم رأسه، ثم تركه حتى برأ، ثم عاد، ثم تركه حتى برأ، فدعى به ليعود، فقال: إن كنت تريد قتلي، فاقتلي قتلاً جميلاً، فاذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري^{رحمه الله} باليمن: لا يجاسسه أحدٌ من المسلمين. رواه الدارمي^(١) . وقيل: كان متهماً برأي الخوارج.

هذا الحديث إذا صَحَّ سُنَّهُ فَإِنَّهُ يَدْلِي عَلَى شَدَّةِ عُمُرٍ فَعَلَيْهِ عَلَى أُولَئِكَ الَّذِينَ يَرِيدُونَ
الْمُتَشَابِهَ مِنَ الْقُرْآنِ، لَأَنَّهُ كَانَ يُورِدُ آيَاتٍ مُتَشَابِهَ، فَمثَلًا يَقُولُ: **﴿وَلَا يُؤْذِنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾** (سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ: ٣٦). ثُمَّ يَأْتِي بِالآيَاتِ الْأُخْرَى الَّتِي تَبَيَّنُ أَنَّهُمْ يَعْتَذِرُونَ وَلَا
يَقْبِلُ مِنْهُمْ، وَيَأْتِي يَقُولُ: **﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾** (سُورَةُ النِّسَاءِ: ٤٢). ثُمَّ يَأْتِي بِآيَاتٍ

(١) هو أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن التميمي الدارمي السمرقندى، الحافظ الشقة صاحب المنشور. قال أبو حاتم: هو إمام أهل زمانه. توفي سنة ٢٥٥ (شذرات الذهب /٢ /١٣٠).

منذر ابو سعید

صلحة الشيخ الى ملوك

والامر في هجر المبتدع يبنى على مراعاة المصالح وتكثيرها، ودفع
المفاسد وتقليها، وعلى هذا تنزل المشروعيه من عدمها، كما حرر شيخ
الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في موضع ^(١) .

إذاً عاد الشيخ إلى ما ذكرنا. وهو: أن ننظر إلى المصالح، فإذا رأينا أن من مصلحة لا نهجره ولكن نبين الحق، لا نداهنه، ويبقى على بدعته ونحن على سنتنا إذا أبا من المصلحة هذا، فترك الهجر أولى، وإذا رأينا من المصلحة الهجر بأن يكون مل السنّة أقوىاء، وأولئك ضعفاء مهزومين فالهجر أولى.

والمبتدعة إنما يكثرون ويظهرون، إذا قُلَّ الْعِلْمُ، وفَسَا الْجَهْلُ. وفيهم
يَقُولُ شِيخُ الْإِسْلَامِ أَبْنَى تِيمِيَّةَ رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى: «فَإِنَّ هَذَا الصِّنْفَ يَكْثُرُونَ
وَيَظْهُرُونَ إِذَا كَثُرَتِ الْجَاهْلِيَّةُ وَأَهْلُهَا، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالنَّبَوَةِ
وَالْمَتَابِعَةِ لِهَا مَنْ يُظْهِرُ أَنوارَهَا الْمَاحِيَّةَ لِظُلْمَةِ الْضَّلَالِ، وَيَكْشُفُ مَا فِي خَلَافَهَا
مِنِ الْأَفْلَكِ وَالشَّرْكِ وَالْمُحَالِّ أَهْ.

فإذا اشتَدَّ ساعدُكَ في العلم، فاقْمِ المُبَدَعَ ويدعُهُ بِلِسَانِ الْحَجَةِ
والبَيَانِ، وَالسَّلَامُ.

صحيح. إذا اشتد ساعدك في العلم، أما إذا لم يكن عندك العلم الوافي في رد
فإياك أن تجادل، لأنك إذا هُزمت وأنت سُني لعدم قدرتك على مدافعة هذا المبتدع
و هزيمة. من؟ للسنة، ولذلك لا نرى أن يجوز للإنسان أن يجادل مبتدعًا إلا وعنه
على مجادلته، وكذلك أيضًا مجادلة غير المبتدع: الكفار، لا نجادلهم إلا ونحن نعلم
علم. يقين من: أمّنا والـ أـ كـانـ الـ أـ مـ عـ كـسـاـ بـدـلـاـ أـنـ يـكـونـ الـ اـنـتـصـارـ لـنـاـ.

(٢١٨-٢١٦، ٢١٣/٢٨) *الخطاب* / *الخطاب* (٢١٨-٢١٦، ٢١٣/٢٨)

عن ابن عمرٍ براعته من القدريّة . رواه مسلم .^(١)

والحوادث التي تكون من فعل العبد، استقل بها العبد. فهم يرون أن العبد مستقل بعمله وأن الله لا علاقة له به إطلاقاً، ولهذا سُمُّوا مجوساً لأنهم كالمجوس الذين يقولون: إن للحوادث خالقين. النور يخلق الخير، والظلمة تخلق الشر.

منذر أبو سعيد

(١) وانظر أيضًا مهمة في: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» رحمه الله تعالى: (١٣٢/٢).

(٢) القدرة: هم نفاة القدر، ظهرت تلك الفرقفة في البصرة، وأول من تكلم في القدر رجل من أهل العراق كان نصراينياً ثم أسلم ثم تصر وأخذ عنه معبد الجهني ثم غilan الدمشقي، والقدرة أربعة أصناف. (القدرة النافية - القدرة المجردة - القدرة المشركية - القدرة الإلزامية).

^{٩٧} انظر: مذاهب الإسلاميين، للدكتور عبد الرحمن بدوي. ص ٩٧.

(٣) كقوله عليه السلام : « إن لكل أمة مجوساً، وإن مجوس هذه الأمة القדרية، فلا تعودوهم إذا مرضوا، ولا تصلوا على حنائزهم إذا ماتوا ». الحديث أخر جه الأجري رقم (٤٢٤) وإن : بطة رقم (١٥١٦).

منذر أبو سعيد

الفصل الرابع أدب الزماله

٢٣. احذِرْ قرِينَ السُّوءِ:

كما أنَّ العِرقَ دَسَاسٌ^(١)، فإنَّ «أَدَبَ السُّوءِ دَسَاسٌ»^(٢)، إذ الطَّبِيعَةُ نَقَالَةٌ، والطَّبَاعُ سَرَاقَةٌ، والنَّاسُ كَاسِرَاتِ القَطَطَ مَجْبُولُونَ عَلَى تَشْبُهِ بِعَضِيهِمْ بِبعضٍ، فاحذِرْ مُعاشرَةً مَنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ العَطَبُ، وَالدَّفْعُ أَسْهَلُ مِنَ الرَّفْعِ، وَعَلَيْهِ، فَتَخِيرْ لِلزَّمَالَةِ وَالصِّدَاقَةِ مَنْ يُعِينُكَ عَلَى مَطْلَبِكَ، وَيُقْرِبُكَ إِلَى رِبِّكَ، وَيُوَافِقُكَ عَلَى شَرِيفِ غَرَضِكَ وَمَقْصِدِكَ، وَخُذْ تَقْسِيمَ الصَّدِيقِ فِي أَدْقِ الْمَعَابِيرِ^(٣) :

منذر أبو سعيد

هذه الكلمات مأخوذة من قول الرسول ﷺ : «مثُلُ الجليس الصالح كحامل المساكين»^(٤)، «مثُلُ الجليس السيء كنافخ الكير»^(٥). فعليك باختيار الصديق الصالح الذي يدللك على الحق ويبينه لك ويحثك عليه ويبين لك الشر ويحذرك منه، وإياك من جليس السوء، إنَّ المرءَ على دين خليله، وكم من إنسان مستقيم قُيُّدَ لِه شيطانٌ مِنْ بَنِي آدَمَ فَصَدَّهُ عَنِ السَّقَامَةِ، وكم من إنسان جائزٌ قاصِدٌ يُسْرُ لَهُ مِنْ يَدِهِ عَلَى الْخَيْرِ بِسَبِّ الصَّحَةِ.

وبناءً على ذلك نقول: إذا كان في مصاحبة الفاسق سببٌ لِهدايتك فلا بأس أن تحيبه، تدعوه إلى بيتك، تأتي إلى بيته، تخرج معه للتمشي بشرطٍ ألا يقبح ذلك

(١) وفي ذلك حديث موضوع، انظره في: «العلل المتناهية» (١٢٣/٢)، (١٢٧)، و«شرح الإحياء»: (٣٤٨/٥).

(٢) «شرح الإحياء»: (٧٤/١).

(٣) «اصحاصرات إسلامية» لمحمد الحضرمي حسين: (ص ١٢٥-١٣٦).

(٤) رواه البخاري (٤٤٣) فـ: (٢٢٨).

في عدالتك عند الناس، وكم من إنسان فاسق هدأه الله تعالى بما يسر الله له صحبة الخير.

وقوله: «الدفع أسهل من الرفع» هذه قاعدة فقهية ذكرها ابن رجب في القوام الفقهية وبمعناها قول الأطباء: الوقاية أسهل من العلاج، لأن الدفع ابتعاد عن أسبابه، لكن إذا نزل الشر صار من الصعب أن يدفعه الإنسان.

١. صديق منفعة.

٢. صديق لذة.

٣. صديق فضيلة.

فالأول منقطعان بانقطاع موجبهما، المنفعة في الأول، واللذة في الثاني/ وأما الثالث فالتعويل عليه، وهو الذي باع صداقته تبادل الاعتقاد في رسوخ الفضائل لدى كُلِّ منها.

وصديق الفضيلة هذا «عملة صعبة» يعز الحصول عليها. ومن نفس كلام هشام بن عبد الملك (م سنة ١٢٥هـ) قوله^(١): «ما يَقِيَّ من لذات الدنيا شيء إلا أَخْرَجَ مَوْئِنَةً التَّحْفُظَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ». أرفع مؤونة التحفظ بيني وبينه أهـ.

ومن لطيف ما يُقَيِّدُ قول بعضهم^(٢): «الْعُزْلَةُ مِنْ غَيْرِ عِيْنِ الْعِلْمِ: زَلَّةٌ، وَمِنْ غَيْرِ زَلَّةٍ الرُّهْدُ: عِلْمٌ». و

إذا لابد من علم ولا بد من زهد قبل أن ينعزل الإنسان عن الناس. هـ
الأصدقاء قسمهم إلى ثلاثة أصدقاء:

(١) طبقات النساين: (ص ٣١).

(٢) العزلة للاختصار.

صديق منفعة: وهو الذي يصادقك مادام ينتفع منك بمال أو جاه أو غير ذلك، فإذا انقطع الانتفاع فهو عدوك لا يعرفك ولا تعرفه .. وما أكثر هؤلاء، ما أكثر الذين يلمزون في الصدقات إن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا إذا هم يسخطون، صديق لك حميم ترى أنه من أعز الناس عندك وأنت من أعز الناس عنده يسألوك يوم من الأيام يقول: اعطني كتابك أقرأ فيه. فتقول: والله الكتاب أنا محتاج إيه غداً، انتفع عليك ويعاديك. هل هذا صديق؟ هذا صديق منفعة.

الثاني. صديق لذة: يعني لا يصادقك إلا لأنك يتمتع بك في المحادثات والمناقشات، المسامرات، ولكنه لا ينفعك ولا تنتفع به منه أنت، كل واحد منكم لا ينفع الآخر، ليس إلا ضياع وقت فقط. هذا أيضاً أحرج منه أن يضيّع أوقاتك.

الثالث. صديق فضيلة: يحملك على ما يزين وينهاك عن ما يشين ويفتح لك أبواب الخير ويدلك عليه وإذا زلت ينهاك على وجه لا يخدش كرامتك، هذا هو صديق الفضيلة.

منذر أبو سعيد

الفصل الخامس

آداب الطالب في حياته العلمية

٢٤. كِبِيرُ الْهِمَةُ فِي الْعِلْمِ:

من سَجَایا الإِسْلَامِ التَّحْلِی بِكِبِيرِ الْهِمَةِ، مَرْكَزُ السَّالِبِ وَالْمُوْجِبِ فِي شَخْصِكَ،
الرَّقِيبُ عَلَى جَوَارِحِكَ، كِبِيرُ الْهِمَةُ يَجْلِبُ لَكَ بِإِذْنِ اللَّهِ خَيْرًا غَيْرَ مَجْنُوذٍ، لِتَرْقَى
إِلَى دَرَجَاتِ الْكَمَالِ، فَيُجْرِي فِي عُرُوقِكَ دَمَ الشَّهَامَةِ، وَالرَّكْضُ فِي مَيْدَانِ الْعِلْمِ
وَالْعَمَلِ، فَلَا يَرَاكَ النَّاسُ وَاقْفَا إِلَى أَبْوَابِ الْفَضَائِلِ وَلَا يَسْطِعُكَ إِلَّا
لِهِمَّاتُ الْأَمْوَارِ.

وهذا من أهم ما يكون عليه الإنسان في طلب العلم، يكون له هدف. ليس
مراده مجرد قتل الوقت بهذا الطلب، بل يكون له همة، ومن أهم همم طالب العلم
أن يريد القيادة والإماماة للمسلمين في علمه، ويشعر أن هذه درجة هو يرتفق إليها
درجة درجة، حتى يصل إليها، وإذا كان كذلك فسوف يرى أنه واسطة بين الله «زَرَّ
جلَّ» وبين العباد في تبليغ الشرع، هذه مزية ثانية، وإذا شعر بهذا الشعور فسوف
بحرص غاية الحرص على اتباع الكتاب والسنّة معرضًا عن آراء الناس، إلا أنه يستأنس
بها ويستعين بها على معرفة الحق، لأن ما تكلم فيه العلماء رحمة الله من العلم،
لا شك أنه أبواب لنا، وإنما استطعنا أن نصل إلى درجة نستنبط الأحكام من
النصوص أو معرفة الراجح من المرجوح وما أشبه ذلك.

والمهم أن يكون الإنسان عنده همة، وهو بإذن الله إنْ نوى هذه النية فإن الله
سبحانه وتعالى سيعينه على الوصول إليها.

منذر أبو سعيد

منذر أبو سعيد

والتحلي بها يسلب منك سفاسفَ الآمال والأعمال، ويجتثُ منك شجرةَ
الذُّلُّ والهوانِ: التملُّق والمُداهنة، فكبيرُ الهمةٍ ثابتُ الجاش، لا تُرهِبُهُ المواقفُ،
وقادِهَا جبانٌ عديُّدٌ، تُغلق فمَهُ الفهاده.

هذا صحيح. التحلي يعلو الهمة، يسلب عنك سفاسفَ الآمال والأعمال.

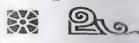
الآمال: هو أن يتمنى الإنسان الشيء دون السعي في أسبابه، فإن المؤمن كيسنَ
فقطن لا تلهه الآمال، لكن ينظر للأعمال ويرتقب النتائج.

وأما ما تلهيه الآمال يقول: إن شاء الله أقرأ هذا، أراجع هذا، الآن استريح،
وبعد ذلك أراجع. أو تلهيه الآمال فيما يحدث للإنسان أحياناً، يتصفح الكتاب من
أجل مراجعة مسألة من المسائل، ثم ينظر في الفهرس والصفحات ... تلهيه عن
المقصود الذي من أجله فتح الكتاب ليراجع مسألة، وهذا يقع كثيراً، فيتهي الوقت
وهو لم يراجع المسألة التي صار يراجع هذا الكتاب أو فهرس الكتاب. فإياك والآمال
المخيبة. أجعل نفسك قوي العزيمة ... عالي الهمة.

ولا تغلط فتخلط بين كبير الهمة والكبير، فإنَّ بينهما من الفرق كما بينَ
السماء ذات الرجُع والأرض ذات الصدُع. كبير الهمة حلية ورثة الأنبياء، والكبيرُ
داء المرضى بعلة الجبابرة البُؤساء.

«كبير الهمة» إن الإنسان يحفظ وقته ويعرف كيف يصرفه ولا يضيع الوقت بغير
فائدة، وإذا جاءه إنسان يرى أن مجالسته فيها إهمال وإلهاء عرف كيف يتصرف.
«واما كبار النفس» فهو الذي يحتقر غيره، ولا يرى الناس إلا ضفادع ولا يهتم
وربما يصرع وجهه وهو يخاطبه. فكما قال الشيخ بكر: بينهما كما بين السماء ذات
الرجع والأرض ذات الصدُع.

في طالب العلم! أرسم لنفسك كِبَرَ الهمة، ولا تُنفلتُ منه وقد أَوْمَأَ الشرعُ
إليها في فِقْهِيَاتِ تُلَبِّسُ حيَاةَكَ، لتكون دائمًا على يقْظَةٍ من اغتنامِها، ومنها:
إباحة التَّيَمُّمَ لِلْمُكَلَّفِ عَنْ فَقْدِ الْمَاءِ، وَعَدْمِ إِلَزَامِهِ بِقَبْوُلِ هَبَةِ ثَمَنِ الْمَاءِ لِلْوُضُوءِ،
لَمَّا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمِنَّةِ الَّتِي تَنَالُ مِنَ الْهَمَةِ مِنَالًا، وَعَلَى هَذَا فَقِيسٌ^(١)، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.



من علو الهمة ألا تكون متشوّقاً لما في أيدي الناس، لأنك إذا تشوّقت ومنَّ
الناس عليك، ملوكوك. لأنَّ المِنَّةَ مُلْكٌ لِلرَّقْبَةِ فِي الْوَاقِعِ. لو أعطاكَ الإِنْسَانُ قَرْشًا
لِوَجْدٍ أَنْ يَدِهُ أَعْلَى مِنْ يَدِكَ. كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «الْيَدُ الْعَلِيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ
الْسُّفْلِيِّ»^(٢). واليد العليا هي المعطية، والسفلى هي الآخذة، لا تُمْدِ بِصَرْكَ لِلْنَّاسِ،
وَلَا تُمْدِ كَفَكَ إِلَيْهِمْ. إِذَا كَانَ الإِنْسَانُ عَادِمُ الْمَاءِ وَوَهَبَ لَهُ الْمَاءَ لَمْ يَلْزِمْهُ قَبْوُلُهُ، بل
يَعْدُ إِلَى التَّيَمُّمِ خَوْفًا مِنَ الْمِنَّةِ مَعَ أَنَّ الْوُضُوءَ بِالْمَاءِ فَرْضٌ لِلْقَادِرِ عَلَيْهِ، لِذَلِكَ فَرَقٌ
فِي الْفَهَاءِ رَحْمَمَ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ تَجُدَّ مِنْ يَبِيعِهِ وَمِنْ يَهْدِيهِ. فَقَالُوا: مَنْ يَبِيعَ أَشْتَرَ مِنْهُ
وَجُوبًا لَأَنَّهُ لَا مِنَّةَ لَهُ، حَيْثُ أَنَّكَ تَعْطِيهِ الْعَوْضَ. وَمَنْ أَهْدَاكَ لَا يَلْزِمُهُ قَبْوُلُهُ. مِنْ
أَجْلِ أَنْ مُنْتَهِ تَقْطُعَ رَقْبَكَ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ الَّذِي أَهْدَى إِلَيْكَ الْمَاءَ لَا يَمِنُ عَلَيْكَ بِهِ، بَلْ
يَرِي أَنَّكَ أَنْتَ الْمَانَّ عَلَيْهِ بِقَبْوُلِهِ، أَوْ مِنْ جُرْتِ الْعَادَةِ عَلَى أَنَّ لَا مِنَّةَ مِنْهُ مِثْلُ الْأَبِ
عَلَى ابْنِهِ، وَالْأَخْ الْمَشْفُقُ مَعَ أَخِيهِ وَمَا أَشْبَهُ ذَلِكَ ... فَهُنَا تَرْفَعُ الْعَلَةُ، وَإِذَا
أَرْفَعْتَ الْعَلَةَ ارْتَفَعَ الْحُكْمُ. الْمُهِمُ أَنْ مِنْ علو الهمة وكبرها ألا يكون الإنسان
يَسْتَشْرِفَ مِا في أيدي الناس.

وكلا المعينين يوجب أن يتبطأ الإنسان عن العلم، ويقول كل العلم أخذ من قبله ولا فائدة. فيكون بذلك تبليط لهمة، لأنه إذا قيل لك: أن من قبلك أخذوا كل شيء. ستقول إذاً ما الفائدة.

أما إذا قيل: كم ترك الأول للآخر، فالمعنى: ما أكثر ما ترك الأول للآخر، هذا يحملك على أن تبحث على كل ما قاله الأولون، ولا يمنعك من الزيادة على ما قال الأولون.

ولاشك أن المعنى الصواب: كم ترك الأول للآخر. فإن قيل: إن الشاعر الجاهلي يقول:

ما أرنا نقول إلا مُعَاراً ۖ أو مُعَاداً من قولنا مكرور

فهل هذا صواب؟ الجواب: لا ... هذا ليس بصواب، وما أكثر الأشياء الجديدة التي تكلمنا بها ولم يتكلم بها من قبلنا. أما إن أراد بهذا حروف الكلمات أو الكلمات، وهذا صحيح لو أراد المعاني.

ولعل الشاعر الجاهلي أراد أنه كل ما يقال من الكلمات والحرروف فإنه إما معار أخذه من غيره، وإما مُعَاد.

لكن إذا كان البيت بهذا المعنى فقيمتها ضعيفة جداً، رخيصة لأن هذا معلوم لا يحتاج إلى أن ينشره الإنسان في بيت شعر.

قوله: «فعليك بالاستكثار...» يحثك على أن تستكثِر من ميراث النبي ﷺ، وذلك العلم لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر من ميراث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ثم أعلم أن ميراث النبي ﷺ إما أن يكون بالقرآن الكريم أو بالسنة النبوية. فإن كان بالقرآن الكريم، فقد كُفيت إسناده والنظر فيه، لأن القرآن لا يحتاج إلى التسبيب، السند لأنَّه متواتر أعظم التواتر.

٢٥. النهمة في الطلب:

إذا علمت الكلمة المنسوبة إلى الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رض: «قيمة كل أمرٍ ما يحسن» وقد قيل: ليس كلمة أحض على طلب العلم منها، فاحذر غلط القائل: ما ترك الأول للآخر. وصوابه: كم ترك الأول للآخر؟ فعليك بالاستكثار من ميراث النبي ﷺ، وبذل الوسع في الطلب والتحصيل والتدقيق، ومهما بلغت في العلم، فتذكري: «كم ترك الأول للآخر!»

إذا كان إنسان يحسن الفقه والشرع صار له قيمة، أحسن من يحسن فعل الخبال مثلاً. لأن كلّاً منها يحسن شيئاً، لكن فرق بين هذا وهذا فقيمة كل أمرٍ ما يحسن. وقد قيل: ليس كلمة أحض على طلب العلم منها، وهذا القيل ليس ب صحيح. أشد كلمة في الحض على طلب العلم قول الله تعالى: **﴿فَلْ هُلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾** (سورة الزمر: ٩). وقوله تعالى: **﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ درجات﴾** (سورة المجادلة: ١١). وقول النبي ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» وقوله ﷺ: **«العلماء ورثة الأنبياء»**^(١). وأشباه ذلك مما جاء في الحديث على طلب العلم، لكن ما نقل عن علي بن أبي طالب رض هي كلمة لاشك أنها جامدة، لكن لاشك أنها ليست أحسن ما قيل في الحديث على طلب العلم.

وقوله: «ما ترك الأول للآخر، إما تكون «ما» نافية أو استفهامية فإن كانت «نافية» فالمعنى: ما ترك الأول للآخر شيئاً. وإن كانت «استفهامية» فيكون المعنى: أي شيء ترك الأول للآخر؟

(١) رواه البخاري (٣٦٤١).

(٢) جزء من حديث طويل رواه أحمد (١٩٦/٥) وأبو داود (٣٦٤١).

٢٦

الرحلة للطلب

«من لم يكن رحلاً لن يكون رحلاً»^(١) : فمن لم يرحل في طلب العلم، للبحث عن الشيوخ، والسياححة في الأخذ عنهم، فيبعد تأله ليرحل إليه، لأن هؤلاء العلماء الذين مضى وقت في تعلّمهم، وتعلّمهم، والتّلّقّي عنهم: لديهم من التحريرات، والضبطة، والثنايات العلمية، والتجارب، ما يعزّل الوقوف عليه أو على نظائره في بُطون الأسفار.

قوله: «من لم يكن رحلاً لن يكون رحلاً» لعل: من لم يكن له .. يرجع الأصل.

قوله: «التجارب» مكسور حرف الراء. والتجربة غلط ما هي لغة عربية، رغم أنها الشائع بين الناس الآن، حتى طلبة العلم، يقول: تجرب، تجربة. رغم أن «اب» كسر الراء. والمعنى: أن من لم يكن له رحلة في طلب العلم فلن يُرحل إليه الناس إليه.

واحدن الرّقّود عن هذا على مسلك المتصوّفة البطالين، الذين يفضّلون «علم الخرق» على «علم الورق». وقد قيل لبعضهم: لا ترحل حتى تسمع من عبد الرزاق؟ فقال: ما يصنع بالسماع من عبد الرزاق من يسمع من الخلاق؟! وقال آخر:

إذا خاطبوني بعلم الورق بَرَزَتْ عَلَيْهِمْ بِعِلْمِ الْخِرْقِ

فاحذر هؤلاء، فإنّهم لا للإسلام نصروا، ولا للكفر نصروا، بل فيهم من كان يأساً وبلاه على الإسلام.

منذر أبو سعيد

(١) (تذكرة السامع والمتكلم)

أما إذا كان بالسنة النبوية فلابد أن تنظر في السنة النبوية أولاً هل صحت نسبتها إلى الرسول عليه السلام أم لم تصح؟ فإن كنت تستطيع أن تحصّن ذلك بنفسك فهذا ، الأولى. وإلا:

إذا لم تستطع شيئاً فدعا *** وجاءه إلى ما تستطيع قوله: «ابذل الوسع» يعني الطاقة في التدقيق، أمر مهم لأن بعض الناس يأخذ بظواهر النصوص وبعمومها دون أن يدقق. هل هذا الظاهر مُراد أم غير مُراد؟ وهذا العام مخصوص أم غير مخصوص؟ أم هذا العام مُقيد أم غير مُقيد؟

فتجده يضرّب السنة بعضها ببعض لأنّه ليس عنده علم في هذا الأمر. ويفعل على كثير من الشباب اليوم الذين يعتنون بالسنة تجد الواحد منهم يتسع في الحكم المستفاد من الحديث، أو في الحكم على الحديث. هذا خطر عظيم.

يقول: «مهما بلغت في العلم فتذكري: كم ترك الأول للآخر» هذا طيب، ولكن نقول إن أحسن من ذلك مهما بلغت في العلم، فتذكري قول الله عزّ وجلّ: «وَفَوْقَ كُلِّ عِلْمٍ عَلِيمٌ» (سورة يوسف: ٧٦). قوله «وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قِلِيلًا» (سورة الإسراء: ٨٥).

وفي ترجمة أحمد بن عبد الجليل من «تاریخ بغداد» للخطيب ذكر من قصيدة له:

لَا يَكُونُ السَّرِيْ مِثْلَ الدَّنِيِّ لَا وَلَا ذُو الْذَّكَاءِ مِثْلَ الْغَبِيِّ
قِيمَةُ الْمَرْءِ كُلُّمَا أَحْسَنَ الْمَرْءَ قِضَاءُ مِنَ الْإِمَامِ عَلَيِّ

هذا سبق الكلام عليه. و«السرى» يعني: الشّريف عالى الهمة، مثل الوفي ونفي الماثلة ظاهر أيضاً، لا يكون الإنسان الذي مثل الإنسان الغبي ولا ذو العقل مثل الجاهم.

منذر أبو سعيد

الصوفية يدعون أن الله يخاطبهم ويوحى إليهم، وأنه يزورهم ويزورونه ومن خرافاتهم.

والعبارة الأخيرة مأخوذة من كلام شيخ الإسلام رحمه الله في المتكلمين قال

هؤلاء: «لا للإسلام نصروا ولا لل فلاسفة كسروا» يعني أنهم ما نصروا الإسلام الذي به محمد ﷺ ولا كسروا الفلاسفة الذين هاجروا و ماجروا على الإسلام كله، و يدل ذلك أن هؤلاء المتكلمين حرفوا النصوص عن ظاهرها وأولوها إلى معانٍ أو جددوا بما يزعمون أنه عقل، فسلط عليهم الفلاسفة وقالوا لهم: أنتم إذا أؤلئكم آيات الصفات وأحاديث الصفات، مع ظهورها ووضوحيها، فاسمحوا لنا أن نأول آيات المعاد، آيات اليوم الآخر فيان ذكر أسماء الله وصفاته في الكتب الإلهية أكثر بكثير من ذكر المعاد وما يتعلّق به، فإذا أبحثتم لأنفسكم أن تأولوا في أسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة، فاسمحوا لنا أن نأول في آيات المعاد وننكر المعاد رأساً ولاشك بهذه حجّة قوية لهؤلاء الفلاسفة على هؤلاء المتكلمين، إذ لا فرق.

المهم أن الشيخ وفقه الله هاجم الصوفية، فهم جديرون بالهاجمة، لأن بعضهم يصل إلى حد الكفر والإلحاد بالله، حتى يعتقد أنه هو الرب كما يقول بعضهم «ما في الجنة إلا الله» يعني نفسه. ويقول:

الرب عبد والعبد رب ياليت شعري من المكلّف

يعني بما شيء واحد. إلى أمثال ذلك من اخترافات التي يقولونها، لكن ينفي أيضاً أن نهاجم ونركز على مهاجمة أهل الكلام الذين سلّبوا الله من كماله بكلامهم انكروا الصفات، فمنهم من انكر الصفات رأساً كالمعزلة^(١). ومنهم من أثبت

(١) المعزلة: تبني الصفات عن الله تعالى خوفاً من التشبيه كما يزعمون، ولذا تأولوا جميع الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه، وأثبتها رسول الله ﷺ ومن ذلك صفة الكلام لله تعالى، فجعلوا القرآن الذي هو كلام الله متصلاً بباب العدل الذي هو أحد أصول التوحيد الخمسة عندهم، ووجه اتصاله أن

الأسماء، لكن جعلها أسماء جامدة لا تدل على معنى، وغالبى بعضهم وقال: أسماء واحدة، وأن السميع هو البصير، وأن السميع والبصير هما العزيز وهما واحد. وغالبى بعضهم فقال: هي أسماء متعددة، لكن لا تدل على معنى. لغوية المعنى.

لأنهم لو أثبتو لها معنىًّا - بزعمهم - لزم تعدد الصفات، ويتعدّد أسماء يرون أنه شرك، لأنهم يقولون يلزم تعدد الصفات القدمة كالعلم والسمع بالصر، فيلزم من ذلك تعدد القدماء، وهو أشد شركاً من النصارى.

فالحاصل أنه أيضاً ينبغي أن يهاجم على أهل الكلام الذين عطلوا الله مما يجب له من صفات كمال بعقول واهية.

والعلماء رحمهم الله الذين تكلموا عن الرحلة لم يدركوا هذا الأثر، الأشرطة المسجلة تغنى عن الرحلة، لكن الرحلة أكبر لأن الرحلة إلى العالم، يكتسب الإنسان من علمه وأدبه وأخلاقه، ثم يترك الرجل يتكلّم ليس كما يعمّله إيه في الشريط. سللاً: الخطبة، أنت عند رجل يخطب وكلامه جيد .. تتأثر به لكن لو تسمع هذا الكلام من الشريط لن تتأثر به تأثرك وأنت تشاهد الخطيب.

منذر أبو سعيد

القرآن فعل من أفعال الله، وباب العدل كلام في أفعاله، وعلى هذا فهم يقولون: القرآن كلام الله ووحيه، وهو مخلوق محدث.

اقرئ: «شرح الأصول المختصرة» المقاصي عبد الجبار: (ص ٥٢٧-٥٣٩).

ولذا، فاجعل لك (كُناشاً) ^(١) أو (مذكرة) لتقيد الفوائد والفرائد
والأبحاث المنتشرة في غير مظانها، وإن استعملت غلاف الكتاب لتقيد ما فيه
من ذلك، فحسناً، ثم تنقل ما يجمع لك بعده في مذكرة، مرتبا له على
الموضوعات، مقيداً رأس المسألة، واسم الكتاب، ورقم الصفحة والمجلد، ثم اكتب
على ما قييده: «نقل» حتى لا يختلط بما لم يُنقل، كما تكتب: «بلغ صفحة
كذا» فيما وصلت إليه من قراءة الكتاب حتى لا يفوتك ما لم تبلغه قراءة.

وللعلماء مؤلفات عدّة في هذا، منها: **بدائع الفوائد** لابن القيم، و**خبايا الزوايا** للزركشي، ومنها: كتاب **الإغفال** و**بقايا الخبايا**، وغيرها.

ومنها أيضًا «صيد الخاطر» لابن الجوزي، لكن أحسن ما رأيت «بدائع الفوائد» القيم أربعة أجزاء في مجلدين، فيها من بدائع العلوم ما لا تكاد تجده في كتاب لكل فن. كل ما طرأ على باله قيده، لذلك تجد فيه من العقائد في التوحيد، في فـ النحو، فـ الлагعة، فـ التفسير، في كل شيء.

أحياناً يبحث في الكلمة من الكلمات اللغوية في صفحة تحليلاً وتفریعاً واشتقاداً،
بحث بحثاً بالغاً في الفرق بين «ال مدح والحمد»، كتب كتابة فائقة في
ذلك. وقال: كان شيخنا إذا بحث في مثل هذا أتى بالعجب العجاب لكنه كما قيل:
إليك عنى فأنى عنك مشفوا

يعني رحمة الله مشغول بما هو أهتم من التحقق في اللغة العربية وإلا فهو - شيخ رحمة الله آية في اللغة العربية، لما قدم مصر اجتماع بأبي حيان المصري بير صاحب «البحر المحيط» في التفسير، وكان أبو حيان يثنى على شيخ الإسلام عاصماً، وعده بقصائد عاصمة، ومن جملة ما يقول فيه:

٢٧- حفظ العلم كتابة (١)

ابدُلُ الجُهُدَ فِي حِفْظِ الْعِلْمِ (حِفْظَ كِتَابٍ)، لَأَنَّ تَقْيِيدَ الْعِلْمِ بِالْكِتَابِ أَمَانٌ
مِنَ الْضَّيْاعِ، وَقَصْرُ لَمَسَافَةِ الْبَحْثِ عَنِ الْأَحْتِاجِ، لَاسِيَّمَا فِي مَسَائِلِ الْعِلْمِ الَّتِي
تَكُونُ فِي غَيْرِ مَظَانِهَا، وَمِنْ أَجْلِ فَوَائِدِهِ أَنَّهُ عَنِ الْكِبَرِ الْسَّنَّ وَضَعْفِ الْقُوَى يَكُونُ
لِدِيكِ مَادَّةٌ تَسْتَجِرُ مِنْهَا مَادَّةٌ تُكْتَبُ فِيهَا بِلَا عَنَاءٍ فِي الْبَحْثِ وَالْتَّقْصِيِّ.

«ابنل» همزة وصل، لكن عند الابتداء بها تكون همزة قطع^(٤). بدل الجهة في الكتابة مهم، لاسيما في نوادر المسائل أو في التقسيمات التي لا تجدها في بعض الكتب.

كم من مسألة نادرة مهمة لا يقيدها اعتماداً على أنه يقول: إن شاء الله لا
أنساها. فإذا به ينساها ويتمنى لو كتبها، ولكن احذر أن تكتب على كتابك على
هامشه أو بين سطوره، كتابةً تطمس الأصل فإن بعض الناس يكتب على هامش
الكتاب أو بين سطوره كتابةً تطمس الأصل، لكن يجب إذا أردت أن تكتب على
كتابك أن تجعله على الهامش بعيد من الأصل لثلا يلتبس هذا بهذا، فإن لم يتيسر
هذا، كأن ما تريده تعليقه أكثر من الهامش فلا خير ^{صغير} عليك أن تجعل ورقة بيضاء
تلتصقها بين الورقات وتشير إلى موضعها من الأصل وتكتب ما شئت، وكان طلبه
الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمة الله يحدثوننا أنهم يأخذون مذكرات صغيرة
 يجعلونها في الجيب كلما ذكر الإنسان منهم مسألة قيدها، إما فائدة علم في خاطره،
 أو مسألة يسأل عنها الشيخ فيقيدها، فاستفادوا بذلك كثيراً.

الكتاب، بــ الكاف - تخفيف النون، وشــن معجمة، عــلى وزــن (غــراب)، لفــظ ســريانــي، معــنى:

المجموعة، والذكرة، وانظر: «التراتيب الإدارية»: (٢٧ - ٢٨).

(١) «الجامع» للمخطيب: (٢/١٦، ١٨٣-١٨٥).

(٢) ارجع لكتابنا: «المؤتلف في أحكام الهمزة والالف».

قام ابن تيمية في نصر شريعتنا ❖❖❖ مقام سيد يتم إذ عصت مضر يعني أبي بكر يوم الردة. فلما قدم مصر شيخ الإسلام اجتمع بهذا الرجل - أبي حيان - وتناظر معه في مسألة نحوية واحتج عليه أبو حيان بقول سيبويه في كتابه قال إن سيبويه في كتابه قال كذا وكذا. فكيف تختلفه؟

فقال له شيخ الإسلام: «وهل سيبويه نبي النحو؟!» يعني: حتى يجب عليه اتباعه، ثم قال: «لقد غلط في الكتاب في أكثر من ٨٠ موضع لا تعلمها أنت ولا هو». سبحان الله! هكذا يقول لسيد النحو.

يقال: إن أبو حيان بعد ذلك أخذ عليه وصار بنفسه فأنشأ قصيدة يهجوه فيها عفا الله عنا وعنهم جميعاً. المهم أن كتاب «بدائع الفوائد» من أجمل الكتب، في فوائد لا تجدها في غيره.

وعليه، فَقَيِّدَ الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ^(١)، لَاسِيمَا بِدَائِعَ الْفَوَائِدِ فِي غَيْرِ مَظَانِهِ، وَخَبَايَا الزَّوَايَا فِي غَيْرِ مَسَاقِهَا، وَدُرُّرَا مَنْثُورَةً تَرَاها وَتَسْمَعُهَا تَخْشِي فَوَاتِهَا .. وهكذا، فإن الحفظ يضعف، والنسيان يعرض.

قوله: «لاسيما بدائع» الأفضل في هذا أن تكون مرفوعة بعد لاسيما، يجوا النصب ولكن الأحسن الرفع.

ومعنى الكلام: أنه يبحث على كتابة هذه الأشياء، بدائع الفوائد التي تعرض للإنسان حتى لا ينساها وكذلك أيضاً لاسيما إذا كانت في غير مظانها لأنك أحياها تبحث عن مسألة تظنها مثلاً في باب الصيد وهي مذكورة في مكان آخر، فإذا ذكرت في مكان آخر فقيدها، وكذلك أيضاً «خبايا الزوايا في غير مساقها» وهي بمعنى الجملة

(١) وقد صَحَّ نحو هذا الأمر مرفوعاً إلى النبي عليه السلام فانظره في «السلسلة الصحيحة»: (رقم ٢٠٢٦).

الأولى. «وَدَرِّرَ مِنْثُورَةً تَرَاها» وَتَسْمَعُهَا تَخْشِي فَوَاتِهَا. وَهَذِهِ أَيْضًا مَسَائل تَعْرُضُ لَكَ أَوْ عَرْضُ فِي كِتَابِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَهِيَ مَشْوَرَةٌ، فَهَذِهِ يَجِبُ أَنْ تَجْمِعَهَا وَتَجْعَلَهَا فِي كِتَابٍ.

قال الشعبي: «إِذَا سَمِعْتَ شَيْئًا، فَاقْتُبِهُ، وَلَوْفِي الْحَائِطِ». رواه حَيْثِمٌ
وَإِذَا اجْتَمَعَ لَدِيكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَجْتَمِعَ، فَرَتَبْهُ فِي (تَذَكِّرَةٍ) أَوْ (كُنَّاْشَ) عَلَى
الْمَوْضِعَاتِ، فَإِنَّهُ يُسْعِفُكَ فِي أَضْيقِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي قَدْ يَعْجَزُ عَنِ الْإِدْرَاكِ فِيهَا
كُبَارُ الْأَثَبَاتِ.

وهل الأولى أن ترتيبها على الموضوعات أو أن ترتيبها على ألف باء؟ نرى أنه على ألف باء أحسن، وذلك لأن ترتيبها على الموضوعات تختلف فيه كتب العلماء، تجد شيئاً: ترتيب الحنابلة يفترق عن الشافعية لاسيما في المعاملات، بل إن نفس المذهب الواحد يختلف ترتيبه. ترتيب المتقدمين منهم والمتاخرين.

٢٨. حِفْظُ الرِّعَايَا

ابْدُلُ الْوُسْعَ فِي حِفْظِ الْعِلْمِ (حِفْظُ رِعَايَا) بِالْعَمَلِ وَالْإِتَّبَاعِ، قَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^(١): «يَجِبُ عَلَى طَالِبِ الْحَدِيثِ أَنْ يُخْلُصَ نَيْتَهُ فِي طَلَبِهِ، وَيَكُونَ قَصْدُهُ وَجْهُ اللَّهِ سَبَحَانَهُ، وَلَيَحْدُرْ أَنْ يَجْعَلَهُ سَبِيلًا إِلَى نَيْلِ الْأَعْرَاضِ، وَطَرِيقًا إِلَى أَخْذِ الْأَعْوَاضِ، فَقَدْ جَاءَ الْوَعِيدُ مِنْ أَيْتَغَى ذَلِكَ بِعْلَمَهُ.

جاء الوعيد من طلب علمًا وهو ما يتغى به وجه الله لم يجد عرفة الجنة، أي ريحها، وما ذكره الخطيب البغدادي - رحمة الله - حق أن يخلص الإنسان التي في طلب العلم بأن ينوي امتحان أمر الله تعالى والوصول إلى ثواب طلب العلم وحماية

(١) «الجامع» للخطيب: (٨١/١)، (٨٣، ٨٥، ٨٧، ٨٩)، (١٤٢).

اشبه ذلك. هذه نيات سيئة، وهي ستحصل لك مع النية الصالحة إذا نويت نية صالحة، صرت إماماً، صرت رئيساً يشير الناس إليك وأخذوا بقولك.

﴿ وَلَيَجْعَلْ حِفْظَهُ لِلْحَدِيثِ حِفْظَ رِعَايَةٍ لَا حِفْظَ رِوَايَةٍ، فَإِنَّ رِوَايَةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرُعَايَاتُهَا قَلِيلٌ، وَرَبُّ حَاضِرِ الْغَائِبِ، وَعَالَمُ الْجَاهِلِ، وَحَامِلُ الْحَدِيثِ لَيْسَ مَعَهُ مِنْهُ شَيْءٌ إِذَا كَانَ فِي اطْرَاحِهِ لِحُكْمِهِ بِمَنْزِلَةِ الْمَذَاهِبِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَعِلْمِهِ. ﴾

ومعنى «رعاية» أن يفقه الحديث ويعمل به وبيئه للناس، لأن مجرد الحفظ بدون فقه للمعنى ناقص جداً، وقد قال النبي ﷺ: «رَبُّ مَبْلَغِ أُوْعَى مِنْ سَامِعٍ»^(١). والمقصود بالأحاديث أو القرآن الكريم هو فقه المعنى حتى يعمل به الإنسان ويدعو إليه، ولكن الله سبحانه وتعالى بحكمته جعل الناس أصنافاً، منهم راوي فقط ولا يعرف من المعنى شيئاً إلا شيء واضح بين لا يحتاج الناس إلى مناقشته فيه، لكنه في الحفظ والثبات قوي جداً، ومن الناس من أعطاه الله فهمّاً وفقهّاً لكنه ضعيف الحفظ إلا أنه يفجر ينابيع العلم من النصوص إلا أنه ضعيف الحفظ، ومن الناس من يعطي الله الأمرين: قوة الحفظ وقوة الفقه، لكن هذا نادر، وقد ضرب النبي ﷺ مثلاً لما أتاه الله تعالى من العلم والحكمة مطر أصاباب أرضًا فصارت الأرض ثلاثة أقسام:

قسم - قياع ابتلعت الماء ولم تنبت الكلأ، فهذا مثل من أتاه الله العلم والحكمة ولكنه لم يرفع به رأساً ولم ينتفع به ولم ينفع به غيره.

والقسم الثاني - أرض أمسكت الماء ولكنها لم تنبت الكلأ. هؤلاء من الرواة، امسكوا الماء فسقوا الناس واستقوا وزرعوا، لكنهم أنفسهم ليس عندهم إلا حفظ هذا الشيء.

(١) جزء من حديث رواه أحمد (٤٣٧) والترمذى (٢٦٥٧).

الشريعة والذب عنها ورفع الجهل عن نفسه ورفع الجهل عن غيره، كل هذه تدل على الإخلاص، ولا يكون قصده نيل الأعراض كالجاه والرئاسة والمرتبة، أو طريقاً إلى أحد الأعراض كالمرببات لا يريد هذا.

فإذا قال قائل: كل الذين يطلبون العلم في الكليات إنما يقصدون الشهادة ولذلك يرى بعضهم يريد الوصول إلى هذه الشهادات ولو بالباطل كالشهادة المزيفة والغش، ما أشبه ذلك. فيقال يمكن للإنسان أن يريد الشهادة في الكلية مع إخلاص النية وذلك أن يريد بها الوصول إلى منفعة الخلق لأن من لم يحمل الشهادة لا يمكن من أن يكون مدرساً أو مديراً أو ما أشبه ذلك مما يتوقف على نيل الشهادة.

فإذا قال: أنا أريد أن أتال الشهادة لأنّي ملتحق من التدريس في الكلية مثلاً، ولو لا هذه الشهادة ما درست. أريد الشهادة لأنّي مهندس لأنّي داعية، لأنّي في عصر لا يمكن أن يكون الإنسان فيه داعياً إلى الله إلا بالشهادة.

فإذا كانت هذه نية الإنسان فهي نية حسنة لا تضر إن شاء الله هذا في العلم الشرعي. أما في العلم الديني فانو فيه ما شئت بما أحله الله. لو تعلم الإنسان الهندسة وقال أريد أن أكون مهندساً ليكون الراتب ١٠ ألف ريال. فهل هذا حرام؟ لا ... لماذا؟ لأن هذا علم ديني، كالتجار يتأجر من أجل أن يحصل على ربح.

﴿ وَلَيُتَّقِّ المُفَاخِرَةُ وَالْمُبَاهَاةُ بِهِ، وَأَنْ يَكُونَ قَصْدُهُ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ نَيْلُ الرِّئَاسَةِ، وَاتِّخَادُ الْأَتَبَاعِ، وَعَقْدُ الْمَجَالِسِ، فَإِنَّ الْأَقْفَةَ الدَّاخِلَةَ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَكْثَرُهُمْ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. ﴾

وقد جاء الوعيد فيمن طلب ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء^(١). فأنت لا تقصد بعلمك المفاحرة والمباهة، وأن يكون قصداً أن تصرف وجوه الناس إليك وما

(١) من حديث كعب بن مالك: «من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار»، الحديث رواه الترمذى (٢٦٥٤) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

ما وقع على سبيل التشهي فهل تتبعه فيه. كان عليه الصلاة والسلام يحب الحلوى، يحب العسل، يتبع الدباء في الأكل. هل تتبعه في ذلك.

قال أنس رضي الله عنه : كان النبي عليه السلام يسع الدباء - يعني القرع - في الطعام، فما زلت أبعها منذ رأيت النبي عليه السلام يتبعها.

وعلی هذا فهل نقول من المشروع أنك تبع الدباء، لأن النبي ﷺ يتبغه أم لا؟
الظاهر أن هذا الاتباع فيه أخرى من الاتباع فيما سبقه - وهو ما وقع اتفاقاً - لأن
1. لم يقع اتفاقاً، حيث أنتا تعلم أن الرسول ﷺ حين يتبعها أنه يتبعها قصداً لا
اتفاقاً، ولاشك أن الإنسان إذا تبع الدباء من على ظهر القصصعة وهو يشعر أنه يفعل
ما فعل الرسول ﷺ لاشك أن هذا يوجب له محبة لرسول الله ﷺ واتباع آثاره
حيث نقول: إذا تبعت هذا فإنك على الخير، وقد يكون في الدباء منفعة طيبة،
وهل وتلین وتكون قدمًا للطعام.

قوله «باستعمال آثار» هذه العبارة فيها شيء من الركاكة، ولو قال «باتباع آثار» ما عبر بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية قال: من أصول أهل السنة والجماعة اتباع آثار النبي ﷺ ظاهراً وباطناً. وهذا هو اللفظ المطابق للقرآن. **﴿فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ﴾** (سورة آل عمران: ٣١). أما استعمال الآثار فقد يتوجه أحد أن استعمال ثيابه وعمامته وما أشبه ذلك. لكن إذا قلنا اتباع آثار كان ذلك أحسن وأوضحت.

وقوله: «تَوْظِيفُ السَّنَنِ عَلَى نَفْسِهِ» يراد بذلك أن يطبق توظيفها، بمعنى تطبيق السنن على نفسه لأن الله يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَةٌ﴾ (سورة الأحزاب: ٢١).

وذكر آخر الآية لكان أحسن ما هو، ﴿لَمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (سورة

والارض الثالثة - أرض رياض قبلت الماء فأنبتت العشب والكلأ فانتفع الناس وأكلوا وأكلت مواشיהם. وهؤلاء الذين من الله عليهم بالعلم والفقه، فنفعوا الناس وانتفعوا به.

ويُنْبَغِي لِطَالِبِ الْحَدِيثِ أَنْ يَتَمَيَّزَ فِي عَامَةِ أُمُورِهِ عَنْ طَرَائِقِ الْعَوَامِ
بِاسْتِعْمَالِ آثَارِ رَسُولِ اللَّهِ مَا أَمْكَنَهُ، وَتَوْظِيفِ السُّنْنَ عَلَى نَفْسِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ
تَعَالَى يَقُولُ: **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** (سورة الأحزاب: ٢١). أَهـ.

يُنْبَغِي أحياناً يراد بها الوجوب، لكن الشائع في استعمالها أنها للندب. وهذا في الأمور التعبدية ظاهر. أنه يُنْبَغِي للإنسان أن يتميز باستعمال آثار رسول الله ﷺ في الأمور الاتفاقية التي وقعت اتفاقاً من غير قصد هل يشرع أن يتبعها الإنسان أم لا؟ كان ابن عمر رضي الله عنهما وعن أبيه يتع ذلك، حتى أنه يتحرى المكان الذي نزل فيه الرسول ﷺ ويال فيه، فنزل ويبيول. وإن لم يكن محتاجاً للبيول.

كل هذا من شدة تحريه لاتباع الرسول ﷺ لكن هذا قد خالفه أكثر الصحابة فيه
ورأوا أن ما وقع اتفاقاً فليس بمشروع اتباعه للإنسان. ولهذا لو قال قائل: أُسِّنْ لِنَا
الآن لا نقدم مكة في الحج إلا في اليوم الرابع لأن الرسول ﷺ قدم في اليوم الرابع؟
الصحيح أنه لا يشرع. لأنَّه مُحَاجَّةٌ لِمَفْعُولٍ

ما وقع عادة فهل يشرع لنا أن نتبعه فيه؟ مثلاً: العمامة والرداء والإزار. نقول: **نعم يشرع أن نتبعه فيه.**

لكن ما معنى الاتباع. هل معناه اتباعه في عين ما ليس؟ أو اتباعه في جنس ما ليس؟ الجواب: الثاني. لأنه ليسَ ما اعتاده الناس في ذلك الوقت.

وعلى ذلك نقول: السنة ليس ما يعتاده الناس، ما لم يكن محرماً، فإن كان محرماً وجب اجتنابه.

٢٩. تعاهد المحفظات:

تعاهد علمك من وقت إلى آخر، فإن عدم التعاهد عنوان الذهاب للعلم مهما كان. عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المُعَلَّة إن عاهد عليها، أمسكها، وإن أطلقها، ذهبَت». رواه الشيخان، ومالك في «الموطأ».

لو عبر بقوله: «فإن عدم التعاهد سبب لذهاب العلم» لكان أولى لقول النبي ﷺ: «تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها»^(١). فيدل ذلك على أن عدم التعاهد سببه النسيان، وليس عنوان الذهاب للعلم، لأن عنوان الشيء يكون بعد الشيء.

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله: «وفي هذا الحديث دليل على أن من لم يتعاهد علمه، ذهب عنه أي من كان، لأن علمهم كان ذلك الوقت القرآن لا غير، وإذا كان القرآن الميسّر للذّكر يذهب إن لم يتعاهد، فما ظلّت بغيره من العلوم المعهودة وخير العلوم ما ضُبِطَ أصله، واستُذكِر فرعُه، وقد أدى إلى الله تعالى، ودل على ما يرضاه».

هذا فيه دليل على أن من لم يتعاهد علمه ذهب عنه. وهذا واضح، أن من لم يتعاهد حفظه نسيه، وكما أن هذا في المعمول، هو أيضاً في المحسوس، فمن لم يتعاهد الشجرة بملاء ثقوب أو تذليل، وكذلك من لم يتعاهد أغصانها تتکاثر ويفسد بعضها بعضاً فلا يستقيم وكذلك العلوم.

(١) «التمهيد»: (١٤-١٣٣-١٣٤).

(٢) رواه البخاري (٥٠٣١). ومسلم (٧٨٩). ومالك في كتاب القرآن (١٥) باب (٤) حديث (٦).

وقال بعضهم^(١): «كُلُّ عِزْلٍ لَمْ يُؤْكَدْ بِعِلْمٍ، فَإِلَى ذُلِّ مَصِيرَهُ» أهـ.

٣٠. التفقه بتأريخ الفروع على الأصول:

من وراء الفقه: التفقه، ومعتمله هو الذي يعلق الأحكام بمداركها الشرعية، وفي حديث ابن مسعود^(٢): أن رسول الله قال: «نَضَرَ اللَّهُ أَمْرَهُ سَعَ مَقَاتِلَيْ فَحَفِظَهُمَا، وَوَعَاهُمَا، فَأَدَّاهُمَا كَمَا سَعَاهُمَا، فَرُبَّ حَامِلِ فَقِهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فَقِهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ».

التفقه يعني طلب الفقه، والفقه ليس العلم. بل هو إدراك أسرار الشريعة. وكم من سان عنده كثير ولكنه ليس بفقهه، ولهذا حذر ابن مسعود^(٣) من ذلك فقال: «كيفكم إذا كثر قراوكم وقل فقهاؤكم».

الفقه هو العالم بأسرار الشريعة وغاياتها وحكمها حتى يستطيع أن يرد الفروع الشاردة إلى الأصول الموجودة، ويتمكن من تطبيق الأشياء على أصولها، فيحصل له ذلك خير كثير.

قال: «نَضَرَ اللَّهُ... نَضَرَ» يعني: حسنه، ومنه قوله تعالى: «وُجُوهٌ يَوْمَ نَاضِرَةٌ»^(٤) ورقة القيمة: (٢٢). أي: حسنه، وقوله تعالى: «فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَاهُمْ نَضْرَةٌ»^(٥) (سورة الإنسان: ١١). نضرة: يعني حسناً في وجوههم، وسروراً في قلوبهم، يجتمع لهم حسن الظاهر والباطن. لأن الإنسان قد يغتم قلبه، ووجهه قد أعطاه الله سارة لكن سرعان ما تزول. ومن الناس من يكون قلبه مسروراً لكن لم يعطه الله سارة الوجه، ومن الناس من يحصل له الأمران: السرور في القلب ونضارة في وجهه. وبذلك تتم النعمة.

(١) «شرح الإحياء»: (٩٣/١).

(٢) رواه أحمد (٤٣٧/١).

ثم أشار الشيخ يكر إلى شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم - رحمهم الله - وبيان ما وصلان إليه من الأحكام الكثيرة من الأدلة القليلة، وقد أعطاهمما الله فهمًا عجيبة في القرآن والسنة.

ونضرب مثلاً لهذا - أعني التفقه - ، أن العلماء اتخذوا الحكم بأن أقل مدة حمل ستة أشهر من قوله تعالى: **﴿وَحَمَلَهُ وَفَصَالَهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾** (سورة الأحقاف: ١٥). من قوله: **﴿وَفَصَالَهُ فِي عَامَيْنِ﴾** (سورة لقمان: ١٤). فإن ثلاثين شهراً، عامان وستة أشهر، فإذا كان حمله وفصاله **﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾** وفي الآية الأخرى **﴿فِي عَامَيْنِ﴾** لزم يكون الحمل أقله ستة أشهر.

وَمِنْ مَلِيْحٍ كَلَامَ ابْنِ تِيمِيَّةَ . رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . قَوْلُهُ فِي مَجْلِسِ الْتَّفْقِيْهِ :
اَمَا بَعْدُ ، فَقَدْ كُنَّا فِي مَجْلِسِ التَّفْقِيْهِ فِي الدِّيَنِ ، وَالنَّظَرُ فِي مَدَارِكِ الْاَحْكَامِ
الْمُشْرُوِّعَةِ ، تَصْوِيرًا ، وَتَقْرِيرًا ، وَتَأْصِيلًا ، وَتَفْصِيلًا ، فَوْقَ الْكَلَامِ فِي ... فَأَقُولُ : لَا
حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ اِلَّا بِاللَّهِ ، هَذَا مَبْنَىٰ عَلَى اُصْلِ وَفَصْلِيْنِ

واعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ أَنْ بَيْنَ يَدِي التَّفْقِهِ: (الْتَّفْكُرُ). . فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى دُعَا عِبَادَهُ فِي غَيْرِ مَا آتَيْهِ مِنْ كِتَابِهِ إِلَى التَّحْرُكِ بِإِجَالَةِ النَّظَرِ الْعَمِيقِ
فِي (الْتَّفْكُرِ) فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَإِلَى أَنْ يُمْعِنَ الْمَرءُ الْنَّظَرُ فِي نَفْسِهِ،
وَمَا حَوْلَهُ، فَتَحَّا لِلْقَوْيِ الْعَقْلِيَّةِ عَلَى مَصْرَاعِيْهَا، وَهُنَّ يَصْلَى إِلَى تَقْوِيَّةِ الْإِيمَانِ،
وَتَعْمِيقِ الْأَحْكَامِ، وَالْإِنْتَصَارِ الْعَلَمِيِّ: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لِعَلْكُمْ
تَفَكَّرُونَ﴾ (سَيِّدَ الْقَدَّامَ، ٢١٩: ٢١٩)، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْيَسِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾

(سورة الأنعام: ٥٠).

قال ابن خير (١) . - رحمة الله تعالى . في فقه هذا الحديث: وفيه بيان أن الفقه هو الاستنباط والاستدراك في معاني الكلام من طريق التفهم، وفي ضمته بيان وجوب التفقه، والبحث على معاني الحديث، واستخراج المكتون من سرده أهـ. وللشيخين، شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم الجوزية رحمة الله تعالى، في ذلك القدح المعلى، ومن نظر في كتب هذين الإمامين، سلك به الناظر فيها إلى التفقه طريقاً مستقيماً .

لاشك أن ما ذكره - وفقه الله - هو الصواب؛ أن الفقه هو استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة⁽²⁾. لكن لا ينبغي أن يقتصر على الحديث، بل نقول من الأدلة في القرآن والسنة دلالات القرآن أقوى من دلالات السنة وأثبتت، لأنه لا يعتريه عيب النقل بالمعنى، وأما السنة فهي تنقل بالمعنى. وعلى هذا فيقال: «باليبحث عن معانى القرآن والحديث».

وَمِنْ أَحْسَنِ مَنْ رَأَيْتُ فِي اسْتِخْرَاجِ الْأَحْكَامِ مِنَ الْآيَاتِ شِيخَنَا - رَحْمَهُ اللَّهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعْدِيٍّ، فَإِنَّهُ يَسْتَخْرُجُ - أَحْيَانًا - مِنَ الْآيَاتِ مَا لَا تَرَاهُ فِي كِتَابٍ أَخْرَى، وَهُذَا الطَّرِيقُ - أَعْنِي طَرِيقَ اسْتِنباطِ الْأَحْكَامِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنْنَةِ - هُوَ طَرِيقُ الصَّحَابَةِ، فَمَا كَانُوا يَتَجَاهِزُونَ عَشَرَ آيَاتٍ حَتَّى يَتَعَلَّمُونَهَا، وَمَا فِيهَا

(١) في «فهرسته»: (ص ٩).

(٢) انظر غير مأمور في تعريف الفقه: المعتمد (١/٨)، شرح اللمع (٥٨/١)، الأحكام للأمام
الجعفية (١/٧)، شرح العضد (١/٢٥)، الحدود (ص ٣٥)، معراج المنهاج (٣٩/١)، الإيهاج (٨/١)، نها
الرسول (١٩)، البحر المحيط (١/٢١)، القواعد والفوائد الأصولية (ص ٤)، البرهان (١/٨٥)،
المصنفي (٤/١)، شرح الورقات للدمياطي، (ص ٣).

ويذكر أن الشافعي رحمة الله نزل ضيفاً على الإمام أحمد بن حنبل - وأحمد لم يمذ الشافعي وكان يشى عليه عند أهله - فقدم له العشاء فأكله كله ورد الصحفة^(١). حالياً، فتعجب أهل أحمد كيف يأكل الطعام كله، والستة أن الإنسان يأكل قليلاً. حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلاث لطعامه وثلاث لشرابه وثلاث لنفسه^(٢). لكن الشافعي أكل كل الطعام. هذه واحدة ثم إن الإمام أحمد انصرف إلى أهله ونام الشافعي فلما كان في آخر الليل قام يتهجد ولم يطلب ماءً يتوضأ به، أو اطنه أنه لم يقم يتهجد، ثم أذن الفجر فخرج إلى الصلاة ولم يطلب ماءً للوضوء، هذه اثنان.

فلما أصبح قال أهل الإمام أحمد له كيف تقول في الشافعي ما تقول ، والرجل أكل الطعام ونام وقام ولم يتوضأ كيف إذا؟

قال: «أتيكم بالخبر..» فسألها. قال: فأما الطعام فلا أجد أحلَّ من طعام الإمام أحمد بن حنبل فأردت أن أملأ بطني منه، أما كوني لم أتهجد فلأن التفكير في العلم أفضل من التهجد، وأنا جعلت أتفكر في العلم واستنبط من قول الرسول ﷺ: «يا أبا عمير ما فعل التغيير»^(٣). كذا وكذا ما أدرى قال: مائة، أو ألف.

أما كوني لم أطلب ماءً وأن خارج لصلاة الفجر، فلم أشأ أن أطلب ماءً وأن على وضوء. فذكر ذلك لأهله. فقالوا: الآن !!

(١) الصحفة، أكبر من القصعة وهي ما تشبع نحو من خمسة.

(٢) أخرج أحمد (١٣٢/٤). والترمذى (٢٣٨٠). وابن المبارك في الزهد (٦٠٣).

(٣) أخرج البخاري (٦١٢٩)، والتغيير: طير صغير.

وعليه، فإن «التفقة» أبعد مدىً من (التفكير)، إذ هو حصيلته وإن تاجه، وإن لا: «فَمَالْ هُؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا» (سورة النساء: ٧٨). لكنَّ هذا التفقة ممحوظ بالبرهان، محظوظ عن التشهي والهوى: «وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ» (سورة البقرة: ١٢٠).

إذاً نقول: المراتب، أولاً - العلم، ثم الفهم، ثم التفكير، ثم التفقة. لابد من هذا، فمن لا علم عنده كيف يتفقه؟ وكيف يعلم ... من عنده علم وليس عنده فهم ... كيف يتفقه؟ حتى لو حاول أن يتفقه وهو مما لا يفهم لا يمكن ذلك. بعد أن تفهم ... تفكير ما مدلول هذه الآيات؟ ما مدلول هذا الحديث؟ وتتفكر أيضاً في أنواع الدلالة، وأنواع الدلالة ثلاثة^(٤):

دلالة المطابقة، دلالة التضمن، دلالة الالتزام.

دلالة اللفظ على جميع معناه، دلالة مطابقة.

ودلالته على بعض معناه، دلالة تضمن.

ودلالته على لازم خارج، هذه دلالة التزام.

وهذا النوع الثالث من الدلالة هو الذي يختلف فيه الناس اختلافاً عظيماً، إذ قد يتلزم بعض الناس من الدليل ما لا يلزم، وقد يفوته ما يلزم. وبين ذلك تفاوت عظيم، فلا بد أن يعمل هذه الدلالات حى شذ يصل إلى درجة التفقة واستنباط الأحكام من أدتها.

(٤) انظر غير مأمور في تعريف وأنواع الدلالة:

كتاف اصطلاحات الفنون (٢/٢٨٤)، التعريفات (١٣٩)، الإحکام للأمدي (١٩/١)، سلاسل

الذهب (ص ١٦٤)، البحر المحيط (١/٣٠٠)، ميزان العلوم لشیخ عبد السلام القویسی (ص ١٩/١)،

القاموس المبین في اصطلاحات الاصوليين (ص ١٢٠).

والهم أن فقه النفس، الذي هو صلاح القلب والعقيدة السليمة ومحبة الخير للMuslimين وما أشبه ذلك هذا يبني عليه فقه البدن: معرفة هذا القول حلال أم حرام. هذا الفعل حلال أم حرام.

فأجل النظر عند الواردات بتأريخ الفروع على الأصول، وتمام العناية بالقواعد والضوابط. وأجمع للنظر في فرع ما بين تتبعه وإفراجه في قالب الشريعة العام من قواعدها وأصولها المطردة، كقواعد المصالح، ودفع الضرر والمشقة، وجنب التيسير، وسد باب الحيل، وسد الذرائع.

لابد لطالب العلم من أصول يرجع إليها، والأصول ثلاثة: الأدلة من القرآن والسنة والقواعد والضوابط المأمورة من الكتاب والسنة.

والهم أن يكون لدى الإنسان علم بالقواعد والضوابط حتى يتزول عليها الجزئيات، والفرق بين القاعدة والضابط^(١):

أن الضابط يكون لمسائل محصورة معينة.
والقاعدة أصل يتفرع عليه أشياء كثيرة.

فالضابط أقل رتبة من القاعدة، كما يدل ذلك اللفظ، الضابط يضبط الأشياء ويجمعها في قالب واحد. والقاعدة أصل تفرع عنه الجزئيات.

قوله: «فأجل النظر عند الواردات بتأريخ الفروع على الأصول، وتمام العناية بالقواعد والضوابط» هذا من أهم ما يكون، أن الإنسان يجعل نظره أي فكره يتوجه بتأريخ

(١) انظر في ذلك: الأشيه والنظائر لابن تيمية/١٩٢، والكليات/٧٢٨، هداية العقول (١/٣٦)، التعريفات/٢١٩، شرح الكوكب المشرب (١/١٣)، المحتوى على شرح جمع الجماع (١/٢١).

فهي أيها الطالب أتحل بالنظر والتفكير، والفقه والتفقه، لعلك أن تتجاوز من مرحلة الفقيه إلى (فقيه النفس) كما يقول الفقهاء، وهو الذي يعلق الأحكام بمداركها الشرعية، أو (فقيه البدن) كما في اصطلاح المحدثين^(٢).

هناك فقه ثالث ظهر، وهو فقه الواقع الذي علق عليه بعض الناس العلم. وقالوا: من لم يكن فقيه الواقع فليس بعالم، ونسوا أن النبي ﷺ قال: «من يرد الله به خيراً ينفعه في الدين»^(٢). ثم غفلوا عن كون الإنسان يشتغل بفقه الواقع أن ذلك يشغله عن فقه الدين، بل ربما يشغله عن الاشتغال بالتعبد الصحيح، عبادة الله وحده وانصراف القلب إلى الله والتفكير في آياته الكونية والشرعية. والحقيقة أن انشغال الشباب بفقه الواقع قد لهم عن الفقه في دين الله، لأن القلب إذا امتلاء بشيء امتنع عن الآخر.

فانشغال الإنسان بالفقه في الدين وتحقيق العبادة والدين والإخلاص خير له من البحث عن الواقع، وماذا فعل فلان؟ وماذا فعل فلان، وربما يتلقون فقه الواقع من روایات ضعيفة أو موضوعة في وسائل الإعلام المسموعة أو المقرؤة أو المرئية أو يبنون ما يظنونه فقه واقع على تقديرات وتخمينات يقدّرها الإنسان، ثم يقول هذا فعل لها، ويعمل بتعليلات قد تكون بعيدة من الواقع.

أو ينظر إلى أشياء خطط لها أعداؤنا من قبل على واقع معين، تغيير الواقع وزال بالكلية فبقيت هذه الخطط لا شيء.

(١) وانظر عن قولهم: «فقيه البدن»، «معالم الإعان»: (٢/٣٣٦، ٣٤٠) و«الثقات» لابن حبان: (٩/٤٢).

(٢) سبق تخرّيجه.

وهنا نقف لينين أن بعض الأصوليين أتى بدليل خامس: وهو المصالح المرسلة^(١):
قال: الأدلة هي القرآن والسنة والقياس الصحيح والمصالح المرسلة.

وهذا غلط لأن هذه المصالح الذين يدعون أنها - مصالح مرسلة - إن كان الشرع قد شهد لها أنها مصالح مرسلة فهي من الشرع داخلة في عموم الشرع: كتاب أو سنة قياس كان أو إجماع، وإن لم تكن فيها مصالح شرعية فهي باطلة فاسدة الاعتبار، وحيثند لا نؤصل أصلاً، دليلاً ندين الله بالتعبد به بدون دليل من القرآن والسنة. لأن كونك تؤصل أصلاً يعني أنك تبني دينك على هذا.

وعلى هذا فتسمح أو فتنسخ ذكر المصالح المرسلة من الأدلة. لماذا؟ لأننا نقول: إن شهد الشرع بهذه المصلحة فهي ثابتة بالكتاب والسنة بعمومتها وقواعدها، وإن شهد بطلانها فهي باطلة.

الآن من أهل البدع من ركب بدعته على هذا الدليل. قال: هذا من المصالح المرسلة. فالإنسان يحيي قلبه ويحركه بماذا؟ ببدعة صوفية وما أشبه ذلك وقال: نحن نطمئن الآن إذا أتينا بهذه الأذكار وعلى هذه الصفة ويضرب الأرض حتى تغمر قدماه. قال: هذه مصلحة عظيمة تحرك القلوب.

ماذا نقول: لو قلنا باعتبار المصالح المرسلة كل واحد يدعي أن هذه مصلحة وأصل التزاع الذي أمر الله فيه بالرد إلى الكتاب والسنة أصله أن كل واحد يرى أن كل ما عليه مصلحة، وربما يماري ليكون قوله المقبول.

(١) انظر المصلحة المرسلة: شرح تبيح الفضول (ص ٤٤٥)، المستصنف (١/٢٨٤)، الروضة (ص ١٦٩)، المحسن (٢/٢١٩)، نهاية السول (٣/١٣٦)، أصول منذهب الإمام أحمد (٤١٣) شفاء الغليل (ص ٢١١)، الاعتراض (٢/١١١)، إرشاد الفحول (ص ٢٤١) الإبهاج (٣/١٧٨)، مختصر ابن الحاجب مع شرح العضد (٢/٢٨٩)، أثر الأدلة المختلفة فيها (٤١) للدكتور مصطفى البنا.

الفروع على الأصول حتى يتمرن، لأن بعض الناس قد يحفظ القاعدة كما يحفظ الفاتحة ولكن لا يعرف أن يخرج عليها. وهذا لا شك نقص في التفكير. فلا بد من أن يجتهد ويُجْيلُ نظره بتحريج القواعد على الأصول.

قوله: «أجمع للنظر في فرع ما بين تبعه وإفراغه في قالب الشريعة العام...» وهذا أيضاً مهم عند أهل الحديث. يأتي مثلاً نص ظاهره. الحكم بكل ذكر لكن إذا تأملت في هذا النص وجدته مخالفًا للقواعد العامة من الشريعة، فما موقفك؟

نقول: لا بد أن نرجع إلى القواعد، ويُحکم على هذا بما تقتضيه الحاجة. وكذلك قال العلماء فيما لو خالف الإنسان الثقة الثبت من هو أرجح منه، فإن حديثه وإن كان من حيث النظر إلى مجرد الطريق نحكم بصححته - نقول: إن هذا غير صحيح. لماذا؟ لأنه شاذ. والذي أوجب لكثير من المبتدئين في طلب العلم أن يسلكوا مسلكاً شاداً هو هذا. أعني عدم النظر إلى القواعد والأصول الثابتة. وهذا أمر مهم، وذلك لأن الشريعة إنما جاءت بجلب المصالح الدينية والدنيوية ولدرء المفاسد أو تقليلها، سواء كانت المفاسد دينية أو دنيوية، ولهذا تجد أن الله عز وجل يقدم المصالحة العامة على المصلحة الخاصة شرعاً وقدراً.

تنزل الأمطار على الأرض، وهذا رجل تم بنيانه قريباً. هل يضره المطر أو لا؟
نعم يضره، لكن لا عبرة. لأن العبرة بالعموم.

وكذلك تنزل وهذا الرجل قد انتهى من السقي، والمعروف أن الزرع إذا أصابه الماء، مطرأً كان أو سقىً بعد الانتهاء من سقيه أنه يضره لكن العبرة بالعموم.

فهذه مسائل ينبغي لطالب العلم أن يتتبّع لها، ولهذا قال الشيخ بكر رحمة الله ووفقه الله «أصولها المطردة كقواعد المصالح».

إله، فأخذه وشرب، والناس ينظرون. ثم قيل له إن بعض الناس قد صام. فقال: ^(١) **أولئك العصاة، أولئك العصاة.**

هل ورد نهي أن يقووا على صيامهم؟ لا، ولكن العموم **﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُم﴾** ^(٢) سورة النساء: ٢٩. ، **﴿وَمَا جَعَلْتُ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾** ^(٣) (سورة الحج: ٧٨). إنما الشرع ^(٤) راعي قواعد المصالح ودفع الضرر، دفع المشقة.

قوله: **«وَجْلِبُ التَّيِّسِيرِ** كل الإسلام تيسير، لكن هل اليسر هوما تيسر على كل شخص بعينه أو باعتبار العموم؟ باعتبار العموم. ومع ذلك إذا حصل للإنسان ما فتضي التيسير وجد الباب مفتوحاً: **«صَلَّ قَائِمًا...»** ^(٥). إنما هذا تيسير، بل قال سول الله عليه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** **«إِنَّ الدِّينَ يُسَرُّ وَلَا يُشَدُّ الدِّينُ أَحَدًا إِلَّا غَلَبَهُ»**

كل الدين يسر، وكان إذا بعث البعض يقول: **«يُسَرُّوْ وَلَا تَعْسِرُوْ، بَشِّرُوْ وَلَا تَنْفِرُوْ** ^(٦) **فَإِنَّمَا بَعْثَتُمْ مَيْسِرِينَ وَلَمْ تَبْعَثُوا مَعْسِرِينَ»**

فالحمد لله. هذا الدين للإنسان دين يسر، وبناء على ذلك هل يتعمد الإنسان فعل العبادة على وجه يشق عليه أو أن يفعلها على الوجه الأيسر. أيهما أقرب إلى مقاصد الشريعة؟

الثاني، ولهذا لو أن رجلاً في البرد حانت صلاة الفجر وعنه ماء، أحدهما ساخن والآخر بارد.

قال أنا أريد أن أتوضاً بالماء البارد حتى أتال أجر إسباغ الوضوء على المكاره. قال الثاني أنا أريد أن أتوضاً بالماء الساخن حتى أوفق مراد الله الشرعي، حيث قال:

(١) أخرجه مسلم (١١١٤).

(٢) أخرجه البخاري (١١١٧) في كتاب تقصير الصلاة/ باب إذا لم يُطِقْ قاعِدًا صلَى على جنب.

(٣) أخرجه البخاري (٣٩) في كتاب الإيمان/ باب الدين يسر.

(٤) أخرجه مسلم (١٧٣٢/٦).

المهم أن قول الشيخ بكر «قواعد المصالح» مراده بذلك المصالح الشرعية، فإن كان هذا مراده فهو حق، وإن كان يريد المصالح المرسلة فهو بعيد، لأنه قال بعد ذلك **«دفع الضرر والمشقة»**، إنما يشير إلى المصالح المرسلة فقد علمت فساد ما يجعلها دليلاً مستقلاً.

وقوله: **«دفع الضرر»** أين نجد من القرآن والسنة دفع الضرر؟ كثير، قال الله تعالى: **﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُم﴾** ^(٧) (سورة النساء: ٢٩). وهذه الآية تعم قتل النفس مباشرة لأن ينتحر الإنسان أو فعل ما يكون سبباً للهلاك، ولهذا استدل عمرو بن العاص **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بهذه الآية على التيمم خوفاً من البرد، مع أن البرد قد لا يحيي الإنسان، ولكن قد يكون سبباً لموته، استدل بها، فأقره النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على ذلك وضحك.

هذا من القرآن. وأيضاً من القرآن قوله تعالى: **﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدُ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمْ أَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَيَمْمُوا﴾** ^(٨) (سورة المائدah: ٦). الشاهد قوله: **﴿مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدُ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمْ أَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَيَمْمُوا﴾** لماذا يتيم وهو مريض، يقدر أن يستعمل الماء؟ لكن لثلا يزداد مرضه أو يتأخر برأه.

ومن دفع المشقة أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** رأى زحاماً وهو في السفر، ورجلًا قد ظُلِّلَ عليه. فقال: ما هذا؟ قالوا: صائم. قال: **«لَيْسَ مِنَ الْبَرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ»** ^(٩). مع أن الرسول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يصوم وهو مسافر، وهل يفعل غير البر؟ لا لكن إذا وصلت الحال من المشقة فإنه ليس من البر، وإذا انتهى أن يكون من البر، فهو إما من الإثم وإما أن يكون مِنْ لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ.

شكُّيَ إلى النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن الناس عطاش وقد شُقَّ عليهم الصيام، لكنهم ينظرون متى، فدعاؤه **بِعِلَّةِ بَعْدِ صَلَاتِ الْعَصْرِ** ووضعه على فخده الشريفة، وجعل الناس ينظرون

(٧) أخرجه البخاري (١٩٤٦) في كتاب الصوم / ومسلم في الصيام (١١١٥/٩٢).

أما في الشرع والإصطلاح: هي التوصل إلى اسقاط واجب أو انتهاء محرم بما
ل Maher الإباحة⁽¹⁾.

مثال ذلك: رجل سافر في نهار رمضان، قصده أن يفطر في رمضان وليس له مصد في السفر إلا أن يفطر. ظاهر فعله أنه حلال، لكن أراد بذلك إلى إسقاط أرجح وهو الصوم.

مثال آخر: رجل تزوج بطلقة صاحبه ثلثاً، ورآه محرزوناً عليهما فذهب وتزوجها من أجل أن يحللها للزوج الأول - الذي هو صاحبه - ليس له غرض في المرأة، وإنما يد أن يجامعها ليلة ثم يدعها.

نقول: هذا تحيل على محرم، لأن هذه المرأة لا تخل لزوجها الأول الذي طلقها
للاجأ وأراد أن يحللها له.

الثاني - ما لا خلاف في جوازه كالنطق بكلمة الكفر حالة الإكراه. قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مِنْ أَكْرَهَ وَقَبِيلَهُ مُطْمِئِنٌ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفَرِ صَدَرَ فَعَلِيهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عِذَابٌ أَعْظَمٌ﴾ (سورة النحل: ١٠٦). قال ابن القيم: فهذه وأمثالها هي الحيل التي أباحتها الشريعة وهي تحيل الإنسان بفعل المباح على تخلصه من ظلمه غيره وأذاته، لا الاحتياط على إسقاط فرائض الله واستباحة محارمه.

الثالث - ما لم يتبيّن بدليل قاطع موافقته لمقصد الشارع أو مخالفته، وهذا محل خلاف بين العلماء. انظر: المواقفات (٢/ ٣٨٢) و(٤/ ٢٠١) وإعلام الموقعين (٣/ ١٤٣) و(٣/ ٢٩١) والطرق الحكيمية (٤١)، قاعدة سد الذريع (٧٧٢) للدكتور محمود حامد عثمان.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ (سورة البقرة: ١٨٥). أيهما أصوب؟ الثاني بالإجماع بلا شك هو المواقف للشريعة، لأن إسباغ الوضوء على المكاره ليس المراد منه أن يتقصد الإنسان يكرهه. المراد إذا لم يكن الوضوء إلا بمكرره .. يتوضأ هذا معناه.

وإلا لكان يقول أحجج البيت على قدميك ... سر من أفغانستان إلى مكة على قدميك، فإن لم تفعل فعلى سيارة خربة، تمشي قليلاً وتقف كثيراً لماذا؟ لأنها أشقر فإن لم تستطع فعل طيارة. ليس هذا ب الصحيح !! أيهما أفضل الطيارة لأنها أسهل وأيسر .

وأول ما خرجت الطيارات كنا نُحدّث ونَحْن صغار أن الحج على الطيارة ثمْ
الحج. وعلى السيارة نصف الحج.

والشاهد على كل حال: جلب التيسير هو الموافق لروح الدين. من هنا نرى أن إذا اختلف عاملون في رأي، ولم يتبيّن لنا الأرجح من قولهما لا من حيث الدليل، ولا من حيث الاستدلال، ولا من حيث المستدل.

وأحدهما أشد من الثاني، فمن نتبع الأيسر أم الأشد؟ الأيسر. وقيل الأشد لأن أحوط. لكن في هذا القول نظر لأننا نقول ما هو الأح祸؟ هل هو الأشد علىبني آدم أم هو الموافق للشرع؟ الثاني... ما كان أوفق للشرع.

ثم قال: «وَسَدُ الْحَيْلِ وَسَدُ الْذَّرَائِعِ». إن هذه الأمة اتبعت سنن من كان قبلها في مسألة الحيل، وأشد الناس حيلاً ومكرّاً هم اليهود، وهذه الأمة فيها من تشبه باليهود وتحايلوا على الله، محارم الله.

والحيلة: أصلها حولة من حال يتحول. هذا في اللغة.

فَالْفَقِيهُ هُوَ مَنْ تَعْرَضَ لَهُ النَّازِلَةُ لَا نَصَّ فِيهَا فَيَقْتَبِسُ لَهَا حَكْمًا.
وَالْبَلَاغِيُّ لَيْسَ مَنْ يَذَكُّرُ لَكَ أَقْسَامَهَا وَتَفَرِّعَاتَهَا، لَكِنَّهُ مَنْ تُسْرِي بِصِيرَتُهُ
الْبَلَاغِيَّةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ، مَثَلًا: فَيُخْرُجُ مِنْ مَكْنُونِ عِلْمِهِ وَجُوهَهَا، إِنْ كَتَبَ أَوْ
خَطَبَ، نَظَمَ لَكَ عِقْدَهَا. وَهَذَا فِي الْعِلْمَ كَافَةً.

﴿٢٥﴾

هذا صحيح .. الفقيه حقيقةٌ هو الذي يستنبط الأحكام من النصوص وينزل
الحكام عليها، وليس من يقرأ النصوص.

من يقرأ النصوص فهو كنسخة من الكتاب، لكن من يشقق النصوص وينزل
الواقع عليها، كالبلاغي ... وهل البلاغي هو من بين لك البلاغة وأقسامها،
الفضاحة وأقسامها؟ أم من يكون كلامه بليغاً؟ ... الثاني، من يكون كلامه بليغاً
وبلاغي، حتى ولو لم يكن يعرف من البلاغة شيئاً.

ولهذا ينبغي للإنسان أن يطبق المعلومات على الواقع. بمعنى: أنه إذا نزلت نازلة
مِنْ كِيفِ يَتَصَرَّفُ فِي النَّصُوصِ حَتَّى يَعْرُفَ الْحَكْمَ، وَإِذَا عَرَفَ شَيْئًا يَمْرِنُ نَفْسَهُ عَلَى
أَنْ يَطْبَقَ هَذَا فِي حَيَاتِهِ الْقَوْلِيَّةِ وَالْفَعْلِيَّةِ.

٣١. اللُّجُوءُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْطَّلَبِ وَالْتَّحْصِيلِ:

لَا تَفْزَعْ إِذَا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ فِي عِلْمٍ مِنَ الْعِلْمَ، فَقَدْ تَعَاصَتْ بَعْضُ الْعِلْمَوْنَ عَلَى
بَعْضِ الْأَعْلَامِ الْمَشَاهِيرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَرَّحَ بِذَلِكَ كَمَا يُعْلَمُ مِنْ تَرَاجِمِهِمْ، وَمِنْهُمْ:
الْأَصْمَعُيُّ فِي عِلْمِ الْعَرَوْضِ، وَالرَّهَاوِيُّ الْمُحَدِّثُ فِي الْخَطْبِ، وَابْنُ الصَّلَاحِ فِي
الْمَنْطَقِ، وَأَبُو مُسْلِمِ النَّحْوِيُّ فِي عِلْمِ التَّصْرِيفِ، وَالسَّيُوطِيُّ فِي الْحِسَابِ، وَأَبُو
عُبَيْدَةَ، وَمُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْبَاقِي الْأَنْصَارِيَّ، وَأَبُو الْحَسَنِ الْقَطْعِيُّ، وَأَبُو زَكْرِيَا
يَحْيَى بْنَ زَيْدِ الْفَرَاءَ، وَأَبُو حَامِدِ الْغَزَالِيَّ، خَمْسُهُمْ لَمْ يُفْتَحْ لَهُمْ بِالنَّحْوِ.

﴿٢٦﴾

منذر أبو سعيد

ولهذا جاء في الحديث بما هو أهل له حيث سمي «البيس المستعار». ومن بار
الحيل أيضاً ما يفعله كثير من الناس اليوم في مسائل الربا. رجل باع سلعة بـ ١٠ آلاف
إلى سنة، ثم اشتراها نقداً بـ ٨ آلاف. هذه حيلة على أن يعطي ٨ آلاف ويأخذ
آلاف لأن هذا العقد صوري. ولهذا قال فيه عبد الله بن مسعود أنه دراهم بدراره
دخلت بينهم حريرة، يعني قطة قماش.

«سد الذرائع» الذرائع جمع ذريعة، وهي الوسيلة^(١). والفرق بينها وبين الحيلة: أن
فاعل الحيلة قد قصد التحليل. وفاعل الذريعة لم يقصد، ولكن فعله يكون ذريعة إلى
الشر والفساد.

مثال ذلك: بعض النساء اليوم صارت تلبس النقاب، تعطي وجهها بالنقاب^(٢).
لَكِنَّهُلَّا إِنَّ الْمَرْأَةَ بَقَيَتْ عَلَى هَذَا. بَعْنَى أَنَّهَا لَمْ تَخْرُقْ فِيهِ لَسْتَرَ وَجْهَهَا إِلَّا مَقْدَارَ
الْعَيْنِ؟ ... لَا. إِذَا مُنْعِنَ النقاب لَأَنَّهُ ذَرِيعَةٌ يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى شَيْءٍ مُحَرَّمٍ؟

وهَذَا هُدُيَتْ لِرُشْدِكَ أَبَدًا، فَإِنَّهُلَّا يُسْعِفُكَ فِي مَوَاطِنِ الْمَضَايِقِ. وَعَلَيْكَ
بِالْتَّفَقُهِ كَمَا أَسْلَفْتُ فِي نَصُوصِ الشَّرْعِ، وَالْتَّبَصُّرُ فِيمَا يَحْضُرُ أَحْوَالَ التَّشْرِيعِ،
وَالْتَّأْمَلُ فِي مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ، فَإِنَّ خَلَا فَهُمْكُمْ مِنْ هَذَا، أَوْ نَبَأَ سَمَعْكُمْ، فَإِنَّ وَقْتَكَ
ضَائِعٌ، وَإِنَّ اسْمَ الْجَهَلِ عَلَيْكَ تَوَاقِعٌ. وَهَذِهِ الْخَلَةُ بِالذَّاتِ هِيَ الَّتِي تُعْطِيَكَ
الْتَّمْيِيزَ الْدَّقِيقَ، وَالْمِعْيَارَ الصَّحِيقَ، لِدِيَ التَّحْصِيلِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى التَّخْرِيجِ:

(١) انظر في الذريعة:

قاعدة سد الذرائع^(٥٧)، الفروق للقرافي (٣٣/٣)، أعلام الموقعين (١٢٠/٣)، المواقف^(٤)
الحدود للبلاجي (ص ٦٨)، أحكام القرآن لابن العربي (٢٦٥/٢)، المقدمات الممهدات^(٥٢٤/٢)، تفسير القرطبي (٧٥/٢) الفتاوي الكبرى (١٨٩/٣)، تقرير الوصول^(٣٣).

(٢) النقاب الذي يقصده الشيخ رحمة الله هو ما يسمى البرقع. حيث تظهر المرأة عينها منه. وليس
مقصوده النقاب المتعارف عليه في بلادنا.

التوسل إلى الله بأسماءه وصفاته وأفعاله من المشروع، وكذلك التوسل إلى الله تعالى بذكر شكوى الحال وأنه مفتقر إليه، والتتوسل إلى الله بالإيمان به، والتتوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح، والتتوسل إلى الله تعالى بدعاء من يرجى استجابة دعاءه. دل هذا مشروع.

٣٢. الأمانة العلمية:

يجب على طالب العلم فائق التحلي بالأمانة العلمية في الطلب والتحمّل، والعمل، والبلاغ، والأداء: «فَإِنَّ فَلَاحَ الْأُمَّةَ فِي صَلَاحِ أَعْمَالِهَا، وَصَلَاحِ أَعْمَالِهَا فِي صَحَّةِ عِلْمِهَا، وَصَحَّةُ عِلْمِهَا فِي أَنْ يَكُونَ رَجَالُهَا أَمِنَاءً فِيمَا يَرَوْنَ أَوْ يَصِفُونَ، فَمَنْ تَحَدَّثَ فِي الْعِلْمِ بِغَيْرِ أَمَانَةٍ، فَقَدْ مَسَّ الْعِلْمَ بِقُرْحَةٍ، وَوَضَعَ فِي سَبِيلِ فَلَاحِ الْأُمَّةِ حَجَرَ عَثْرَةً.»

من أهم ما يكون في طالب العلم أن يكون أميناً في علمه، فيكون أميناً في فله، ويكون أميناً في وصفه. إذا وصف الحال فيكون أميناً لا يزيد ولا ينقص، وإذا فعل فليكن أميناً في النقل لا يزيد ولا ينقص وكثير من الناس تنقصه هذه الأمانة، فتجده يصف في كثير من الحال ما يوافق رأيه ويحذف الباقى، وينقل من أقوال أهل العلم، بل ومن النصوص ما يوافق رأيه ويحذف الباقى فيكون كالذى قال: ما قال ريك للأوثى سكرؤاً *** بل قال ريك ويل للمسلين وحذف **الذين هم عن صلاتهم ساهون** (سورة الماعون: ٥). وهذا لاشك أنه حجر شره وأنه تدليس على العلم، لأن الواجب النقل بأمانة والوصف بأمانة، وما يضرك إذا كان الدليل على خلاف ما تقول، فإنه يجب عليك أن تتبع الدليل وأن تنقله للأمة حتى تكون على بصيرة من الأمر.

(١) «رسائل الإصلاح»: (١٣/١).

لكن هذا لا يضر ... مادمنا نطلب الفقه لا يضرنا أن نتكلّم بكلام أو لا نعلم النحو. لكن لاشك إذا تكلّم بكلام مطابق للغة العربية فإن كلامه يكون مقبولاً محبوباً للنفس، والإنسان الذي يعرف العربية أكره ما يسمع أن يتكلّم الإنسان ويكره الكلام من هذا الرجل كراهية عظيمة.

فإن عجزت عن فن فاجأ إلى الله عزّ وجلّ، ومَرَّ علينا في خلاف الأدباء أن أئمة النحو - إذا لم يكن الكسائي - فهو مثله، طلب النحو وعجز عن إدراكه في يوم من الأيام رأى نملة ت يريد أن تصعد بطعم لها من الجدار فكلما صعدت سقطت فتأخذ هذا الطعم وتتشى ثم تسقط ثم تصعد وربما كل مرة تقول: أرفع قليلاً حتى اقتحمت العقبة وتجاوزته، فقال: إذا كانت هذه تجاهول وتفشل عدة مرات ولكن استمرت حتى انتهى أمرها، فرجع إلى علم النحو وتعلمها حتى صار من أئمة النحو.

فأنت حاول لا تقول عجزت هذه المرة، تعجز هذه المرة، لكن المرة الثانية يقرب لك الأمر.

فيا أيها الطالب ضاعف الرغبة، واقرئ إلى الله في الدُّعاء واللجوء إليه والانكسار بين يديه. وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله تعالى. كثيراً ما يقول في دعائِه إذا استعصى عليه تفسير آية من كتاب الله تعالى: «اللَّهُمَّ يَا مُعَلِّمَ آدَمَ وَإِبْرَاهِيمَ عَلَمْنِي، وَيَا مُفَهَّمَ سُلَيْمَانَ فَهَمْنِي». فيجد الفتاح في ذلك ^(١).

وهذا من باب التوسل بفعال الله، والتتوسل بفعال الله جائز، لأن التوسل جائز ومتسع، وإن شئت فقل: مشروع وغير مشروع.

(١) «فتاوی ابن تيمية»: (٤/٤٣).

ومثل هذه الحال - أعني عدم الأمانة - يوجب أن يكون الإنسان فاسقاً لا يوثق له بخبر ولا يقبل له نقل لأنّه مدلّس.

﴿لَا تَخْلُو الطَّوَافُ الْمُنْتَمِيَةُ إِلَى الْعِلْمِ مِنْ أَشْخَاصٍ لَا يَطْلَبُونَ الْعِلْمَ لِيَتَحْلُوا بِأَسْنِي فَضْلِيَّةٍ، أَوْ لِيَنْفَعُوا النَّاسَ بِمَا عَرَفُوا مِنْ حِكْمَةٍ، وَأَمْثَالُ هُؤُلَاءِ لَا تَجِدُ الْأَمَانَةَ فِي نَفْسِهِمْ مُسْتَقْرَأً، فَلَا يَتَحَرَّجُونَ أَنْ يَرُوُوا مَا لَمْ يَسْمَعُوا، أَوْ يَصِفُوا مَا لَمْ يَعْلَمُوا، وَهَذَا مَا كَانَ يَدْعُو جَهَابِذَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى تَقْدِيرِ الرِّجَالِ﴾

نعم . . . لأن طلب العلم يؤدي إلى التحلّي بأُسْنِي فضيلة، وبأن ينقلوا إلى الناس ما عرّفوا من الحكمة، وإنما يطلبون العلم من أجل نصر آرائهم فتجده يبحث في الكتب ليجد شيئاً يقوّي به رأيه، سواء كان خطأً أو صواباً، وهذا والعياذ بالله هو المراء والجدال المنهي عنه، أما من يقلب بطون الكتب ليعرف الحق فيصل إليه، فلاشك أن هذا هو الأمين المنصف.

﴿وَتَمْيِيزُ مَنْ يُسْرِفُ فِي الْقَوْلِ مِمَّنْ يَصُوغُهُ عَلَى قَدْرِ مَا يَعْلَمُ، حَتَّى أَصْبَحَ طَلَبُ الْعِلْمِ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ قِيمَةٍ مَا يَقْرُؤُونَهُ، فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِمْ مَنْزَلَتُهُ، مِنَ الْقَطْعِ بِصَدِقَةٍ، أَوْ كَذِبَةٍ، أَوْ رُجْحَانٍ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ، أَوْ احْتِمَالِهِمَا عَلَى سَوَاءٍ﴾ أَهـ.

٣٣. الصدق :

صدق المهرجة: عنوان الْوَقَارِ، وشَرْفُ النَّفْسِ، ونَقَاءُ السَّرِيرَةِ، وسُمُّ الْهَمَّةِ، ورُجْحَانُ الْعُقْلِ، ورَسُولُ الْمُوَدَّةِ مَعَ الْخَلْقِ، وسَعَادَةُ الْجَمَاعَةِ، وصِيَانَةُ الدِّيَانَةِ، وَلَهُدَا

كان فَرْضٌ عَيْنٌ، فِيَا خَيْبَةٌ مِنْ فَرَطٍ فِيهِ، وَمَنْ فَعَلَ فَقْدَ مَسَّ نَفْسَهُ وَعَلَمَهُ بِأَذْنِي .

(١) «فتاوي شيخ الإسلام»: (٢٠ / ٧٤-٨٥).

الصدق هنا قريب من مسألة الأمانة العلمية، لأن الأمانة العلمية تكون بالصدق، الصدق كما قال: عنوان الْوَقَارِ، وشَرْفُ النَّفْسِ، ونَقَاءُ السَّرِيرَةِ وَإِذَا كَانَ الْكَذْبُ أَنْجَى، فَإِنَّ الصَّدْقَ أَنْجَى وَأَنْجَى. وَإِنْ كَانَ الْكَذْبُ أَيْضًا لَا يَدُومُ، لَأَنَّ سَرْعَانَ مَا يَتَيَّبَنَ لِلْكَذْبِ وَيَفْتَضُّ الْكَاذِبُ.

لَكِنَّ الصَّدْقَ عَاقِبَتِهِ حَمِيدَةٌ. فَعَلَيْكَ بِالصَّدْقِ، وَلَوْ كُنْتَ تَتَخَيلُ أَنَّهُ يَضْرِكُ فَاصْبِرْ، فَإِنَّ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبَرِّ وَإِنَّ الْبَرِّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَلَا يَرِدُ الرَّجُلُ يَمْسِكُ بِإِتْرَاحِ الصَّدْقِ حَتَّى يَكْتُبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا.

وَإِنِّي لَأَذْكُرُ رَجُلًا مِنْ عَامَةِ النَّاسِ شُهُرَ بِالصَّدْقِ، فَكَانَ النَّاسُ يَتَنَاقَّلُونَ أَخْبَارَهُ فِي الْمَجَالِسِ عَلَى التَّلَذِذِ بِهَا أَكْثَرُ مَا يَذَكُّرُونَ أَخْبَارُ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ فِي وَقْتِهِ لَمْ يَكُنْ الصَّدْقُ رَفِعَ إِلَيْهِ بِهِ مِنْ أَنْتَصَرَ بِهِ، لَأَسِيمَا فِي مَسَائِلِ الْعِلْمِ.

فَلَا تَقُلْ إِنَّ اللَّهَ حَرَمَ هَذَا وَهُوَ لَمْ يَحْرِمْهُ، وَلَا أَوْجَبَ هَذَا وَهُوَ لَمْ يَوْجِبْهُ، وَلَا تَالَ فَلَانَ كَذَا وَهُوَ لَمْ يَقُلْهُ. بَلْ تَجْنِبُ هَذَا كُلَّهُ.

وَكَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدَ - رَحْمَهُ اللَّهُ - وَغَيْرُهُ مِنَ الْأئمَّةِ لَا يَصْرِحُونَ بِالْتَّحْرِيمِ إِلَّا مَا جَاءَتِ النَّصْوَصُ بِهِ، وَإِلَّا إِنَّكَ تَجِدُ الْإِمَامَ أَحْمَدَ يَقُولُ: أَكْرَهُ كَذَا، لَا يَعْجِبُنِي، لَا يَفْعَلُ. وَمَا أَشْبِهُ ذَلِكَ.

وَقَوْلُ الشَّيْخِ بَكْرٍ - وَفَقْهَ اللَّهِ - «وَلَهُدَا كَانَ فَرْضُ عَيْنٍ»، يَعْنِي الصَّدْقَ فَرْضٌ عَيْنٌ، لَا فَرْضٌ كَفَايَةٌ، فَلَا يَقُولُ: أَنَا أَكَذَّبُ، وَالثَّانِي يَصْدِقُ . . . لَا . . . لَا يَجُوزُ أَنْ تَكَذِّبَ.

اسْتَشْنَى بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مَا جَاءَ عَنْ طَرِيقِ التُّورِيَّةِ، وَلَكِنَّ لَا حَاجَةَ لِلَاشْتِنَاءِ، لَأَنَّ التُّورِيَّةَ صَدَقَ بِاعتِبَارِ مَا فِي نَفْسِ الْقَاتِلِ، كَمْثُلُ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْمَلَكِ الْجَبَارِ هَذِهِ أَخْتِيِّ.

قال الأوزاعي - رحمه الله تعالى - : «تعلم الصدق قبل أن تتعلم العلم». وقال وكيع - رحمه الله تعالى - : «هذه الصنعة لا يرتفع فيها إلا صادق» . فتعلم - رحمك الله - الصدق قبل أن تتعلم العلم، والصدق: إلقاء الكلام على وجه مطابق للواقع والاعتقاد، فالصدق من طريق واحد، أما نقيضه الكذب فضروب وألوان ومسالك وأودية، يجمعها ثلاثة^(١) :

١ - كذب المتملق: وهو ما يخالف الواقع والاعتقاد، كمن يتملق من يعرفه فاسقاً أو مبتدعاً فيصفعه بالاستقامه.

٢ - وكذب المتفاق: وهو ما يخالف الاعتقاد ويُطابق الواقع، كالمتفاق ينطق بما يقوله أهل السنة والهداية.

٣ - وكذب الغبي: بما يخالف الواقع ويُطابق الاعتقاد، كمن يعتقد صلاح صوفي مبتدع فيصفعه بالولاية.

الصدق لا شك أنه سبيلٌ واحد، والكذب سُبُلٌ، وهكذا الهداية والضلال، الهداية سبيلها واحد، والضلال سبل متفرقة. قال الله تعالى: **«وَإِذَا حَرَأْتِهِمْ** مُسْتَقِيمًا فَأَبْيَهُو وَلَا تَبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقُ بَعْنَمِنْ سَبِيلِهِ (سورة الانعام: ١٥٣). وأما قوله: **«يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ**

(سورة المائدة: ١٦). فقد جمعها باعتبار تنوع الشرائع ... صلاة، زكاة، صيام، حج، بر، صلة، صدقة - وما أشبه ذلك فجمعها باعتبار وتوحيدها باعتبار آخر.

أما الكذب فضروب وألوان متعددة، ويتعدد بتنوع أغراضه فهو يجمعها ثلاثة. يقول:

(١) «الجامع» : (١/٣٠٤)، (٢/٧) للخطيب البغدادي.

(٢) «رسائل الإصلاح» : (١/٩٥-١٠٥) مهمن.

وهذا ليس بالكذب، وإن كان إبراهيم اعتذر عن الشفاعة بأنه كذب ثلاث كذبات، لكنه كذب من وجه وهو التلبيس على الظالم المعتمد، ولكنه صدق باعتبار ما في نفس القائل.

استثنى بعض العلماء أيضاً ما جاء في الحديث أنه لا يجوز الكذب إلا في ثلاث في الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث المرأة لزوجها وحديث الرجل لزوجته.

ولكن بعض العلماء يقول: إن هذا محمول على التورية، وليس على الحقيقة فالحرب خدعة، بأن تُرِيَ عدوك أنك تري جهه ما، وأنت تري جهه الأخرى، أو تُرِيَ عدوك أن عندك جنود كثيرة بحيث أن تجعل الجيش يتراسم، كما فعل القعقاع بن عمرو في إحدى غزواته، قسم الجيش وهم عدد قليل، لكن العدو يظنه عدداً كثيراً.

كذلك الإصلاح بين الناس ... لا تكذب، ولكن تأْلُ. إذا قال لك فلان: يقول في كذا وكذا. تقول: لا لم يقل فيك شيئاً.

كذلك حديث المرأة زوجها وحديث الرجل زوجته، يعني: على سبيل التورية لا التصريح وهذا القول ليس بعيد، لأن الكذب كما قال الرسول ﷺ يهدي إلى الفجور، لا يهدي إلى الخير. ثم إن الإنسان إذا اعتاد هذا - لاسيما مع الزوجة وصار كلما حدثها بحديث وبحثت عنه وجدته كذباً لم تثق فيه بعد ذلك، وربما يكون سبباً لفقدانها إياه وللفرقان التام.

وعند العامة يستثنى كذباً أكثر من ذلك يقولون: الكذب الحرام ما كان فيه أكل للمال بالباطل، وأما ما سواه فهو كذب أبيض ويقسمون الكذب إلى قسمين: كذب أبيض وكذب أسود. والأبيض حلال، والأسود حرام. والأسود ما فيه أكل المال بالباطل، والأبيض ما ليس كذلك، ولكن هذا هو دين العامة وليس شريعة محمد ﷺ.

منذر أبو سعيد

شرح كتاب حلية طالب العلم

١ - «كذب المتملق: وهو ما يخالف الواقع والاعتقاد، كمن يتملق من يعرفه فاسقاً أو مبتدعاً فيصفه بالاستقامة».

تعرف أن هذا الرجل فاسق ثم تأتي إليه وتقول: ما شاء الله أنت رجل مستقيم، مستقيم الأخلاق، مستقيم الدين، مستقيم المنهج. وأنت تعرف أنه أفسق عباد الله. هذا ماذا يُقال له؟ يقال له متملق وهذا أكثر ما يكون عند الملوك والأمراء، تجد الرجل يتملق إلى الأمير أو الملك ويقول: أنت فيك كذا وأنت فيك كذا، وهذا من النفاق والعياذ بالله. العلمي داداً اهدر ندى

٢ - «كذب المنافق: وهو ما يخالف الاعتقاد ويُطابق الواقع» ومنه قوله تعالى: **إِذَا جاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشَهِدُ إِنَّكَ لِرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لِرَسُولُهُ وَاللَّهُ**. وكونه رسول الله مطابق للواقع. ما الدليل؟ قوله: **وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لِرَسُولُهُ**. لكن شهادتهم هذه مخالفة لاعتقادهم، لأن الله قال: **وَاللَّهُ يَشْهُدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ** (سورة المنافقون: ١). أي في قولهم نشهد إنك رسول الله لا في قولهم إنه رسول الله. هذا يخالف الاعتقاد ويُطابق الواقع.

وهذا باعتبار قول المنافق في غيره، أما باعتبار قوله في نفسه مثلاً أنه صالح، فهو يخالف الاعتقاد، ويُخالف الواقع إلا ظاهراً.

٣ - «كذب الغبي: بما يخالف الواقع ويُطابق الاعتقاد». وهو أن يقول شيء ما ليس فيه لغباء، فيقول مثلاً عن أهل الكلام أنهم هم العقلاة، وأنهم أهل العلم والحكمة، أما أهل السنة فهم أغبياء يفوضون النصوص ولا يعرفون لها معنى.

نقول: هذا غبي، ولهذا عبر شيخ الإسلام - رحمه الله - في كتابه الفتوى الحموية، عبر بهذا الوصف فقال: «قال بعض الأغبياء: طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم».

منذر أبو سعيد

منذر أبو سعيد

لفضيلة الشيخ ابن عثيمين

وكذلك من يشاهد الصوفية وتصنعهم وعبادتهم، فيقول: إنهم أهل الصلاح وأهل الولاية.

نقول: أنت غبي لا تعرف حقيقتهم فلا تحكم عليهم بالصلاح حتى تعرف الحقيقة، إلا كنت غبياً.

فهذا كاذب، فهل يعذر بكتابه؟ نقول: إذا فرط في البحث فلا يعذر وإن كان هذا متنه علم، فإنه يعذر لأنّه جاهل. أما الأول فهو متملق، والثاني فهو منافق فلا عذر لهم في ذلك.

فَالْأَلْزَمُ الْجَادَةَ (الصَّدْقَ)، فَلَا تَضْغَطْ عَلَى عَكْدِ الْلِّسَانِ، وَلَا تَضْمُ شَفَتِكَ، وَلَا تَفْتَحْ فَالَّذِي نَاطَقَ إِلَّا عَلَى حِرْفٍ تُعْبُرُ عَنْ إِحْسَاسِكِ الصَّادِقِ فِي الْبَاطِنِ، كَالْحُبُّ وَالْبُغْضُ، أَوْ إِحْسَاسِكِ فِي الظَّاهِرِ، كَالَّذِي تُدْرِكُهُ الْحَوَاسِ الْخَمْسُ: الْسَّمْعُ، الْبَصْرُ، الشَّمُّ، الْذَّوْقُ، الْلِّمْسُ. فَالصَّادِقُ لَا يَقُولُ: «أَحِبْتُكَ» وَهُوَ مُبْغِضٌ، وَلَا يَقُولُ: «سَمِعْتُ» وَهُوَ لَمْ يَسْمِعْ؛ وَهَذَا ... وَاحْذَرْ أَنْ تَحْوِمْ حَوْلَكَ الظُّنُونُ، فَتَخُونَكَ الْعَزِيمَةُ فِي صَدِقِ الْلِّهَجَةِ، فَتُتَسْجِلُ فِي قَائِمَةِ الْكَذَابِيْنِ. وَطَرِيقُ الْضَّمَانَةِ لَهُمَا - إِذَا نَازَعْتُكَ نَفْسُكَ بِكَلَامٍ غَيْرِ صَادِقٍ فِيهِ: أَنْ تَقْهِرَهَا بِذِكْرِ مَنْزَلَةِ الصَّدِقِ وَشَرَفِهِ، وَرَذِيلَةِ الْكَذَبِ وَدَرَكِهِ، وَأَنَّ الْكَاذِبَ عَنْ قُرْبَ يَنْكِشِفُ. وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْنَ.

وَلَا تَفْتَحْ لِنَفْسِكَ سَابِلَةَ الْمَعَارِيْضِ فِي غَيْرِ مَا حَصَرَهُ الشَّرْعُ. فِيَا طَالِبُ الْعِلْمِ! احْذَرْ أَنْ تَمُرُّ مِنَ الصَّدِقِ إِلَى الْمَعَارِيْضِ فَالْكَذَبِ، وَأَسْوَأُ مَرَامِيْ هَذَا الْمَرْوِقُ (الْكَذَبُ فِي الْعِلْمِ)، لِدَاءِ مُنَافِسَةِ الْأَقْرَانِ، وَطَيْرَانِ السُّمْعَةِ فِي الْأَفَاقِ.

هنا إضافة مهمة جداً، هو أن بعض الناس يتسرع في الرقي إلى العلو بما يُلْفِقُهُ ويوجه الناس به من أنه عنده علم واسع، وأنه عبقري، وأنه في كل فن له يد وما

منذر أبو سعيد

● ● ● ومن تطلع إلى سمعةٍ فوق منزلتهِ فليعلم أنَّ في المرصاد رجالاً يحملون بصائرٍ تافدةً، وأقلاماً ناقدةً، فَيَزُّونَ السُّمْعَةَ بالآخر، فَتَمْ تعرِّيتك

عن ثلاثةٍ معانٍ:

١. فقد الثقة في القلوب.

٢. ذهاب علمك وانحسار القبول.

٣. أن لا تصدق ولو صدقتَ.

● ● ● وبالجملة، فمن يحترف زخرفَ القولِ، فهو أخواه الساحر، ولا يُفْلِح الساحرُ

حيثُ أتى^(١). والله أعلم.

هذا صحيح .. الإنسان إذا تطلع إلى السمعة فقط ونزل فوق منزلته فسرعان ما ينكشف، ثم إن النية في طلب العلم يجب فيها الإخلاص لله عزَّ وجلَّ،

ولهذا ورد عن النبي ﷺ: «أَنَّ مَنْ طَلَبَ عِلْمًا وَهُوَ مَا يُنْتَغِي بِهِ وَجْهُ اللَّهِ لَا يَرِيدُ إِلَّا أَنْ يَنَالَ عَرْضًا مِنَ الدُّنْيَا لِمَ يَرِحَ رَاهِنَةَ الْجَنَّةِ». وإن من طلب العلم ليماري به السفهاء أو ليجاري به

العلماء فليتبُوءْ مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٢). فالمآلَةُ خطيرة، ولا سيما العلوم الشرعية. وذكر

ثلاث مصار.

أولاً. فقد الثقة في القلوب: متى تُفقد؟ إذا تبين أنه قال عن جهل؛ ما يشكون به

وينصرفون إلى غيره.

ثانياً. ذهاب علمك وانحسار القبول: لأنَّه إذا فقدت الثقة لم يقبله الناس فإذا كان

يقبله مثلاً^(٣)، فإنَّهم إذا فقدوا الثقة انحسرُوا إلى^(٤) (٥) أو إلى^(٤).

ثالثاً. أن لا تصدق ولو صدقتَ: حتى لو حدثتهم بحديث يعرفونه. قالوا: هذا رمية

من غير رام.

(١) المرجع قبله.

(٢) سبق تخرجه.

أشبه ذلك. وهذا لا شك أنه غلط عظيم، فهو مع جموعه الكذب، فيه خيانة الناس وإيهامهم بخلاف الواقع. وفيه أيضاً التغريب بالنفس، أنَّ الإنسان يزهو بنفسه حتى يحجمها ويكبرها وهي دون ذلك، وكم من إنسان هلك بمثل هذا سواء في طريق العلم أو في طريق العبادة، ولكن سرعان ما ينكشف، سرعان ما يَرُدُّ عليه شيء يعجز عنه وحيثَنَد إما أن يقول ما هو معلوم كذبه فينكشف، وإما أن يتذبذب ويفتضح أمره. ولهذا كان مما قاله عبد الله بن مسعود: «إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا تَعْلَمُ لَا أَعْلَمُ».

وذكر بعضهم أن قول القائل: «لَا أَعْلَمُ» هي نصف العلم، ولكن في الواقع: العلم كله، والإنسان إذا عرف بالتحري وأنه يقول بما لا يعلم «لَا أَعْلَم» وثق الناس بقوله، أما إذا كان يجيب على كل ما يسأل حتى لو كان لا يعرف شيئاً فيما سُئلَ فيه، فإنه سوف ينكشف أمره وسوف لا يثق الناس بقوله حتى ولو كان حقاً. ولكن ما الذي يحمل على الإنسان على أن يقول مثل هذا؟

يحمله طلب العلو، أن يكون فائقاً على الأقران، أو طلب الصيت والشهرة بحيث يقال العلامة، الفهامة، البحر الراخرا و ما أشبه ذلك.

وهذه لا شك إنها من مكائد الشيطان، فالواجب عليك أن تعرف قدر نفسك وأن لا تزلها فوق منزلتها، ثم إن القول في مسائل الدين أخطر ما يكون لأنَّه قولٌ على الله بلا علم، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: «قُلْ إِنَّمَا حَرَمَ رَبِّ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْأَنْوَافُ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (سورة الأعراف: ٣٣).

بعض الناس إذا عُثِرَ على خطأه قال: سبحان الله، سبحان الذي لا ينسى. نعم ... لكن أنت لم تنس، بل أنت جاهل من أصله.

فالحاصل أن الإنسان يجب أن يعرف مقدار نفسه وأن يحترم العلم، وأن لا يجعله له وسيلة للرقي الخادع.

٣٤. جنة طالب العلم:

جنة العالم (لا أدري) ويهتك حجابه الاستكاف منها، وقوله: يقال ...
وعليه، فإن كان نصف العلم (لا أدري)، فنصف الجهل (يقال) (أظن^(١))

هذا صحيح ... هذا متم لما قبله، أن الإنسان يجب عليه إذا لم يعلم أن يقول: لا أعلم ولا يضره، بل يزيده ثقة بقوله.

وأما قوله: «نصف الجهل أظن» أو يقال هذا صحيح. بعض العوام الآن يتصل ويقول هذا حلال أو حرام أظنه حرام. يقال لهذا أيضًا. نصف الجهل، ولكن هل أثق بكلام عامي؟ لا ... لا يجوز، ولهذا كم من الناس أفتأهم العوام بفتاوي خاطئة ولاسيما في أيام الحج.

٣٥. المحافظة على رأس مالك (ساعات عمرك):

الوقت الوقت للتحصيل، فكن حلف عمل لا حلف بطالة وبطء، وحلس معمل لا حلس تله وسم، فالحفظ على الوقت، بالجد والاجتهاد، وملازمة الطلب، ومُشافحة الأشياخ، والاشتغال بالعلم قراءة وإقراء، ومطالعة وتدبر وحفظاً وبحثاً، لاسيما في أوقات شرخ الشباب، ومُقتبل العم، ومعدن العافية، فاغتنم هذه الفرصة الغالية، لتنال رتب العلم العالية، فإنها «وقت جمع القلب، واجتماع الفكر»، لقلة الشواغل والصوارف عن التزامات الحياة والترؤس، ولخفة الظهر والعوام:

ولهذا قال عمر بن الخطاب: «تفقهوا قبل أن تسودوا» وفي لفظ «تسودوا» لأن الإنسان إذا ساد كثرة المشاكل، وكثرة أفكاره وتفرقه وتمزق عزائمه، في بينما يعزم على شيء، إذا بحاجة نزلت به أشد إلحاحًا مما عزم عليه ... فيتفرق. ولذلك اجتهد مادمت في زمن الإهمال واتبع، واعمل، وابحث، واجعل بطون الكتب هي مرئياتك حتى تعتاد على هذا، واعلم أنك إذا اعتدت على هذا - يعني على الجد والاجتهاد - صار طبيعة لك بحيث لو أنك إذا كسلت يومًا من الأيام في الرحلة فإنك تستذكر هذا وتتجدد الفراغ ول يكن بحثك مركزاً، بحيث لا تقطف من كل زهرة جزءاً، اجعل بحثك مركزاً الأهم فالأهم، حتى يكون لك ملكرة تستطيع أن تخرج المسائل على القواعد والفروع على الأصول.

ما لِمُعِيلٍ وَلِعَوَالٍ إِنَّمَا يَسْعى إِلَيْهِنَّ فَرِيدُ الْفَارَادِ
المعيل: كثير العوام. والعوالى: جمع عالية - يعني المنازل العالية فإذا كثرت العوام وكثرت المشاغل ألهتك لأن الإنسان بشر، والطاقة محدودة، فما دمت متفرغاً فلتكن متفرغاً. ولا تظن أن المؤلف يريد بهذا إلا تطلب العوام والنكاح، بل إن النكاح قد يكون من أسباب الراحة إذا وفق الإنسان فيه ويسرت له امرأة صالحة.

وإياك وتأمیر التسویف على نفسك، فلا تسوّف لنفسك بعد الفراغ من كذا، وبعد (التقاعد) من العمل هنا ... وهكذا، بل البدار قبل أن يصدق عليك قول أبي الطحان القيني:

حَتَّى حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَانَى خَاتِلُ أَدْنَوْ لَصِيدْ قَصِيرُ الْخَطْوَ يَحْسِبُ مَنْ رَأَى وَلَسْتُ مُقِيدًا أَنِّي بَقِيدٌ

على كل حال فالمؤلف - وفقه الله - يدعونا إلى انتهاز الفرصة وألا نضيع الأوقات واعلم أنك إذا اعتدت على تضييع الوقت، عجزت بعد ذلك عن الحرص عليه وعن الانتفاع به، لأنك تكون قد اعتدت على الكسل. فإن قال قائل: أليس لنفسك عليك حقاً؟

فالجواب: بل، إن لنفسك عليك حقاً، ونحن لا نقول إذا تعبت أو مللت استمر. نقول: لا استرح، حتى إن الإنسان الذي يصلي إذا أتاه النعاس مأمور أن يدع الصلاة وينام.

لكن مادمت نشيطاً فاحرص، لأن هناك فرقاً بين العجز والكسل. الكسل ضعف في الإرادة، والعجز ضعف في البدن، وضعف البدن لاحيلة فيه. لكن الإرادة هي التي يستطيع الإنسان يعود نفسه على الهمة العالية كي يستغل.

٣٦. إجمام النفس:

خُذْ مِنْ وَقْتِكَ سُوِعَاتٍ تُجْمِعُ بِهَا نَفْسَكَ فِي رِيَاضِ الْعِلْمِ مِنْ كُتُبِ الْمَحَاضِرَاتِ (الْثِقَافَةِ الْعَامَّةِ)، فَإِنَّ الْقُلُوبَ يُرُوحُ عَنْهَا سَاعَةً فَسَاعَةً. وَفِي الْمُؤْثِرِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَالَ: «أَجْمُوْهُ هَذِهِ الْقُلُوبَ، وَاتَّغُوْهُنَّا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ، فَإِنَّهَا تَمَلَّ كَمَا تَمَلَّ الْأَبْدَانُ». ^(١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية. رحمة الله تعالى. في حكمة النهي عن التطوع في مطلق الأوقات ^(٢): «بَلْ فِي النَّهْيِ عَنِهِ بَعْضُ الْأَوْقَاتِ مَصَالِحٌ أَخْرَى مِنْ إِجْمَامِ النُّفُوسِ بَعْضَ الْأَوْقَاتِ، مِنْ ثَقْلِ الْعِبَادَةِ، كَمَا يُجْمَعُ بِالنُّوْمِ وَغَيْرِهِ، وَلَهُذَا قَالَ مُعَاذٌ: إِنِّي لَا حَتَّسِبُ نُوْمَتِي، كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي ...». ولهذا قال معاذ: إنني لا أحتسِبُ نومَتِي، كما أحتسِبُ قومَتِي ...».

(١) «جامع بيان العلم وفضله».

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٨٧/٢٣).

خاتل أدنو لصيد: الرجل يكسر ظهره كأنه راكب يمشي ببطء على الأرض يخشى أن الطير يحس به فيطير.

وَلَوْسَتْ مَقِيداً أَنِّي بَقِيَدٌ، وهذا صحيح، لأن الله عز وجل قال في كتابه **﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾** (سورة الروم: ٥٤).

والإنسان في حالة شبابه يظن أنه لن يتعب ولن يسام ولن يمل، لكن إذا كبر فكما قال عن زكريا: **﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظُمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَبَابًا﴾** (سورة مريم: ٤). لابد أن يتعب، لابد أن يمل، فكون الإنسان يتنهز الفرصة هذا أمر لابد منه.

وقال أسماء بن منقذ:

مَعَ الثَّمَانِينَ عَاثَ الْضَّعْفُ فِي جَسَدِي ۖ ۖ ۖ وَسَاءَنِي ضَعْفُ رِجْلِي وَاضْطِرَابُ يَدِي
إِذَا كَتَبْتُ قَحْطَنِي خَطُّ مُضْطَرِبٍ ۖ ۖ ۖ كَحَطَّ مُرْتَعِشُ الْكَفَيْنِ مُرْتَعِشُ
فَاعْجَبْتُ لِضَعْفِ يَدِي عَنْ حَمْلِهَا قَلِمًا ۖ ۖ ۖ مِنْ بَعْدِ حَمْلِ الْقَنَاتِ فِي لَبَّةِ الْأَسَدِ
فَقُلْمَنْ يَتَمَنَّى طُولَ مُدْتَهِ ۖ ۖ ۖ هَذِي عِوَاقِبُ طُولِ الْعُمُرِ وَالْمَدِّ
فَإِنْ أَعْمَلْتَ الْبَيْدَارَ، فَهَذَا شَاهِدٌ مِنْكَ عَلَى أَنَّكَ تَحْمِلُ «كِبِيرَ الْهَمَّةَ فِي الْعِلْمِ».

هذه كلها أبيات تدل على الحكمة، أن الإنسان ماله إلى هذا. يقول: «مع الثمانين عاث الضعف في جسدي» أي: انتشر وشاع.

لكن المؤمن - والحمد لله - مadam عقله باقياً وقلبه ثابت، فإن بلغ هذا المبلغ من العجز البدني، فالقلب حاضر يستطيع أن يشغل وقته بذكر الله عز وجل والتفكير في آياته، لأن هذا لا عجز عن مراده إلا الغفلة، والغفلة شيء مشكل.

ولهذا كانت العطل الأسبوعية للطلاب منتشرةً منذ أمد بعيدٍ، وكان الأغلب فيها، يوم الجمعة، وعصر الخميس، وعند بعضهم يوم الثلاثاء، ويوم الاثنين، وفي عيدي الفطر والأضحى من يوم إلى ثلاثة أيام وهكذا ..

صحيح ... العطل الأسبوعية منتشرة من زمان، لكن بعضهم يقتصر على الجمعة فقط، وبعضهم يضيف إلى الجمعة يوم الخميس، وبعضهم يجعل الجمعة ونصف الأسبوع، وكان شيخنا - رحمه الله - السعدي يفعل هذا، تكون العطلة يوم الجمعة، ويوم الثلاثاء الذي هو وسط الأسبوع لأجل لا يتولى يومان كلاهما عطلة، وكيف لا يمل الإنسان، وهذا يرجع على كل حال إلى أحوال الناس والأحوال تختلف، فيجعل من العطل ما يناسب.

ونجد ذلك في كتب آداب التعليم، وفي السير، ومنه على سبيل المثال: «آداب المعلمين» لسخنون: (ص ٤)، و«الرسالة المفصلة» للقابسي: (ص ١٣٥ - ١٣٧)، والشقاقي التعمانية: (ص ٢٠)، وعنده في: «أيجد العلوم»: (١٩٥/١ - ١٩٦)، وكتاب «أليس الصبح بقريب» للطاهر بن عاشور، وفتاوى رشيد رضا: (١٢١٢)، و«معجم البلدان»: (١٠٢/٣)، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٣٢٩، ٣٢٠ - ٣١٨/٢٥).

٣٧. قراءة التصحيح والضبط

احرص على قراءة التصحيح والضبط على شيخ مُتقنٍ، لتؤمن من التحريف والتصحيف والغلط والوهم. وإذا استقرأت ترجمات العلماء، وبخاصة الحفاظ منهم. تجد عدداً غير قليل ممن جرَّد المطولات في مجالس أو أيام قراءة ضبط على شيخ متقن.

وقال^(١): «بل قد قيل: إنَّ مِنْ جُمْلَةِ حِكْمَةِ النَّهْيِ عَنِ التَّطْوُعِ الْمُطْلَقِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ إِجْمَامَ النُّفُوسِ فِي وَقْتِ النَّهْيِ لِتَنْشَطَ لِلصَّلَاةِ، فَإِنَّهَا تَبْسِطُ إِلَى مَا كَانَ مَمْنُوعَةً مِنْهُ، وَتَنْشَطُ لِلصَّلَاةِ بَعْدِ الرَّاحَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ» أهـ.

وهنا يجب أن نعلم أن إجماع النفس وإعطاءها شيئاً من الراحة حتى تنشط في المستقبل وحتى تستريح بعض الراحة مما سبق أن هذا من الأمور الشرعية التي دل عليها قول النبي ﷺ: «إِنَّ لِنَفْسٍ عَلَيْكَ حَقًا وَلِرِبِّكَ عَلَيْكَ حَقًا وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًا وَلِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًا فَاعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقًّا»^(٢). وهذا الحديث هو الميزان الحقيقى الذي نطمئن إليه النفس لا المروي عن عمر ولا عن علي ولا عن غيره، فلو أن المؤلف استدل بهذا الحديث لكان أبين وأظاهر، والنفس إذا جعلتها دائمًا في جد لابد أن تقل وتتسام، وأما ما قيل أن من جملة النهي عن التطوع المطلق في بعض الأوقات. فهذا من جملة الحكمة، وليس هو الحكمة، بل الحكمة الطبيعية هو ما ذكره النبي ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَ فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَهِينَدٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ وَكَذَّالِكَ إِذَا طَرِبَتْ يَسْجُدُونَ لَهَا»^(٣). فهم يسجدون لها استقبلاً، ويسجدون لها وداعاً.

أما وقت الزوال فإن الحكمة فيه: أنه الوقت التي تسجر فيه جهنم فيلحق النفس من التعب ومن الحر لاسيما في أيام الصيف ما ينهي أن يصلى الإنسان فيه. وليس هذا القيل الذي قيل معارض للحديث ولكنه من جملة الحكمة، والله أعلم.

١٠٥
الأثر: (٧٣-٧٢/١)، و«فِهْرِسُ الْفَهَارِسِ» لِكَتَانِي، و«تَاجُ الْعَرْوَسِ»: (٤٥/١-٤٦).

فَلَا تَنْسَ حَظَكَ هَذَا.

الظَّاهِرُ مَا لَنَا حَظٌ أَبْدًا . . . وَاللَّهُ الْمُسْتَعْنَ.

٣٨. جَرْدُ الْمُطَوَّلَاتِ:

الْجَرْدُ لِلْمُطَوَّلَاتِ مِنْ أَهْمَ الْمُهَمَّاتِ، لِتَعْدُدِ الْمَعَارِفِ، وَتَوْسِيعِ الْمَدَارِكِ، وَاسْتِخْرَاجِ مَكْنُونَهَا مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْفَرَائِدِ، وَالْخِبْرَةِ فِي مَظَانِ الْأَبْحَاثِ وَالْمَسَائِلِ، وَمَعْرِفَةِ طَرَائِقِ الْمُصَنَّفِينَ فِي تَالِيفِهِمْ وَاصْطِلَاحِهِمْ فِيهَا. وَقَدْ كَانَ السَّالِفُونَ يَكْتُبُونَ عِنْدَ وَقْوِهِمْ: «بَلَغَ»، حَتَّى لَا يَفْوَتَهُ شَيْءٌ عِنْدَ الْمَعاوِدَةِ، لَاسِيَّمًا مَعَ طُولِ الزَّمَنِ.

هذا فيها نظر - يعني الجرد في المطولات - قد يكون فيه مصلحة للطالب وقد يكون فيه مضره، فإذا كان الطالب مبتدئ، فإن جرد المطولات له هلكة، كرجل لا يحسن السباحة يرمي نفسه في البحر.

إِنَّمَا كَانَ عِنْدَ الْإِنْسَانِ عِلْمٌ، وَلَكِنْهُ أَرَادَ أَنْ يَصِلَ إِلَى هَذِهِ الْمُطَوَّلَاتِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكْسِبَ فَوْقَ عِلْمِهِ الَّذِي عِنْدَهُ، فَهَذَا قَدْ يَكُونُ حَسْنًا.

فَهَذِهِ الْفَقْرَةُ تَحْتَاجُ إِلَى تَفْصِيلٍ. لَوْ أَنْ رَجُلًا بَدَأَ بِالْعِلْمِ مِنَ الْآنِ وَنَقْوَلُ لَهُ رَاجِعًا الْمَغْنِي وَرَاجِعًا الْمَجْمُوعِ شَرْحَ الْمَهْذَبِ وَرَاجِعًا الْحَاوِي الْكَبِيرِ . . . رَاجِعًا كَذَا وَأَعْدَدَتْ لَهُ الْكُتُبُ الْمُوْسَعَةَ. هَذَا مَعْنَاهُ أَنَّكَ أَهْلَكَتَهُ وَرَمَيْتَهُ فِي بَحْرِ جَلِي يَغْشَاهُ مَوْجَ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجَ . . . أَمَا الْإِنْسَانُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ الْعِلْمَ وَأَرَادَ أَنْ يَتَبَرَّحَ وَيَتَوَسَّعَ فَهُنَا نَقْوَلُ: عَلَيْكَ الْمُطَوَّلَاتِ، وَقَدْ ذَكَرَ لِي بَعْضُ الْإِخْوَةِ أَنَّ الشِّيْخَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبَا بُطَيْنِ لَمْ يَتَجَازُ «الرَّوْضَ الْمَرْبِعَ» فِي مَرَاجِعِهِ لِلْفَقْدِ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ يَطْلُقُ عَلَيْهِ مَفْتِي الْدِيَارِ

هَذِهِ الْفَقْرَةُ مِنْ أَهْمَ الْفَقْرَاتِ، وَهُوَ إِتقَانُ الْعِلْمِ وَضَبْطُهُ وَمَحَاوِلَةِ الرَّسُوخِ فِي الْقَلْبِ، لَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْعِلْمُ، وَلَابْدُ أَنْ يَكُونَ عَلَى شِيْخٍ مُتَقْنٍ أَمَّا الشِّيْخُ التَّمَشِيقُ فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ فَقْدَ يَضُرُّكَ ضَرَرًا كَثِيرًا وَالْإِتقَانُ يَكُونُ فِي كُلِّ فَنٍ بِحَسْبِهِ، قَدْ تَجِدُ رَجُلًا مُتَقْنًا فِي عِلْمِ الْفَرَائِصِ مُثْلًا غَيْرَ مُتَقْنٍ فِي أَحْكَامِ الصَّلَاةِ، وَتَجِدُ رَجُلًا مُتَقْنًا لِعِلْمِ الْعَرَبِ غَيْرَ عَارِفٍ بِالْعِلْمِ الْشَّرِعِيِّ وَآخِرًا بِالْعَكْسِ، فَخَذْ مِنْ كُلِّ عَالَمٍ مَا يَكُونُ مُتَقْنًا فِيهِ مَا لَمْ يَتَضَمَّنْ ذَلِكَ ضَرَرًا، مِثْلًا أَنْ تَجِدُ رَجُلًا مُتَقْنًا فِي عِلْمِ الْعَرَبِ، لَكِنَّهُ مُنْحَرِفٌ فِي عِقِيدَتِهِ وَسُلُوكِهِ فَهَذَا لَا يَنْبَغِي أَنْ نَجْلِسَ إِلَيْهِ لَأَنَّا إِذَا جَلَسْنَا إِلَيْهِ أَغْتَرَّ بِهِ الْآخِرُونَ وَظَنَّا أَنَّهُ عَلَى حَقٍّ، فَنَحْنُ نَطَّلُ الْعِلْمَ عَلَى غَيْرِهِ وَإِنْ كَانَ أَجْوَدُ النَّاسِ فِي هَذِهِ الْفَنِّ، لَكِنَّ مَا دَامَ مُنْحَرِفًا فَلَا يَنْبَغِي أَنْ نَجْلِسَ إِلَيْهِ.

فَهُدَا الْحَافِظُ أَبْنُ حَجَرٍ. رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. قَرَا «صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ» فِي عَشْرَةِ مَجَالِسٍ، كُلُّ مَجَالِسٍ عَشْرُ سَاعَاتٍ، وَ«صَحِيحُ مُسْلِمٍ» فِي أَرْبَعَةِ مَجَالِسٍ فِي نَحْوِ يَوْمَيْنِ وَشَيْءٍ مِنْ بُكْرِ النَّهَارِ إِلَى الظَّهَرِ.

كَمْ عَدَ السَّاعَاتِ؟ ! ١٠٠ سَاعَةٌ .. اللَّهُ الْمُسْتَعْنَ، وَلَكِنْ عَلَى كُلِّ حَالٍ هُوَ قِرَاءَةٌ فَقْطٌ دُونَ الشَّرْحِ وَالْتَّأْمِلِ.

وَانْتَهَى ذَلِكَ فِي يَوْمِ عَرْفَةَ، وَكَانَ يَوْمُ الْجَمْعَةِ سَنَةُ ٨١٣هـ، وَقَرَا «سُنْنَ أَبْنِ مَاجَةَ» فِي أَرْبَعَةِ مَجَالِسٍ، وَ«مَعْجَمَ الطَّبَرَانِيِّ الصَّغِيرِ» فِي مَجَالِسٍ وَاحِدٍ، بَيْنَ صَلَاتِي الظَّهَرِ وَالْعَصْرِ. وَشِيْخُهُ الْفَيْرُوزِيُّ الْأَبَدِيُّ قَرَا فِي دَمْشَقَ «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» عَلَى شِيْخِهِ أَبْنِ جَهْبَلٍ قِرَاءَةً ضَبْطِيَّةً فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. وَلِلْخَطَّابِ الْبَغْدَادِيِّ وَالْمَؤْتَمِنِ السَّاجِيِّ، وَأَبْنِ الْأَبَارِ وَغَيْرِهِمْ فِي ذَلِكَ عَجَابٌ وَغَرَائِبٌ يَطْوُلُ ذَكْرَهَا، وَانْظُرْهَا فِي: «السَّيِّرُ» لِلْذَّهَبِيِّ: (٢٧٩/١٨)، وَ(٣١٠/١٩)، وَ(٢٥٣/٢١)، وَ«طَبِيَّاتُ الشَّافِعِيِّ» لِلْسَّبِيْكِيِّ: (٣٠/٤)، وَ«الْجَوَاهِرُ وَالدُّرُّ» لِالسَّاجِدِيِّ: (١٠٣/١).

بعد هذا يأتي بعض الناس بعدما يستمع للجواب يقول: لكن قال الشيخ الفلاسي
كذا وكذا . . . في وسط الحلقة. هذا من سوء الأدب، معنى هذا إنك لم تقتنع
بوجهه، ومعنى هذا إثارة البليبة بين العلماء.

وإن كان لابد فيقول: قال قائل . . . ثم يورد ما قاله الشيخ فلان لأن أحداً لا يفهم إذا قال إن قال قائل أنه أراد بذلك جواب شيخ آخر. لهذا يقول: «لكن إن كنت لابد فاعلاً فقل ما دأبك في الفتوى بكندا» وهذا أيضاً ما هو بحسن.

أحسن منه أن تقول (إإن قال قائل)، لأنك إذا قلت: ما رأيك في الفتوى بهذا - وهي خلاف ما أفتاك به - فيعني إنك ت يريد أن تعارض فتواه بفتوى آخر، لكن هي أحسن من قولك: قال الشيخ الغلانى كذا.

وقال أيضًا: «وللعلم ست مراتب:

لثانية. حُسْنُ الإِنْصَاتِ وَالْاسْتِمْاعِ.

أولها. حسن السؤال.

الرابعة. الحفظ.

الثانية: حب الفهم

٦٣٦ - **النهاية** . وهو، ثمرة العمل به ومراعاة

حدوده) أه. ثم أخذ في بيانها ببحث مهم.

١٤- هذا الوجه لا شك أنه مناسب.

حسن السؤال: إذا دعت الحاجة إلى حسن السؤال أما إذا لم تدع إلى السؤال فلا
تامة السؤال، لأنّه لا ينبع للانسان أن يسأل إلا إذا احتاج هو إلى السؤال، أو أظن

النجدية وله حواشٍ على الروض المربع وهو لم يتجاوزه، لكنه يكرره ويتأمله مُنطلقاً ومفهوماً إماءً وإشارة.

ل تستفيد فائدتين :
أما كتابة «بَاعَ» فهذا طيب إنك إذا راجعت كتاباً فاكتب عند المتنى «بَاعَ

الأولى - لا تنس ما قرأت، لأن الإنسان قد ينسى فلا يدري أبلغ هذه الصفحة أم لا؟ وربما يفوته بعض الصفحات إذا ظن أنه قد تقدم في المطالعة.

الثانية - أن يعلم الآتي بعده أنك قد أحصيته وأكملته فيفق به أكثر.

٣٩. حسن السؤال:

التزم أدب المباحثة من حُسْنِ السُّؤَالِ، فالاستماع، فصحة الفهم للجواب، وإياك إذا حصلَ الجوابُ أن تقولَ: لكنَّ الشِّيخَ فلاناً قالَ لي كذا، أو قالَ كذا، فإنَّ هذا وَهُنْ في الأدبِ، وضرُبُ لَأهْلِ الْعِلْمِ بِعِصْبِهِمْ بِبَعْضِهِمْ، فاحذرُهُنَّا. وإنْ كُنْتَ لابدَّ فاعلاً، فكُنْ واصِحًا في السُّؤَالِ، وقلْ: ما رأيُكَ في الفتوى بِكَذَا، ولا تسمِّ أحدًا.

من آداب طالب العلم:

أولاً - أن يكون عنده حسن سؤال، حسن إلقاء مثل أن يقول: أحسن الله إليك ما تقول في كذا، وإن لم يقل هذه العبارة فليكن قوله رقيقة بأدب.

الثاني - حسن الاستماع، أما أن تقول: يا شيخ أحسن الله إليك ماذا تقول في
كذا وكذا . . . وانتظر .

الثالث - صحة الفهم للجواب . . . وهذا أيضًا يفوت بعض الطلبة، تجده إذا سأل وأجيب. يستحب أن يقول ما فهمت.

منذر أبو سعيد

شرح كتاب حلية طالب العلم

أن غيره يحتاج إلى السؤال قد يكون مثلاً هو فاهم الدرس ولكن فيه مسائل صعبة يحتاج إلى بيانها إلى بقية الطلبة، بل من أجل حاجة غيره.

والسائل من أجل حاجة غيره كالمعلم، لأن النبي ﷺ لما جاءه جبريل وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان وال الساعة وأشار لها. قال **هذا جبريل أتاك علّمكم دينكم** ^(١).

إذا كان الباعث على السؤال حاجة السائل. فسؤاله واضح أنه وجيه أو حاجة غيره إن سُئل ليعلم غيره فهذا أيضاً طيب، أما إذا سأله ليقول الناس: ما شاء الله فلان عنده حرص على العلم كثير السؤال، وابن عباس رض يقول: لما سُئل بما أدرك العلم؟ قال: «بسنان سُؤول وقلب عقول وبدن غير ملول»، فهذا غلط، وعلى عكس من ذلك من يقول: لا أسأل حياءً. فالثاني مُفرط.

وال الأول - مُفرط، و**الثاني** الأمور الوسط.

الثالث - حسن الاتصال. **الرابع** - بلا سماح

الخامس - حسن الفهم.

الرابع - الحفظ، وهذا الحفظ ينقسم إلى قسمين: قسم غريزي يهبه الله ملنه، فتجد الإنسان يمر عليه المسألة والبحث فيحفظه ولا ينساه، وقسم آخر كسيبي. يعني أن يمرن الإنسان نفسه على الحفظ ويذكر ما حفظ، فإذا عود نفسه تذكر ما حفظ، سهل عليه الحفظ.

الخامسة - التعليم، والذي أرى أن تكون هي السادسة وأن العمل **بالعلم** قبل السادسة، فيعمل بالعلم ليصلح نفسه قبل أن يبدأ بإصلاح غيره ثم بعد ذلك يعلم الناس. قال النبي ﷺ: «ابدأ بنفسك ثم من تعلو» ^(٢). فالعمل به قبل تعليمه. بل قد

(١) آخر جه مسلم (١) في الإيمان.

(٢) آخر جه أحمد (٣٣٠ / ٣) والبيهقي (٤ / ١٨٢).

منذر أبو سعيد

منذر أبو سعيد

لفضيلة الشيخ ابن عثيمين

تقول أن تعليمه من العمل به، لأن من جملة العمل بالعلم أن تفعل ما أوجب الله عليك فيه من بره ونشره.

٤٠. المناظرة بلا مماراة ^(١).

إيّاك والمماراة، فإنها نِقْمةٌ أمّا المناظرة في الحق، فإنها نِعْمةٌ، إذ المناظرة الحقة فيها إظهار الحق على الباطل، والراجح على المرجوح، فهي مبنيةٌ على المناصحة، والحلْم، ونشر العلم، أمّا المماراة في المخاورة والمناظرات، فإنها تَحْجُجُ وربماً، ولَفَظُ وكِبْرِياءٍ، ومُغالبةٍ ومِرْاءٍ، واحْتِيالٍ وشَحْنَاءٍ، ومُجَارَةً للسُّفَهَاءِ، فاحْتَدَرُهَا واحْتَدَرَ فاعلَمَا، تَسْلُمُ من المأثِيمِ وَهَتَّكَ الْمُحَارِمِ، وَأَعْرَضَ تَسْلُمُ وَتَكْبُتُ الْمَأْثِيمِ وَالْمَغْرَمِ.

المناظرة والمناقشة تشحذ الفهم وتعطي الإنسان قدرة على المجادلة. والمجادلة في الحق مأمور بها كما قال الله تعالى: **﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُوعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** (سورة النحل: ١٢٥).

إذا تمرن الإنسان على المناظرة والمجادلة حصل على خيرٍ كثير، وكم من إنسان جادل بالباطل فغلب صاحب الحق لعدم قدرته على المجادلة. لكن المجادلة نوعان: مجادلة المماراة، ياري بذلك السفهاء ويجادل الفقهاء ويريد أن يتصرّ قوله، فهذه مذمومة.

والثاني لإثبات الحق وإن كان عليه، وهذه محمودة مأمور بها. وعلامة ذلك - المجادلة الحقة - أن الإنسان إذا بلغه الحق اقتنع وأعلن الرجوع، أما المجادل الذي يريد الانتصار لنفسه فتجده لو بان الحق، وكان ظاهر الحق مع خصميه يورد إيرادات: لو

(١) وانظر: «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»: (٢٤ / ١٧٢ - ١٧٤).

منذر أبو سعيد

وهذا أيضًا الذي ينبغي لطالب العلم أن يقوم به، وهو المذاكرة. والمذاكرة نوعان: مذاكرة مع النفس. ومذاكرة مع الغير.

المذاكرة مع النفس: تجلس مكانك جلسة واحدة، ثم تقلب مسألة من المسائل أو
ظنها مثلاً مرت عليك، ثم تأخذ في محاولة ترجيح ما قيل في هذه المسألة بعضها
بعض، بعذ ترجح بعض الأقوال بعضها على بعض في هذه المسألة.

أما المذاكرة مع الغير: فهي أيضاً واصحة يختار الإنسان مع إخوانه من الطلبة ~ من يكون معه - يعينه على طلب العلم، مفيداً له فيجلس معه ويتذاكر، يقرأ مثلاً ما حفظاه كل واحد يقرأ على الآخر قليلاً أو يتذاكرها مسألة من المسائل بالمراجعة أو بالمفاهمة إن قدرًا على ذلك، فإنه مما ينمي العلم ويزيده.

ولكن إياك والشغب والصلت، لأن هذا لا يفيد. أنت الآن تحتاج في مقام الإقناع. وأعلم أنه لن يقتنع كلما اشتد غضبك عليه، بل ربما إذا اشتد غضبك عليه، أشتغل به، وأدعه يخوض المواجهة، فربما ينكمش في نفسه.

أما لو علمت منه الإعنات، مثل أن تكون أنت أعلم منه وتفهم من العلم ما لا يفهم، ولكن عرفت أن هذا الرجل يريد العنت. فحيثذ لك أن تشتد عليه وأن تقول لن أفهمك لقول الله تعالى لنبيه ﷺ: **﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بِيَنْهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾** (سورة المائدة: ٤٢). ولهذا قال المؤلف: «فإن كانت مع قاصر في العلم بارد الذهن فهي داء ومناشرة».

٤٢- طالب العلم يعيش بين الكتاب والسنة وعلومها :

فِهَا لِهِ الْحَنَاحِينَ لِلْطَّائِرِ، فَاحْذِرْ أَنْ تَكُونَ مَهِيْضَ الْجَنَاحِ.

هذا أيضاً من آداب طالب العلم. طالب العلم يعيش بين الكتاب والسنة، كالطائرة لا يطير إلا بجناحين إذا انكسر أحدهما لم يطير، إذاً لا تراعي السنة وتغفل عن القرآن، أو القرآن وتغفل عن السنة، كثير من طلبة العلم يعتنى بالسنة وشروحها

قال قائل. ثم إذا أجب. ولو قال قائل. ثم إذا أجب ، قال ولو قال قائل. ثم تكون سلسلة لا متهى لها، ومثل هذا عليه خطر أن لا يقبل قلبه الحق، لا بالنسبة للجادلة مع الآخر، لكن حتى في خلوته، ربما يورد الشيطان عليه هذه الإيرادات، قال الله تعالى: **﴿وَنَقَبَ أَفْعَدَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أُولَئِكَ مَرَّةٌ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾** (سورة الأنعام: ١١٠). وقال الله تعالى: **﴿فَإِنْ تَوَلُّوْا فَاعْلَمُ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِعَذَابٍ ذُنُوبِهِمْ﴾** (سورة المائدة: ٤٩).

فعليك يا أخي ابتغاء الحق سواء كان بمحادلة غيرك أو بمحادلة نفسك متى تبيّن
قول: سمعنا وأطعمنا. لهذا تجد الصحابة يقبلون ما حكم النبي ﷺ وما أخبر به دون
أن يوردوا عليه الاعتراضات أو قول: أرأيت . . . أرأيت.

ولهذا جادل رجل عبد الله بن عمر فقال له: أرأيت؟! قال له: «اجعلرأيت في
ليمن». لأنّه من أهل المزن.

عندما سأله أهل العراق عن دم البعوضة. وهل يجوز قتل البعوضة؟! قال:
سبحان الله !! أهل العراق يقتلون ابن بنت رسول الله ﷺ ويائتون يسألون عن دم
لبعوضة !! هذه مجادلة ولاشك.

٤- مذكرة العلم:

تمتَّعَ مع البُصَرَاءِ بِالْمُذَكَّرَةِ وَالْمُطَارَحَةِ، فَإِنَّهَا فِي مَوَاطِنَ تَفُوقُ الْمُطَالَعَةِ،
وَتَشَحَّدُ الْذَّهَنُ، وَتُقْوِيُ الْذَّاكِرَةُ، مُلْتَزِمًا الْإِنْصَافَ وَالْمُلَاطْفَةَ، مُبْتَعِدًا عَنِ
الْحَيْفِ وَالشَّغْبِ وَالْمُجَازِفَةِ. وَكُنْ عَلَى حَذْرٍ، فَإِنَّهَا تَكْشِفُ عُوَارَ مَنْ لَا يَصْدُقُ.
إِنْ كَانَتْ مَعَ قَاصِرٍ فِي الْعِلْمِ، بَارِدَ الْذَّهَنِ، فَهِيَ دَاءٌ وَمُنَافِرَةٌ، وَأَمَّا مَذَاكِرُكَ مَعَ
نَفْسِكَ فِي تَقْلِيْبِكَ لِمَسَائِلِ الْعِلْمِ، فَهَذَا مَا لَا يَسْوَعُ أَنْ تَنْفَكَ عَنْهُ. وَقَدْ قِيلَ:
٦٦
إِحْيَا الْعِلْمِ مَذَاكِرَتَهُ.

٤٣. استكمال أدوات كل فن:

لن تكون طالب علم مُتقيناً مُتقنناً. حتى يلتج الجمل في سُمّ الخياط. ما لم تستكمِل أدوات ذلك الفن، ففي الفقهِ بين الفقهِ وأصولهِ، وفي الحديثِ بين علمي الرواية والدراءة... وهكذا، وإنَّ فلادَ تَتَعَنَّ. قال الله تعالى: **﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتَلَوُنَهُ حَقَّ تِلَوَتِهِ﴾** (سورة البقرة: ١٢١). فَيُسْتَفَادُ مِنْهَا أَنَّ الطَّالِبَ لَا يَرْتَكِبُ عِلْمًا حَتَّى يُتَقِّنَهُ.

استكمال أدوات كل فن. يريد بذلك: أنك إذا أردت أن تكون طالب علم في فن معين، وهو ما يُعرف عنك بالشخص، فلابد أن تكون مستكملاً أدوات ذلك الفن، يعني عندك علماً به، فمثلاً في الفقه إذا كنت تريد أن تكون عالماً بالفقه، فلابد أن تقرأ الفقه وأصول الفقه لتكون مُتَبَحِّراً فيه، وإنَّ في المِمْكَن أن تعرف الفقه بدون علم الأصول، ولكن لا يمكن أن تعرف أصول الفقه بدون الفقه. يعني: يمكن أن يستغني الفقيه عن أصول الفقه، لكن لا يمكن أن يستغني الأصولي عن الفقه، إذا كان يريد الفقه.

ولهذا اختلف العلماء، علماء الأصول: هل الأولى لطالب العلم أن يبدأ بأصول الفقه لإبتناء الفقه عليه أو بالفقه لدعاه الحاجة إليه، حيث أن الإنسان يحتاجه في عمله، حاجاته، ومعاملاته قبل أن يفطن إلى أصول الفقه.

والثاني - هو الأولى وهو المُتَبَعُ غالباً. وهنا استدل بقول الله تعالى: **﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتَلَوُنَهُ حَقَّ تِلَوَتِهِ﴾** (سورة البقرة: ١٢١). والمراد بالتلاوة هنا: التلاوة اللغوية، والتلاوة المعنوية، والتلاوة العملية، مأخوذة من تلاه إذا اتبَعَهُ، فالذين آتَاهُمُ الْكِتَابَ لا يمكن أن يوصفوا بأنهم أهل الكتاب حتى يتلوه حق تلاوته.

قوله: «وفي الحديث بين علمي الرواية والدراءة» يعني بذلك الرواية في أسانيد الحديث ورجال الحديث. والدراءة في فهم معناه.

ورجالها، ومصطلحها إعتناءً كاملاً، ولكن لو سأله عن آية من كتاب الله. ما قدم الإجابة، ولا عرف شيئاً.

هذا غلط، لكن لابد أن يكون القرآن والسنة جناحين لك، والجناح الأصل هو القرآن.

وثم أيضاً شيء ثالث - لكن هو داخل في قول المؤلف وعلومها: كلام العلماء، لا تهمل كلام العلماء ولا تغفل عنهم، لأن العلماء أشد منك رسوخاً في العلم، وعندهم من قواعد الشريعة وضوابط الشريعة ما ليس عندك فلا تغفل عنهم.

ولذلك كان العلماء الأجلاء المحققون إذا ترجم عندهم قول يقولون: «إن كان أحد قال به وإنَّ فلادَ نَقْوَلَ به».

شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - على سعة علمه وإطلاعه، إذا قال قوله لا يعلم له قائلاً. قال: «أنا أقول به إن كان قد قيل به». ولا يأخذ برأيه، يقول: خلاص أنا فهمت من القرآن كذا ولا علىَّ من الناس.

هذا غلط. أنت إذا رأيت أكثر العلماء على قول، فلا تعدل على أكثر العلماء إلا بعد التمحيق والتحقيق، لأنَّه من المستبعد أن يكون الأقل هم أهل العلم.

منذر أبو سعيد

الفصل السادس التحلي بالعمل

٤٤. من علامات العلم النافع:

تساءل مَعَ نَفْسِكَ عَنْ حَظْكَ مِنْ عَلَامَاتِ الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَهِيَ:

١. العملُ بِهِ.
٢. كراهيَةُ التَّزكِيَّةِ، والْمَدْحِ، وَالْتَّكَبُّرِ عَلَى الْخَلْقِ.
٣. تَكَاثُرُ تَوَاضُعِكَ كَلَّمَا ازْدَدَتْ عِلْمًا.
٤. الْهَرَبُ مِنْ حُبِّ الْتَّرْوِيسِ وَالشَّهْرَةِ وَالدُّنْيَا.
٥. هَجْرُ دُعُوَيِ الْعِلْمِ.
٦. إِسَاعَةُ الظُّنُنِ بِالنَّفْسِ، وَإِحْسَانُهُ بِالنَّاسِ، تَنَزَّهًا عَنِ الْوَقْوَعِ بِهِمْ.

هذه من علامات العلم النافع:

أولاً. العمل بِهِ: وهذا بعد الإيمان، أَنْ تَؤْمِنَ بِمَا عَلِمْتَ ثُمَّ تَعْمَلَ إِذَا لَمْ يُكُنْ الْعَمَلُ إِلَّا بِإِيَّانِ، فَإِنْ لَمْ يَوْفَقِ الْإِنْسَانُ لِذَلِكَ، بِأَنَّ كَانَ يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ وَلَكِنْ لَا يَعْمَلُ بِهَا فَعْلَمَهُ غَيْرُ نَافِعٍ، لَكِنْ هَلْ هُوَ ضَارٌ أَمْ لَا نَافِعٌ وَلَا ضَارٌ؟ هُوَ ضَارٌ .. لَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«الْقُرْآنُ حِجَةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ»**^(١) وَلَمْ يَقُلْ: لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ فَالْعِلْمُ إِمَّا نَافِعٌ أَوْ ضَارٌ.

ثانياً. كراهيَةُ التَّزكِيَّةِ، والْمَدْحِ، وَالْتَّكَبُّرِ عَلَى الْخَلْقِ: وَهَذِهِ ابْتِلَى بِهِ بَعْضُ النَّاسِ، فَيُزَكِّي نَفْسَهُ وَيُرِي أَنَّ مَا قَالَهُ هُوَ الصَّوَابُ وَأَنَّ غَيْرَهُ إِذَا خَالَفَهُ فَهُوَ مَخْطَأٌ وَمَا أَشْبَهُ

منذر أبو سعيد

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٣٤٣/٥) وَابْنُ مَاجَةَ (٢٨٠) وَمُسْلِمٌ (٢٢٣).

ومتى كان في المجلس تصدر المجلس، وإذا أراد أحد أن يتكلم يقول: اسكت أنا أعلم منك.

سادساً. إساءة الظن بالنفس، وإحسانه بالناس، تنزهاً عن الواقع بهم: أن يسيئ الظن بنفسه لأنها ربما تغره وتأمره بالسوء فلا يحسن الظن بالنفس، وكلما أملت عليه أخذ بها.

أما قوله: «إحسانه بالناس» فهذا يحتاج إلى تفصيل. الأصل إحسان الظن بالناس وإنك متى وجدت مهماً حسناً للكلام غيرك فأحمله عليه ولا تسيئ^١ الظن، لكن إذا علم عن شخص من الناس أنه محل لإساءة الظن، فهنا لا حرج أن تسيئ الظن من أجل أن تختبره منه لأنك لو أحسنت الظن به لافتضت إليه كل ما في صدرك، ولكن ليس الأمر كذلك.

وقد كان عبد الله بن المبارك إذا ذكر أخلاق من سلف ينشد:

لَا تَعْرُضَنَّ بِذِكْرِنَا مَعَ ذِكْرِهِمْ ۖ لِيَسَ الصَّحِيحُ إِذَا مَسَّنَا كَالْمَقْعَدَ

٤. زكاة العلم:

أد (زكاة العلم): صادعاً بالحق، أماراً بالمعروف، نهأ عن المذكر، موازناً بين المصالح والمضار، ناشراً للعلم، وحباً النفع، ويدل الجاه، والشفاعة الحسنة لل المسلمين في ثواب الحق والمعروف.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله، إلا من ثلات: صدقة جارية، أو علم ينفع به، أو ولد صالح يدعو له». رواه مسلم

وغيره^(١).

(١) مسلم رقم (١٤) في الوصية/باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

ذلك، كذلك يحب المدح. تجده يسأل ماذا قالوا لما تحدثوا عنه؟ وإذا قالوا: إنهم مدحوك، انتفع وزاد انتفاحه حتى يعجز جلده عن تحمل بدنـه، كذلك التكبر على الخلق، بعض الناس - والعياذ بالله - إذا آتاه الله علماً تكبر^٢. الغني بالمال ربما يتكبر، ولهذا جعل النبي عليهما السلام : العائل المستكبر من الذين لا يكلمهم الله عز وجل يوم القيمة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.

لأنه ليس عنده مال يوجب الكبراء، ولكن العالم لا ينبغي أن يكون كالغبي كلما ازداد علمًا ازداد تكبراً، بل ينبغي العكس كلما ازداد علمًا ازداد تواضعًا، لأن من العلوم التي يقرؤها أخلاق النبي عليهما السلام ، وأخلاقه كلها تواضع للحق، وتواضع للخلق، لكن على كل حال إذا تعارض التواضع للخلق أو الحق. أيهما يقدم؟ التواضع للحق.

ثالثاً. تكاثر تواضعك كلما ازدلت علمًا: وهذا في الحقيقة فرع من الثاني، يعني تكبر على الخلق، وينبغي كلما ازدلت علمًا تزداد تواضعًا.

رابعاً. الهرب من حب التر裘 والشهرة والدنيا: هذه أيضاً قد تكون متفرعة عن كراهية التزكية والمدح، يعني لا تحاول أن تكون رئيساً لأجل علمك، لا تحاول أن تجعل علمك مطية إلى نيل الدنيا، فإن هذا يعني إنك جعلت الوسيلة غاية، والغاية وسيلة، ولكن هل معنى ذلك لو أنك كنت تجادل شخصاً لإثبات الحق هل ينبغي أن تجعل نفسك فوقه أو دونه؟ فوقه لأنك لو شعرت بأنك دونه ما استطعت أن تجادله، أما لو أنك شعرت أنك فوقه من أجل أن الحق معك، فإنك حينئذ تستطيع أن تسيطر عليه.

خامساً. هجر دعوى العلم: معناها: لا تدعي العلم. لا تقول أنا العالم.

أنا ابن جلا وطلائع الثناء^٣ متنى أضع العمامة تعرفوني

ومنها أيضًا: ما قاله المؤلف أن يكون صدًاعاً للحق. وهذا من جملة النشر، ولكن النشر قد يكون في حال السلامه والأمن على النفس، وقد يكون في حالة الخطر، فيكون صدًاعاً بالحق.

ومنها: أي من تزكية العلم - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لاشك أنه من ركاة العلم، لأن الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر هو عارف بالمعروف وعارف بالمنكر، ثم قائم بواجبه نحو هذه المعرفة.

والمعروف: كل ما أمر به الله ورسوله. والمنكر: كل ما نهى الله عنه ورسوله. موازنًا بين المصالح والمضار. لأنه قد يكون من الحكمة ألا تنهى حسب ما تقتضيه المصلحة، فالإنسان ينظر إلى المصالح والمضار.

وقوله: «ناشرًا للعلم وحب النفع» يعني تنشر العلم بكل وسيلة للنشر من قول باللسان وكتابة بالبناء. وبكل طريق، وفي عصرنا هذا سخر الله لنا الطرق لنشر العلم، فعليك أن تنتهز هذه الفرصة من أجل أن تنشر العلم الذي أعطاك الله إيه، فإن الله تعالى أخذ على أهل العلم ميشاق أن يبيئوه للناس ولا يكتموه، ثم ساق المؤلف حديث أبي هريرة رضي الله عنه والشاهد في قوله **«أو علم ينتفع به»**.

أما قوله: «قال بعض أهل العلم .. فبدله صدقة ينتفع بها والمتلقى لها ابن للعالم في تعلمها عليه».

هذا قصور. والصواب خلاف ذلك. أن المراد بالصدقة البارية، صدقة المال. وأما صدقة العلم فذكرها بعده بقوله **«أو علم ينتفع به أو ولد صالح»** المراد به الولد بالنسبة، لا الولد بالتعليم.

فحمل الحديث على أن المراد بالعلم يعلم فيكون صدقة ويقى علمه بعد موته ينتفع به ويكون طلابه أبناء له، فهذا لاشك تقصير في تفسير الحديث.

قال بعض أهل العلم^(١): هذه الثالث لا تجتمع إلا للعالم البادل لعلمه، فبدله صدقة، ينتفع بها، والمتلقى لها ابن للعالم في تعلمه عليه. فاحرص على هذه الحلية، فهي رأس ثمرة علمك. ولشرف العلم، فإنه يزيد بكترة الإنفاق، ويinctص مع الإشفاق، وافتئه الكتمان. ولا تحملك دعوى فساد الزمان، وغلبة الفساق، وضعف إفادة النصيحة عن واجب الأداء والبلاغ، فإن فعلت، فهي فعلة يسوق عليها الفساق الذهب الأحمر، ليتم لهم الخروج على الفضيلة، ورفع لواء الرذيلة.

هذا زكاة العلم. تكون بأمر:

منها: نشر العلم. كما يتصدق الإنسان بشيء من ماله، فهذا العالم يتصدق بشيء من علمه، وصدقة العلم أبقى دواماً وأقل كلفة ومؤنة.

أبقي دواماً لأنه ربما كلمة من عالم سمع ينتفع بها فنام^(٢) من الناس ومازلتنا الآن ننتفع بأحاديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولم ننتفع بدرهم واحد من الخلفاء الذين كانوا في عهده.

وكذلك العلماء تنتفع بكتابهم وعلومهم، فهذه زكاة. وهذه الزكاة لا تنقص العلم بل تزيده.

يزيد بكترة الإنفاق منه **وينقص إن به كفأ شدت**

ومن زكاة العلم أيضًا: العمل به لأن العمل به دعوة إليه بلاشك، وكثير من الناس يتأنسون بالعلم وبأعماله، أكثر ما يتأنسون بأقواله وهذا بلاشك زكاة أيها زكاة، لأن الناس يشربون منها وينتفعون.

(١) «تذكرة السامع والمتكلم».

(٢) جماعة.

والصواب: أن الحديث دلّ على ثلاثة أجناس مما ينتفع به الإنسان بعد موته الصدقة الجارية، والصدقة إما جارية وإما مؤقتة. فإذا أعطيت فقيراً يشتري طعاماً فهذه صدقة لكنها مؤقتة، وإذا حضرت بئراً ينتفع به المسلمين بالشرب، فهذه صدقة جارية.

والأخير أن يقال «ولبركة العلم» فهذا أمثل، لكونه يزيد بكثرة الإنفاق. ووجه زيادته أن الإنسان إذا عَلِمَ الناس مكث علمه في قلبه واستقر، وإذا غفل نسي.

ثانياً - أنه إذا علم الناس فلا يخلو هذا التعليم من الفوائد الكثيرة، بمناقشة أو سؤال، فينمي علمه ويزداد، وكم من أستاذ تعلم من تلاميذه. قد يذكر التلميذ مسألة ما جرت على بال الأستاذ وينتفع بها الأستاذ فلهذا كان بذل العلم سبباً في كثرة وزيادة تعلمه.

ثم لا تيأس ولا تقل: إن الناس غالب عليهم الفسق والمجون والغفلة، لا! أبذل النصيحة ما استطعت ولا تيأس لأنك إذا تقاعست واستحسرت فمن يفرح بذلك؟ لنساق والفحار. كما قيل:

ونقري ما شئت أن تنقري

فلا تيأس، فكم من إنسان يأس من صلاحه، ففتح الله عليه وصلاحه.

٤٣٠ . عَزَّةُ الْعُلَمَاءِ :

التَّحْلِي بِ(عَزَّةِ الْعُلَمَاءِ): صِيَانَةُ الْعِلْمِ وَتَعْظِيمُهُ، وَحِمَايَةُ جَنَابِ عَزَّةِ
وَشَرْفِهِ، وَيَقْدِرُ مَا تَبَذِّلُهُ فِي هَذَا يَكُونُ الْكَسْبُ مِنْهُ وَمِنْ الْعَمَلِ بِهِ، وَيَقْدِرُ مَا تَهْدِرُهُ
يَكُونُ الْفَوْتُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ.

وعليه، فاحذر أن يتمنى بك الكبار، أو يمتنع على السفهاء، فتلذ في
فتوى أو قضاء، أو بحث، أو خطاب ... ولا تسع به إلى أهل الدنيا، ولا تقف به
على اعتابهم، ولا تبدله إلى غير أهله وإن عظم قره.

هذا فيه شيء صواب، وشيء فيه نظر، صيانة العلم وتعظيمه وحماية
جنباه، لاشك أنه عزٌ وشرف. فإن الإنسان إذا صان علمه عن الدناءة وعن التعلل
إلى ما في أيدي الناس، وعن بذل نفسه فهو أشرف له وأعزٌ، ولكن كون الإنسان لا
يسعى به إلى أهل الدنيا ولا يقف على اعتابهم ولا يبلغه إلى غير أهله وإن عظم قدره
ففيه تفصيل.

فيقال إذا سعيت به إلى أهل الدنيا وكانوا ينتفعون بذلك فهذا خير، وهو داخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما إن كانوا يقفون من هذا العالم الذي دخل عليهم وأخذ يحدثهم، موقف الساخر المتعلمل، فهنا لا ينبعي أن يهدي العلم إلى هؤلاء، لأن إهانة له وإهانة علمه. ولنفرض أن رجلاً دخل على أناس من هؤلاء النفر، وجلس، وجعل يتحدث إليهم بأمور شرعية، ولكنه يشاهدهم تتمعر وجوههم، ويتعلملون ويتغامزون، فهو لا ينفع، أن يحوم حولهم لأن هذا ذل له ولعلمه.

أما إذا دخل على هؤلاء وجلس وتحدث، ووْجَدَ وجْهًا تهش، وأفْدَهَ تعلَمَنْ، وَحدَ منْهُمْ أقْلَالًا، فَهَا هُنَّ يَعْجِزُونَ بِفَعْلِهِ، وَلِكُلِّ مَقْامٍ مَقَال.

يَقُولُونَ لِي فِيْكَ انْقِبَاضٌ وَإِنَّمَاٰ رَأَوْ رَجُلًا عَنْ مَوْضِعِ الدُّلُّ أَحْجَمًا
أَرَى النَّاسَ مِنْ دَانَاهُمْ هَانَ عِنْهُمْ وَمِنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أَكْرَمًا
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانُهُمْ وَلَوْ عَظَمُوهُ فِي النُّفُوسِ لَعَظَمًاٰ
• (لَعَظَمًا)، بفتح الظاء المعجمة المشائلة.

٢٥

هذا الضبط فيه نظر، والظاهر: ولو عظموه في النفوس لعظماً. يعني لكان عند الناس عظيماً، لكنهم لم يعظموه في النفوس، بل أهانوه وبذلوه لكل غالٍ ورخيص. وهذه مرت على في البداية والنهاية لا ينكر في ترجمة الناظم الذي نظمها.

صيانته العلم

إِنْ بَلَغْتَ مَنْصِبًا، فَتَذَكَّرَ أَنَّ حَبْلَ الْوَصْلِ إِلَيْهِ طَلْبُ الْعِلْمِ، فَبِفَضْلِ اللَّهِ ثُمَّ
بِسَبِّ عِلْمِكَ بَلَغْتَ مَا بَلَغْتَ مِنْ وَلَايَةٍ فِي التَّعْلِيمِ، أَوِ الْفُتْيَا، أَوِ الْقَضَاءِ ...
وَهَكُنَا، فَأَعْطَى الْعِلْمَ قِدْرَهُ وَحَظَّهُ مِنَ الْعَمَلِ بِهِ وَإِنْزَالِهِ مِنْزَلَتِهِ. وَاحْدَرَ مَسَالَةً
مِنْ لَا يَرْجُونَ اللَّهَ وَقَارَأَ، الَّذِينَ يَجْعَلُونَ الْأَسَاسَ (حِفْظَ الْمَنْصَبِ)، فَيَطْلُونَ
أَسْنَتَهُمْ عَنْ قَوْلِ الْحَقِّ، وَيَحْمِلُهُمْ حُبُّ الْوَلَايَةِ عَلَى الْمَجَارَةِ. فَالْأَذْمَرُ. رَحْمَكَ
اللَّهُ. الْمُحَافَظَةُ عَلَى قِيمَتِكَ بِحِفْظِ دِينِكَ، وَعِلْمِكَ، وَشَرَفِ نَفْسِكَ، بِحِكْمَةِ
وَدْرَائِيَّةِ وَحْسِنِ سِيَاسَةٍ: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظُكَ» «احْفَظِ اللَّهَ فِي الرَّحَاءِ
يَحْفَظُكَ فِي الشَّدَّةِ ...».

إذا أراد بهذا الحديث، فليس هذا لفظ الحديث، والجملة الثانية «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»، هذا نص الحديث.

لو كان دخل طالب علم صغير على هؤلاء المترفين، فلربما يقعنون منه موقف الإستهزء والسخرية، لكن لو دخل عليهم من له وزن عندهم وعند غيرهم لكان الأمر بالعكس، فلكل مقام مقال.

وَمَتَّ بَصَرَكَ وَبِصِيرَتَكَ بِقِرَاءَةِ التَّرَاجِمِ وَالسَّيِّرِ لِأَئِمَّةِ مَضَاؤِهِ، تَرَفِيهَا
بِذَلِّ النَّفْسِ فِي سَبِيلِ هَذِهِ الْحَمَايَةِ، لَأَسِيمَا مِنْ جَمِيعِ مُثُلًا فِي هَذَا، مِثْلُ كِتَابِ
«مِنْ أَخْلَاقِ الْعُلَمَاءِ» لِمُحَمَّدِ سُلَيْمَانَ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^(١) . وَكِتَابِ «الْإِسْلَامُ بَيْنَ
الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَّامِ» لِعَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَدْرِيِّ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَكِتَابِ «مَنَاهِجِ
الْعُلَمَاءِ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ» لِفَارُوقِ السَّامِرَائِيِّ^(٢) .

وَأَرْجُو أَنْ تَرَى أَصْعَافَ مَا ذَكَرْتُهُ فِي كِتَابِ «عِزَّةُ الْعُلَمَاءِ» يَسِّرَ اللَّهُ إِتَّمَامَهُ
وَطَبْعَهُ. وَقَدْ كَانَ الْعُلَمَاءِ يُلْقِنُونَ طُلَّابَهُمْ حِفْظَ قَصِيْدَةِ الْجُرْجَانِيِّ عَلَيْهِ بْنِ عَبْدِ
الْعَزِيزِ (مِنْ سَنَةِ ٣٩٢ هـ). رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَمَا تَجِدُهُ عَنْدَ عَدَدٍ مِنْ مُتَرْجِمِيهِ،
وَمَطْلَعُهَا:

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا رَأَيْتُ فِي هَذَا كِتَابَ «رُوضَةُ الْعَقَلَاءِ» لِلْبَسِنِيِّ، كِتَابٌ عَظِيمٌ عَلَى
الْخَتْصَارِ، فِيهِ فَوَائِدٌ عَظِيمَةٌ وَمَا ثَرَ كَرِيمَةً لِلْعُلَمَاءِ الْمُحَدِّثِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَكَانَ مَقْرَرًا فِي
الْمَعَاهِدِ أَيَّامَ كَنَا نَدْرَسُ فِي الْمَعَهِدِ، مَقْرَرًا كِتَابًا مَطَالِعَةً لِلْطَّلَابِ وَأَنْتَفَعَ بِهِ الْكَثِيرُ.

أَمَّا مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ بَكْرٌ، بَعْضُهَا اطْلَعْنَا عَلَيْهِ، وَبَعْضُهَا لَمْ نَطْلَعْ عَلَيْهِ، لَكِنْ
بَعْضُهَا مُخْتَصَرٌ جَدًا، لَا يُسْتَفِدُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْهُ كَثِيرٌ فَائِدَةً. لَكِنْ سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ مُفِيدٌ
أَيْضًا فَائِدَةً كَبِيرَةً، فَمَرْاجِعُهُ عَظِيمَةٌ. أَمَّا كِتَابُ «عِزَّةُ الْعُلَمَاءِ» فَهُوَ مِنْ كِتَابَاتِ الْمُؤْلِفِ،
وَهُوَ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَسِّرَ إِتَّمَامَهُ وَطَبْعَهُ.

(١) مطبوع مراراً.

(٢) طبع بجدة عام ١٤٠٧ هـ، نشر دار الوفاء، بجدة.

نظر خاص، ونظر عام. كذلك المعرفة: معرفة خاصة، ومعرفة عامة. والمراد هنا المعرفة الخاصة.

بقي أن يقال: إن المشهور عند أهل العلم أن الله تعالى لا يوصف بأنه عارف. يُقال: عالم، ولا يقال عارف.

وفرقوا بين العلم والمعرفة^(١). بأن المعرفة تكون للعلم اليقيني والظني وأنها - أي معرفة - انكشاف بعد خفاء. وأما العلم فليس كذلك.

فنقول ليس المراد بالمعرفة هنا ما أراده الفقهاء أو أراده الأصوليون إنما المراد بالمعرفة هنا: أن الله تعالى يزداد عناء لك ورحمة بك، مع علمه بأحوالك - عز وجل.

وَإِنْ أَصْبَحْتَ عَاطِلًا مِنْ قَلَادَةِ الْوَلَايَةِ وَهَذَا سَبِيلُكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ - فَلَا
بَأْسَ، فَإِنَّهُ عَزْلٌ مُحَمَّدٌ لَا عَزْلٌ مُذْمَنَةٌ وَمُنْقَصَّةٌ.

هذه قاعدة مهمة: وهي أن الإنسان إذا أصبح عاطلاً عن قلادة الولاية، - وهذا سبيلك ولو بعد حين - يعني سوف تترك الولاية ولو بقيت في الولاية حتى الموت فإنك ستتركها لابد.

وقوله: «فَلَا بَأْسَ، فَإِنَّهُ عَزْلٌ مُحَمَّدٌ لَا عَزْلٌ مُذْمَنَةٌ وَمُنْقَصَّةٌ». هذا أيضاً ليس على عمومه، لأن من الناس من يُعزل عزل محمد وعز لكونه يقوم بالواجب عليه من

(١) انظر - غير مأمور - تعريف العلم وما قيل فيه في: المعتمد للبصري (١٠/١)، البرهان لإمام الحرمين (٩٧/١)، شرح اللمع للشيرازي (٤٤٦/١)، المستصفى للغزالى (٢٤/١)، المحسن للرازي (١)، المحسن للرازي (١٢/١)، الإحکام للأمدي (١٣/١)، المسودة (ص ٥١٤)، نهاية الوصول للهندى (٦/١)، شرح مختصر الطوخي (١٥٣/٢)، شرح العضد على ابن الحاجب (٤٧/١)، شرح المواقف للسبيل الشيريف الهرجاني (٧١/١)، التعريفات (ص ١٣٥)، البحر المحيط (٥١/١)، شرح المحيط على جمجم الجامع مع حاشية العطار (٢٠٣/١)، الآيات البينات للعبادي (٢٢٢/١)، إشارة الفحول (ص ٣).

يريد بهذه الآداب: أن الإنسان يصون علمه، فلا يجعله مبتذلاً، بل يجعله محترماً، معظمًا، فلا يلين في جانب من لا يريد الحق، بل يبقى طوراً شامخاً، ثابتاً، وأما أن يجعله الإنسان سبيلاً إلى المداهنة وإلى المشي فوق بساط الملوك وما أشبه ذلك، فهذا أمر لا ينبغي، ولم يكن الإنسان صائناً لعلمه إذا سلك الإنسان هذا المسلك.

والواجب قول الحق، لكن قول الحق قد يكون في مكان دون مكان، والإنسان يتهز الفرصة فلا يفوتها، ويحذر الذلة فلا يقع فيها.

قد يكون من المستحسن أن لا أتكلم في هذا المكان بشيء، وأن أتكلم في مكان آخر، لأنني أعرف أن كلامي في الموضع الآخر أقرب إلى القبول والإستجابة. فلكل مقام مقال، ولهذا يقال: «بحكمة ودرایة وحسن سياسة»، فلابد أن الإنسان يكون عنده علم ومعرفة وسياسة، بحيث يتكلم إذا كان للكلام محل، ويُسكت إذا كان ليس للكلام محل.

وقوله: «وفي الحديث «احفظ الله يحفظك» يعني: احفظ حدود الله كما قال الله تعالى في سورة التوبه: ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحِدُودِ اللَّهِ﴾ (سورة التوبه: ١١٢). فلا يتتحققونها بفعل محرم، ولا يضيعونها بترك واجب.

وقوله «يحفظك» يعني في دينك ودنياك وفي أهلك ومالك. فإن قال قائل: إننا نرى بعض الحافظين لحدود الله يصيّبهم ما يصيّبهم. فنقول: هذا زيادة في تكفير سيّاهم ورفعه درجاتهم، ولا ينافي قوله عَزَّوَجَلَّ : «احفظ الله يحفظك»، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، قوله «يعرفك»، لا تظن أن الله تعالى لا يعرف الإنسان إذا لم يُعرف إليه، لكن هذه معرفة خاصة، فهي كالنظر الخاص المنفي عن نفي عنه كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ (سورة آل عمران: ٧٧). مع أن الله لا يغيب عن نظره شيء، لكن النظر، نظران:

منذر أبو سعيد

مندر أبو سعيد

لفضيلة الشيخ ابن عثيمين

٤٨. المداراة لا المداهنة

المداهنة خلقٌ منحطٌ أما المداراة فلا، لكن لا تخلط بينهما، فتحمّل المداهنة إلى حضارة النفاق مجاهرة، والمداراة هي التي تمسُّ دينك^(١).

لابد أن تعرف ما الفرق بين المداهنة والمداراة.

المداهنة: أن يرضى الإنسان بما عليه قبيله، كأن يقول: لكم دينكم ولهم دين، ويتركهم.

وأما المداراة: فهو أن يعزم في قلبه على الإنكار عليه، لكنه يداريه فيتألفه تارة، ويؤجل الكلام تارة أخرى، وهكذا حتى تتحقق المصلحة.

فالفرق بين المداراة والمداهنة، أن المداراة يراد بها الإصلاح لكن على وجه الحكمة والتدرج في الأمور.

وأما المداهنة، فإنها الموافقة ولها جاءت بلفظ الدهن، لأن الدهن يسهل الأمور، والعامة يقولون في أمثالهم: ادهن السيل يسير يعني: اعطي الرشوة إذا أردت أن تمشي أمورك.

مندر أبو سعيد

(١) انظر «الغرباء» للأجري: (ص ٧٩ - ٨) مهم، و«روضة العقلاء»: (ص ٧) لابن حبان

مندر أبو سعيد

شرح كتاب حلية طالب العادة

الملحوظة والنزاهة، لكن يضيق على من تحته فيحفرون له حتى يقع، وهذا كثير مع الأسف. ومن الناس من يُعزل لأنه قد تبين أنه ليس أهلاً للولاية، فهل هذا العزل عزل ممددة أم عزل مذمدة؟ عزل مذمدة لاشك.

ومن العجيب أن بعض من حرمَ قصداً كبيراً من التوفيق لا يكونُ عنده الالتزام والإنابة والرجوع إلى الله إلا بعد (التقاعُد) فهذا وإن كانت توبته شرعية، لكن دينه ودينه العجائزي سواء، إذ لا يتعدي نفعه، أما وقت ولايته، حال الحاجة إلى تعدي نفعه، فتتجهُ من أعظم الناس فجوراً وضرراً، أو بارداً القلب، آخرس اللسان عن الحق. فنعود بالله من الخذلان.

من العجب أن بعض الناس إذا عُزل عن الولاية وترك المسئولية إزداد إنابة إلى الله عزَّ وجلَّ، لأنه إن عُزل في حالة يُحمد عليها جائلاً إلى الله وعرف أنه لا يغنيه أحد عن الله عزَّ وجلَّ، وعرف افتقاره إلى الله تبارك وتعالى، فصلحت حاله. وإن كان انفصالة إلى غير ذلك فلربما يَمْنُ الله عليه بالتوبه لتفرغه وعدم تحمله المسئولية، فيعود إلى الله تبارك وتعالى.

وأما قوله: «وأما في وقت ولايته، وقت تعدي نفعه، فتتجه من أعظم الناس فجوراً وضرراً» هذا موجود بلاشك، لكنه ليس كثيراً في الناس، والحمد لله. لكن من الناس من يكون متهاوناً في أداء وظيفته، فإذا تركها رجع إلى الله عزَّ وجلَّ.

مندر أبو سعيد

ثم أحذر أن تضم مكتبك الكتب التي ليس فيها خير، لا أقول التي فيها ضرر، بل أقول التي ليس فيها خير لأن الكتب تنقسم إلى ثلاثة أقسام: خير، وشر، ولا خير ولا شر.

فاحرص أن تكون مكتبك خالية من الكتب التي ليس فيها خير. هناك كتب يقال لها كتب أدب، لكنها تقطع الوقت وتقتله من غيرفائدة، هناك كتب غامضة ذات فكراء معينة ومنهج معين، وهذه أيضاً لا تدخل مكتبك.

٥. قوام مكتبك

عليك بالكتب المنسوجة على طريقة الاستدلال، والتفقه في علal الأحكام، والغوص على أسرار المسائل، ومن أجلها كتب الشيختين: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وتلميذه ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى. وعلى الجادة في ذلك من قبل ومن بعد كتب:

١. الحافظ ابن عبد البر (م سنة ٤٦٣هـ) رحمه الله تعالى، وأجل كتبه «التمهيد».
٢. الحافظ ابن قدامة (م سنة ٦٢٠هـ) رحمه الله تعالى، وأراس كتبه «المغني».
٣. الإمام الحافظ النووي (م سنة ٦٧٦هـ) رحمه الله تعالى.
٤. الحافظ الذهبي (م سنة ٧٤٨هـ) رحمه الله تعالى.
٥. الحافظ ابن كثير (م سنة ٧٧٤هـ) رحمه الله تعالى.
٦. الحافظ ابن رجب (م سنة ٧٩٥هـ) رحمه الله تعالى.
٧. الحافظ ابن حجر (م سنة ٨٥٢هـ) رحمه الله تعالى.
٨. الحافظ الشوكاني (م سنة ١٢٥٠هـ) رحمه الله تعالى.
٩. الإمام محمد بن عبد الوهاب (م سنة ١٢٠٦هـ) رحمه الله تعالى.

٤٩. الفرام بالكتب

شرف العلم معلوم، لعموم نفعه، وشدة الحاجة إليه ك حاجة البدن إلى الأنفاس، وظهور النقص بقدر نقصه، وحصول اللذة والسرور بقدر تحصيله، ولهذا اشتد غرام الطالب بالطلب، والفرام يجمع الكتب مع الانتقاء، ولهم أخبار في هذا تطول، وفيه مقيّدات في «خبر الكتاب» يسر الله إتمامه وطبعه. وعليه، فاحذر الأصول من الكتب، واعلم أنه لا يغنى منها كتاب عن كتاب، ولا تُحشر مكتبك وتشوش على فكرك بالكتب الغشائية، لاسيما كتب المبدعة، فإنها سُمٌ ناقع.

جمع الكتب مما ينبغي لطالب العلم أن يهتم به، ولكن يبدأ بالأهم فالأهم. فإذا كان الإنسان قليل الراتب فليس من الخير ولا من الحكمة أن يشتري كتبًا كثيرة يلزم نفسه بغرامة قيمتها، فإن هذا من سوء التصرف.

ولذلك لم يأمر النبي ﷺ الرجل الذي أراد أن يزوجه ولم يجد شيئاً، أن يفترض ويستدرين.

واحرص على كتب الأمهات، الأصول، دون المؤلفات الحديثة لأن بعض المؤلفين حديثاً ليس عنده علم راسخ، ولهذا إذا قرأت كتاباً ما تجد أنه سطحي، قد ينقل الشيء بلفظه، وقد يحرفه إلى عبارة طويلة، لكنها غثاء.

فعليك بالأمهات، عليك بالأصل ككتب السلف، فإنها خير وأبرك بكثير من كتب الخلف.

(١) انظر: «روضة المحبين»: (ص ٦٨-٦٩ مهم)، و«مفتاح دار السعادة»: (ص ٨١) فيهما أخبار ظريفة، وحكايات طريفة.

الإمام أحمد والبخاري ومسلم. كذلك أيضاً كتب الفقه يُفرق بين القولين، الوجهين، الروايتين، والإحتمالين، كما يُعرف الناس من تتبع كتب الفقهاء. الروايتين عن الإمام، والوجهين عن أصحابه، لكن أصحاب المذهب الكبار أهل التوجيه، والإحتمالين للتعدد بين قولين: والقولين أعمُ من ذلك كله.

كذلك يحتاج أن تعرف إذا قال المؤلف: إجماعاً أو إذا قال: وفافقاً. إذا قال: إجماعاً يعني بين الأمة، وفافقاً مع الأئمة الثلاثة كما هو اصطلاح صاحب الفروع في فقه الحنابلة.

الثالث - معرفة أسلوبه وعباراته، ولهذا تجد أنك إذا قرأت الكتاب أول ما تلقى لاسيما من الكتب العلمية المملوقة علمًا، تجد أنك تمر بك العبارات تحتاج إلى تأمل وتفكير في معناها، لأنك لم تألفها فإذا كررت هذا الكتاب ألقته، وانظر مثلاً إلى كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، الإنسان الذي لا يتمرن على كتبه يصعب أن يفهمها لأول مرة، لكن إذا تمرن عرفها يسر وسهولة.

أما ما يتعلق بأمر خارجي عن التعامل مع الكتاب، وهو التعليق بالهامش أو بالخواشي، فهذا أيضاً مما يجب لطالب العلم أن يغتنمه، وإذا مرت به مسألة تحتاج إلى شرح أو دليل أو إلى تعليق ويخشى أن ينساها فإنه يعلقها، إما بالهامش «»، الذي على يمينه أو يساره وإما بالخاشية، وهي التي تكون بأسفل.

وكذلك أيضاً إذا كان الكتاب فيه فقه مذهب من المذاهب ورأيت أنه يخالف المذهب في حكم هذه المسألة، فإنه من المستحسن أن تقييد المذهب في الهامش أو الخاشية حتى تعرف أن الكتاب خرج عن المذهب، ولا سيما إذا كان المذهب أقوى مما ذهب إليه صاحب الكتاب.

١٠. كتب علماء الدعوة ومن جمعها «الدُّرُّ السُّنْنَة».

١١. العلامة الصنعتاني (م سنة ١١٨٢هـ) رحمه الله تعالى، لاسيما كتابه. النافع «سُبُّ السَّلَام».

١٢. العلامة صديق حسن خان القنوجي (م سنة ١٣٠٧هـ) رحمه الله تعالى.

١٣. العلامة محمد الأمين الشنقيطي (م سنة ١٣٩٣هـ) رحمه الله تعالى. لاسيما كتابه: «أضواء البيان».

هذا أيضاً منهم، أن يختار الإنسان في مكتبه الكتب الأصيلة القديمة، غالباً المتأخرین قليلة المعانی، كثیرة المباني، تقرأ صفحه كاملة يمكن أن تلخصها سطر أو سطرين مع التعریج والمطاب والتغزیات في بعض الكلمات التي لا تفهمها بعد افتراض، لكن كتب السلف تجدها سهلة لينة رصينة، لا تجد كلمة واحدة ليس لها معنی.

٥١. التعامل مع الكتاب:

لا تستند من كتاب حتى تعرف اصطلاح مُؤْلَفِهِ فيه، وكثيراً ما تكون المقدمة كاشفةً عن ذلك، فابدأ من الكتاب بقراءة مقدمة.

التعامل مع الكتاب يكون بأمور:

الأول - معرفة موضوعه، حتى يستفيد الإنسان منه لأنك يحتاج إلى التخصص.

الثاني - أن تعرف مصطلحاته، وهذا في الغالب يكون في المقدمة، لأن معرف المصطلحات يحصل بها في الواقع أنك تحفظ أوقات كثيرة، وهذا يفعله الناس في مقدمات الكتب، فشلًا نعرف أن صاحب بلوغ المرام إذا قال: متفق عليه، يعني روا البخاري ومسلم. لكن صاحب المتنى إذا قال: متفق عليه في الحديث يعني أنه روا

٣. النقط لِلمُعجم والإهمال لِلمُهمَل^(١).

٤. الشَّكْل لَا يُشْكَلُ.

٥. تثبيت علامات الترقيم في غير آية أو حديث^(٢).

لابد أن تكون عالماً، أخشع أن تقع في قول القائل: يريد أن يعربه فيعجمه، لابد أن تكون عالماً بال نحو، وإذا شكلت عليك الكلمة فأرجع إلى مظانها، إذا أشكل عليك تركيب الكلمة أو حر كاتها في تركيبها لا في إعرابها فارجع إلى كتب اللغة لأن هناك أخطاء شائعة بين الناس، مثلاً يقولون: تجربة وتجارب.

ثم ذكر قواعد إملائية يجب مراعاتها.

٥٢. ومنه:

إذا حُرْتَ كتاباً، فلا تُدْخِلُه في مكتبتك إلا بعد أن تَمُرَّ عليه جَرْداً، أو قراءةً لِقَدْمَتِه، وفهْرِسِهِ، ومواضِعِهِ، أمَّا إِنْ جَعَلْتَهُ مع فَنَّهُ في المكتبة، فَرَبِّما مَرَزَمَ وفَاتَ الْعُمُرُ دُونَ النَّظَرِ فِيهِ، وهذا مُجَرَّبٌ، وَاللَّهُ الْمُوْقَّعُ.

هذا صحيح ... وهو حاصل كثيراً، أكثر ما يكون في حال الإنسان إذا جاء كتاب جديد يتصفحه، أو إذا كان كثيراً يقرأ الفهرس.

قلَّ أَنْ تجِدْ شَخْصاً - مثلاً - أو مِرْبَكَ حَالَ مِنْ حِينْ يَأْتِيكَ الْكِتَابُ أَنْ تَقْرَأَهُ ،
هذا قليل.

وإنما قال الشيخ هذا، لأجل إن احتجت إلى مراجعته عرفت أنه يتضمن حكم الذي تريد، أما إذا لم تجرده مراجعة ولو مروراً فإنك لا تدري ما فيه من الفوائد والمسائل، فيفوتك شيء كثير موجود في هذا الكتاب الذي عندك في الرف.

٥٣. إعجم الكتابة:

إذا كَتَبْتَ فَاعْجَمَ الْكِتَابَ بِإِزَالَةِ عُجْمَتِهَا، وَذَلِكَ بِأَمْوَالِ
١. وُضُوحُ الْخَطِّ.

٢. رسمه على ضوء قواعد الرسم (الإملاء). وفي هذا مؤلفات كثيرة من أهمها: «كتاب الإملاء» لحسين والي^(١). «قواعد الإملاء» لعبد السلام محمد هارون^(٢). «المفرد العَلَم» للهاشمي، رحمهم الله تعالى^(٣).

(١) طبع ثم صور عام ١٤٠٥ هـ، بيروت/دار القلم.

(٢) طبع الحاخامي بمصر عام ١٣٩٩ هـ، الطبعة الرابعة.

(٣) الطبعة الثانية والعشرون، المكتبة البحارية الكبرى بمصر.

منذر أبو سعيد

الفصل السابع

الحادي

٥٤. حَلْمُ الْيَقَظَةِ :

إِيَّاكَ وَ(حَلْمُ الْيَقَظَةِ)، وَمِنْهُ بَأْنَ تَدْعِيَ الْعِلْمَ لَا لَمْ تَعْلَمْ، أَوْ إِتْقَانَ مَا لَمْ تُتَّقِنْ، إِنْ فَعَلْتَ؛ فَهُوَ حِجَابٌ كَثِيفٌ عَنِ الْعِلْمِ.

هذا صحيح . . . أحياناً بعض الناس يُرِيَ الحاضرين بأنه عالم مطلع ، فتجده إذا سُئِلَ . . . يُسْكِتَ قليلاً - كأنه يتأمل ويطلع على الأسرار ثم يرفع رأسه ويقول : هذه المسألة فيها قولان للعلماء !!

فلا تدعِي ولا تنصِب نفسك عالماً مفتياً وأنت لا علم عندك؛ لأن هذا من السفه بالعقل وضلال في الدين . ولهذا قال : «إِنْ فَعَلْتَ فَهُوَ حِجَابٌ كَثِيفٌ عَنِ الْعِلْمِ».

منذر أبو سعيد

٥٥. احْذِرْ أَنْ تَكُونَ «أَبَا شِيرَ»^(١) :

فَقَدْ قِيلَ: الْعِلْمُ ثَلَاثَةُ أَشْبَابٍ، مَنْ دَخَلَ فِي الشَّبَرِ الْأَوَّلِ، تَكْبِرُ، وَمَنْ دَخَلَ فِي الشَّبَرِ الثَّانِي، تَوَاضَعَ، وَمَنْ دَخَلَ فِي الشَّبَرِ الْثَالِثِ، عَلِمَ أَنَّهُ مَا يَعْلَمُ.

يتكبر لأنه ما عرف نفسه حقيقةً، والثاني تواضع، لكن يرى نفسه عالماً، والثالث يرى نفسه جاهلاً لا يعلم.

(١) تذكرة السامع والمتكلم: ص ٦٥ .

٥٧. التَّنَمُّرُ بِالْعِلْمِ:

احذر ما يتسلى به المفسرون من العلم، يراجع مسألة أو مسألتين، فإذا كان في مجلس فيه من يشار إليه، أثار البحث فيهما؛ ليظهر علمه! وكم في هذا من سوء، أقلها أن يعلم أن الناس يعلمون حقيقته.

وقد بيَّنتُ هذه مع أخواتِ لها في كتاب «التعاليم»، والحمد لله رب العالمين.

٢٥٤

يأتي الإنسان بمسألة من المسائل ويبحثها ويتحققها بأدتها ومناقشة العلماء، عالم يشار إليه بالبنان يقول: ماذا تقول أحسن الله إليك في كذا وكذا؟ قال: هذا حرام. قال كيف؟ بماذا نجيب على قول النبي ﷺ كذا وعن قول فلان بكذا ويجب بالأدلة التي لا يعرفها العالم؛ لأن العالم ليس ملماً بكل شيء، لكي يظهر نفسه أنه أعلم من هذا العالم، ولذلك تجد العوام يتحدثون: والله فلان البارحة جالس مع فلان - كبير من العلماء - وأفحمه في المسألة وصار كبير كبار العلماء.

وهذا واقع كثير من العلماء الآن وطلبة العلم، يكون له اختصاص معين كان يدرس باب النكاح مثلاً ويتحقق فيه. لكن لو تخرج به إلى باب البيع - الذي هو قبل باب النكاح في ترتيب الفقهاء - لن تجد عنده شيئاً، كثير من الناس الآن يتَّنَمُّرُ في علم الحديث، يقول روى فلان عن فلان وفيه انقطاع، وسبب انقطاعه كذا. ثم لو تَسْأَلَه عن آية من كتاب الله ما أجاب.

لكن هذه الأخيرة محمودة أم لا؟ لو رأيت نفسك جاهلاً فاعلم أنك لن تَقْدُم على عزم في الفتيا، ولذلك ترى بعض طلبة لا يعطيك جزماً يقول: الذي يظهر ... يتحمل ... إلخ.

مادام الله فتح عليك و كنت عالماً حقاً، فاعتبر نفسك عالماً .. اجزم بالمسألة، لا تجعل الإنسان السائل طريحاً الاحتمال، وإلا ما أُفْدَت الناس.

أما الإنسان الذي ليس عنده علم ومتمنٌ فهذا ينبغي أن يرى نفسه غير عالم.

٥٦. التَّصَدُّرُ قَبْلَ التَّأْهُلِ:

احذر التصدر قبل التأهل، فهو آفة في العلم والعمل. وقد قيل: من تصدر قبل أوانه، فقد تصدَّرَ لِهَاوَانِهِ.

هذا أيضاً ما يجب الحذر منه، أن يتصدر الإنسان قبل أن يكون أهل للتصدر؛ لأنه إذا فعل ذلك كان هذا دليلاً على أمور:

الأول - إعجابه بنفسه، حيث تصدر فهو يرى نفسه علم الأعلام.

الثاني - أن ذلك يدل على عدم فقهه ومعرفته بالأمور، وإذا الناس رأوه متتصدرًا، أوردوا عليه من المسائل ما يبين عواره.

الثالث - إنه إذا تصدر قبل أن يتأهل، لزمه أن يقول على الله ما لا يعلم، لأن غالب من كان هذا قصده الغالب أنه لا يبالي أن يحطم العلم تحطيمًا وأن يجيب عن كل ما سُئِلَ عنه.

الرابع - أن الإنسان إذا تصدر فإنه في الغالب لا يقبل الحق، لأنه يظن بسفهه أنه إذا خضع لغيره، وإن كان معه الحق كان هذا دليلاً على أنه ليس بأهل في العلم.

٥٨. تحبير الكاغد:

كما يكون الحذر من التأليف الخالي من الإبداع في مقاصد التأليف الشهانية^(١)، والذي نهايته «تحبير الكاغد»^(٢)، فالحذر من الاشتغال بالتصنيف قبل استكمال أدواته، وакتمال أهليتك، والنضوج على يد أشياخك، فإنك تسجل به عاراً، وتُبدي به شناراً.

أما الاشتغال بالتأليف النافع من قامت أهليته، واستكمال أدواته، وتعدد معارفه، وتمرّس به بحثاً، ومراجعة، ومطالعة، وجراً لطولاته، وحفظاً لمحضراته، واستدراكاً لمسائله، فهو من أفضل ما يقوم به النبلاء من الفضلاء، ولا تنس قول الخطيب: «من صنفَ فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس».

هذه الشروط التي ذكرها، الآن متعدرة. الآن تجد رسائل في مسألة معينة يكتبها أنس ليس لهم ذكر ولا معرفة، وإذا تأملت ما كتبوه وجدت أنه ليس صادراً عن علم راسخ، وأن كثيراً منه نقولات، وأحياناً ينسبون النقل إلى قائله، وأحياناً لا ينسبون، وعلى كل حال نحن لا نتكلّم عن النبات، فالنبات علمها عند الله عزّ وجلّ. لكن نقول: انتظر ... انتظر.

وإذا كان لديك علم وقدرة فاشرح هذه الكتب الموجودة شرحاً لأن بعض هذه الكتب لا يوجد فيه الدليل على وجه كامل.

(١) أول من ذكر ابن حزم في «نقط العروس»، وانظر تسلسل العلماء لذكرها في «إضافة الراموس»

(٢) مهـ ٢٨٨/٢

(٢) هو القرطاس: فارسي معرّب.

٥٩. موقفك من وهم من سبّك:

إذا ظفرت بوهم عالم، فلا تفرح به للحطّ منه، ولكن افرح به لتصحيح المسألة فقط؛ فإن المُنْصِف يكاد يجزم بـأنه ما من إمام إلاً وله أغلاط وأوهام، لاسيما المُكْثِرِينَ منهم.

وما يُشَغِّبُ بِهَذَا وَيُفْرِجُ بِهَذَا وَلِتَنْتَصُرُ، إِلَّا مَتَعَالِمٌ يُرِيدُ أَنْ يُطْبِّعَ كَامِا فَيُحِدِّثَ بِهِ جَدَامًا»^(١).

نعم؛ يُتبَه على خطأ أو وهم وقع لإمام غمراً في بحر علمه وفضله، لكن لا يُشِيرُ الرَّهَجُ عَلَيْهِ بِالْتَّنَقْصِ مِنْهُ، وَالْحَطَّ عَلَيْهِ فِي قَرْتَرِهِ مَنْ هُوَ مِثْلُه.

هذا أيضاً مهم جداً، وهو موقف الإنسان من وهم من سبّه أو من عاصره أيضاً. هذا الموقف له جهتان:

الجهة الأولى - التصحيح وهذا أمر واجب، ويجب على كل إنسان عذر على وهم إنسان - ولو كان من أكابر العلماء في عصره - أو فيمن سبّه - يجب عليه أن يتبّه على هذا الوهم وعلى هذا الخطأ، لأن بيان هذا الوهم أمر واجب، ولا يمكن أن يضيّع الحق لاحترام من قال بالباطل، لأن احترام الحق أولى من مراعاته.

لكن هل يُصرّح بذلك قائل الخطأ أو الوهم، أو يقول: توهّم بعض الناس وقال كذا وكذا؟ هذا ينظر إلى المصلحة. قد يكون من المصلحة ألا يصرّح، كما لو كان يتكلّم عن عالم مشهور في عصره، موثوق عند الناس محبوب إليهم. فيقول: قال فلان كذا وكذا خطأ، فإن العامة لا يقبلون منه شيئاً بل يسخرون به، ويقولون: من أنت حتى ترد على فلان، ولا يقبلون الحق. ففي هذه الحال يجب أن يقول: من الوهم أن يقول القائل كذا وكذا. ولا يقل: فلان.

تدفع اللوم عنه وأن تذهب عنه، لاسيما إذا كان من العلماء المشهود لهم بالعدالة والخير ونصح الأمة.

أما أن أفرح بها، فهذا لا ينبغي حتى وإن كان قصدي تصحيح الخطأ. ولهذا لو كانت العبارة «إذا خلفرت بوهم عالم فلا تفرح به للحط منه ولكن التمس العذر له وصحح الخطأ» هذا صواب العبارة.

ثم قال: «فإن المنصف يكاد يجزم بأنه ما من إمام إلا وله أغلاط وأوهام، ولا سيما المكثرين منهم». والأفضل أن يقول: «لا سيما المكثرون منهم».

يقول أن المنصف يعني الذي يتكلّم بالعدل ويتبّع أقوال العلماء يعلم أنه ما من عالم إلا وله أوهام وأخطاء، ولا سيما المكث الذي يكثر الكتابة والفتوى. ولهذا قال بعضهم: من كثّر كلامه، كثّر سقطه. ومن قل كلامه، قل سقطه.

ثم قال: «وما يُشَفِّبُ بهذا ويفرح به للتنقص، إلا متعالٌ» يريد أن يُطْبَّ زُكَاماً فيحدث
به حذاماً.

في الحقيقة لا يفرح به للتنقص إلا إنسان معتدي لا متعالي. معتدي ي يريد العدوان على الشخص نفسه، ويريد العدوان على العلم الصحيح، لأن الناس إذا وجدوا هذا العالم أخطأ في مسألة ضعف قوله، أو ضعفت قوته قوله عندهم حتى في المسائل الصحيحة.

وقد يكون هذا الرجل - الذي توهם - متابوعاً يتبعه شرذمة من الناس وليس له قدر في المجتمع، فحينئذ يصرح، لئلا لا يغتر الناس به، فيقول: قال فلان كذا وكذا وهو خطأ.

الجهة الثانية - في موقف الإنسان من وهم من سبقه أو من عاصره أن يقصد بذلك بيان معاييره لا إظهار الحق من الباطل.

وهذه إنما تقع من إنسان حاسد - والعياذ بالله - يتمنى أن يجد قولهً ضعيفاً أو خطأً لشخصٍ ما، فينشره بين الناس ولهذا نجد أهل البدع يتكلمون في شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله وينظرون إلى أقرب شيء يمكن أن يقبح به، فينشرونه ويعيّبونه، فيقولون: خالف الإجماع في أن الشلات طلقات واحدة، فيكون هذا شاداً. ومن شدّ في النار، يحكم بأن الإنسان إذا قال لامرأته أنت طالق، بأن يكفر كفارة يمين، مع أنه لم يتكلّم باليمين إطلاقاً، وإنما قال: إذا فعلت كذا فأنت طالق مثلاً.

يقول بأن الله تعالى لم يزل فعّالاً ولم يزل فاعلاً، وهذا يستلزم أن يكون مع الله قديم، لأن هذه المقولات الواقعية بفعل الله، إذا جعل فعل الله قديماً لم يزل، لزم أن تكون المفعولات قديمة، فيكون قد قال بوجود إلهين . . . وما أشبهها من هذه الكلمات التي يأخذونها زلة من زلاته يشيعونها بين الناس، مع أن الصواب معه. كن الحاسد الناقم - والعياذ بالله - له مقام آخر.

فَأَنْتَ فِي وَهْمٍ مِّنْ سَبِقَكَ يُجَبُ أَنْ يَكُونَ قَصْدُكُ الْحَقُّ، وَمَنْ كَانَ قَصْدُهُ الْحَقُّ
وَفُوقَ الْلَّقَبِ، أَمَا مَنْ كَانَ قَصْدُهُ أَنْ يَظْهَرَ عِيُوبُ النَّاسِ، فَإِنْ مَنْ تَبَعَ عُورَةَ أَخِيهِ،
تَبَعَ اللَّهُ عُورَتَهُ، وَمَنْ تَبَعَ اللَّهُ عُورَتَهُ فَضَحَّهُ وَلَوْ فِي بَيْتِ أَمِهِ.

ثم يقول: «إذا ظفرت بوهم عالم فلا تفرح به للحط منه، ولكن افرح به لتصحيح المسألة فقط». والحقيقة إني أقول: لا تفرح به إطلاقاً، إذا عثرت على وهم عالم فحاول أن

٦٠. دَفْعُ الشَّبَهَاتِ ^(١)

لَا تَجْعَلْ قَلْبَكَ كَالسُّفْنَجَةِ تَتَلَقَّى مَا يَرِدُ عَلَيْهَا، فَاجْتَنِبْ إِثَارَةَ الشَّبَهِ وَإِبْرَادَهَا عَلَى نَفْسِكَ أَوْ غَيْرِكَ، فَالشَّبَهُ حَطَافَةٌ، وَالْقُلُوبُ ضَعِيفَةٌ، وَأَكْثَرُ مَنْ يُلْقِيَهَا حَمَالَةً الْحَطَابَ، الْمُبَتَدِعَةُ، فَتَوَقَّهُمْ.

هذه الوصية أوصى بها شيخ الإسلام ابن تيمية تلميذه ابن القيم قال: «لا تجعل قلبك كالسفنجية يشرب ويقبل كل ما ورد عليه، ولكن اجعله زجاجة صافية تبين ما وراءها ولا تتأثر بما يرد عليها».

كثير من الناس يكون قلبه غير مستقر ويورد شبهات. وقد قال العلامة رحمهم الله قوله حفظها: «أَنَا لَوْ طَاَوْنَا الإِيَّارَادَاتِ الْعُقْلِيَّةَ مَا بَقِيَ عَلَيْنَا نَصٌ إِلَّا وَهُوَ مُحْتَلِمٌ مُشْتَبِهٌ، وَلَهُذَا كَانَ الصَّحَابَةُ حَشِيقَ يَأْخُذُونَ بِظَاهِرِ الْقُرْآنِ وَبِظَاهِرِ السُّنَّةِ، وَلَا يَوْرُدُونَ: وَلَوْ قَالَ قَائِلٌ».

نعم إن كان الإيّاراد قويّاً أو كان هذا الإيّاراد قد أورد من قبل فحيثند ببحث الإنسان، أما أن يجعل يفكّر إذا نام على فراشه **«إِنَّمَا الْأَعْمَالَ بِالنِّيَّاتِ»**، أفالاً يحتمل بالأعمال العبادات الأم: كالصلوة والزكاة والحج والصوم، والباقي لا نية له. يمكن، فيه احتمال عقلياً، ثم يبني على الاحتمال الذي أورده على نفسه احتمالات أخرى. وما أكثر هذا في بعض الناس، نجده دائمًا يورد إيرادات وهذا في الواقع ثلث عظيم في تلقي العلم.

اترك الإيّارادات وامش على الظاهر فهو الأصل، ولهذا اقرأوا الآن سير **النبي عليه السلام** وسيرة الصحابة والأحاديث تجدون المسألة على ظاهرها.

(١) «مفتاح دار السعادة»: (ص ١٥٣).

لَمَّا حَدَّثَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الصَّحَابَةَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزَلُ إِلَى السَّمَاءِ الْدُّنْيَا فِي الْثَّلَاثِ الْآخِيرِ.

قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَنْزَلُ؟ وَهُوَ السَّمَاءُ تِسْعَهُ؟ وَهُوَ يَخْلُو مِنَ الْعَرْشِ؟ هُوَ قَالُوا هَكَذَا؟ أَبَدًا.

لَمَّا حَدَّثُهُمْ أَنَّ الْمَوْتَ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى صُورَةِ كَبِشٍ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خَلُودٌ بِلَا مَوْتٍ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خَلُودٌ بِلَا مَوْتٍ، ثُمَّ يَذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

قالوا: كَيْفَ يَكُونُ الْمَوْتُ كَبِشًا؟ مَا قَالُوا هَذَا !!

لَذِكْرِ أَنْصَحُ نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ أَلَا تُورَدُوا هَذَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، لَأَسِيمَا فِي أَمْرِ الْغَيْبِ الْمُحْضَةِ، لَأَنَّ الْعُقْلَ بِحَارِ فِيهَا، مَا يَدْرِكُهَا، فَدَعَهَا عَلَى ظَاهِرِهَا وَلَا تَتَكَلَّمُ فِيهَا. قَلْ سَمِعْنَا وَآمَنْنَا وَصَدَقْنَا، وَمَا وَرَأْنَا أَعْظَمُ مَا نَتَخَيلُ. فَهَذَا مَا يَنْبَغِي لِعَلَيْهِ الْعِلْمَ أَنْ يَسْلُكَهُ.

٦١. احْتِرِ الْلَّهُنَّ:

ابْتَعَدْ عَنِ الْلَّهُنْ فِي الْأَفْظُرِ وَالْكَتْبِ، فَإِنَّ عَدَمَ الْلَّهُنْ جَلَالَهُ، وَصِفَاتُهُ ذُوقٌ، وَوَقْوَفٌ عَلَى مِلَاحِ الْمَعْانِي لِسَلَامَةِ الْمَبْانِيِّ: فَعِنْ عُمَرَ ^(١) أَنَّهُ قَالَ: «تَعْلَمُوا الْعَرَبِيَّةَ، فَإِنَّهَا تَزِيدُ فِي الْمَرْوِعَةِ» ^(٢). وَقَدْ وَرَدَ عَنْ جَمَاعَةِ مِنَ السَّلَفِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَضْرِيُونَ أَوْلَادَهُمْ عَلَى الْلَّهُنْ ^(٣). وَأَسَنَدَ الْخَطَبَيْ ^(٤) عَنِ الرَّحْبَيْ قَالَ: «سَمِعْتُ

(١) «الجامع» للخطيب: (٢٥/٢).

(٢) «الجامع» للخطيب: (٢٩، ٢٨/٢).

(٣) «الجامع» للخطيب: (٢٨/٢).

منذر أبو سعید

٢١٦

منذر أبو سعید

(٢) بعض العلماء تعقیب على ما أنسد المبرد من أن أجل العلوم علم التوحید، لكن الحال هنا نسبة إلى علوم الآلة. والله أعلم.

(١) «الجامع» للخطيب: (٢٨/٢).

بعض أصحابنا يقول: إذا كتب لحأن، فكتب عن اللحأن لحأن آخر، صار الحديث بالفارسية^(١) وأنشد المبرد.

النَّحْوُ يَبْسُطُ مِنْ لِسَانِ الْأَلْكَنْ ۖ وَالرَّءُ تَكْرُمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنْ
فَإِذَا أَرَدْتَ مِنَ الْعِلُومِ أَجَلَهَا ۖ فَأَجَلَهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَلْسُنِ^(٢)
وعليه، فلا تحفل بقول القاسم بن مخيمرة. رحمه الله تعالى: «تعلم النحو: أوله شغل، وأخره بغي».

ولا بقول بشر الحافي. رحمه الله تعالى: «لما قيل له: تعلم النحو قال: أضل.
قال: قل ضرب زيد عمرًا. قال بشر: يا أخي! لم ضربه؟ قال: يا أبا نصرا! ما ضربه وإنما هذا أصلٌ وضُعْفٌ. فقال بشر: هذا أوله كذبٌ، لا حاجة لي فيه». رواهما الخطيب في «اقتضاء العلم العمل».

اللحن معناه: الميل سواء كان في قواعد التصريف أو في قواعد الإعراب. قواعد الإعراب يمكن الإحاطة بها، فيعرف الإنسان القواعد ويطبق لفظه أو كتابته عليها. قواعد التصريف هي المشكلة، أحياناً يأتي الميزان الصافي على غير قياس، يأتي سمعياً بحثاً، وحيثند لا يخلو إنسان في الغلط فيه.

عندك جموع التكسير، تحتاج إلى ضبط. عندك أبنية المصادر تحتاج إلى ضبط، ومع هذا لو ضبطها سوف تجد شاداً كثيراً عنها، ولكن نقول: سدد وقارب. فعليك بأن تعدل لسانك وأن تعدل بنانك، وأن لا تكتب إلا بعربية، ولا تنطق إلا بعربية،

منذر أبو سعید

٢١٧

فإن عدم اللحن جلالة وصفاءً لون ووقف على ملامع المعاني لسلامة المبني. كلما سلم المبني اتضحت المعنى.

وعن عمر بن الخطاب قال: «تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة». هذه يقولها في عهده، يأمر بتعلم العربية خوفاً من أن تتغير بلسان الأعاجم بعد الفتوحات.

لكن مع الأسف أننا في هذا الزمن - الذي ليس لنا شخصية وصرنا أذياً وأتباعاً لغيرنا - صار منا من يرى أن من تكلم بالإنجليزية أو بالفرنسية هو ذو مروءة ، ويفخر إذا كان يعرف الإنجليزية أو الفرنسية، بل إن بعضنا يعلم أولاده اللغة غير العربية. بعض الصبيان يأتي يقول مع السلام، فيقول: باي باي.

في الهاتف يقول: آلو. لماذا لم تقل: السلام عليكم، لأنك الآن تستاذن، فهذه أشياء - مع الأسف - لما كنا ليس لنا شخصية، ويجب أن يكون لنا شخصية، لأننا والحمد لله أهل دين وشريعة، لكن صار بعضنا أذياً.

عمر يقول: «تعلموا العربية فإنها تزيدكم مروءة»، وبناءً على ذلك: كلما كان الإنسان أعلم بالعربية صار أكبر مروءة وأكثر.

قال: «وقد ورد عن جماعة من السلف أنهم كانوا يضربون أولادهم على اللحن، واللحن قليل في ذلك الوقت، ومع ذلك يضربونهم عليه. عندها الآن لا أحد يضرب على اللحن لا أولاده ولا تلاميذه ولا غيره، على الأقل بالنسبة للتلاميذ إذا أخطأوا الإنسان في العربية فرداً عليه حتى لا يكون أخطأ، وظن أن سكوتكم يدل على صحة ما نطق به.

الأديرين، وغير الأديرين، أفكار دخيلة في الواقع منها ما يتعلق بالمعاملات، ومنها ما يتعلق بالعبادات، ومنها ما يتعلق بالأنكحة، حتى أن بعض الكتاب ينكر تعدد النساء الذي ذهب كثير من العلماء إلى أن التعدد أفضل من الإفراد، وهو ينكر التعدد ويقول هذا في زمن ولّى وراح، ولم يدر أن التعدد في هذا الزمن أشد إلحاداً منه فيما سبق لكتلة النساء وكثرة الفتن واحتياج النساء إلى ما يحسن فروجهن. كذلك أيضاً من بعض الأفكار ما يتعلق بالخلافة والإمامية، كيف كان أبو بكر يُسَايِع له دون أن يستشار الناس كلهم، حتى العجوز والطفل . . . وما أشبه ذلك.

٦٤. أحذِّر الجَدَلَ الْبِيْزَنْطِيِّ^(١) :

أي الجَدَلِ العَقِيمِ، أو الضَّئِيلِ، فقد كان الْبِيْزَنْطِيُّونَ يَتَحَاوَرُونَ فِي جِنْسِ الْمَلَائِكَةِ وَالْعَدُوِّ عَلَى أَبْوَابِ بَلْدَتِهِمْ حَتَّى دَاهِمُهُمْ. وَهَذَا الجَدَلُ الضَّئِيلُ يَصْدُأُ عَنِ السَّبِيلِ.

وَهَذِي السَّلَفُ: الْكُفُّ عن كثرةِ الْخَصَامِ وَالْجُدَالِ، وَانَّ التَّوْسُعَ فِيهِ مِنْ قَلْةِ الْوَرَعِ، كَمَا قَالَ الْحَسَنُ، إِذْ سَمِعَ قَوْمًا يَتَجَادِلُونَ. هُؤُلَاءِ مُلُوِّنُ الْعِبَادَةِ، وَخَفِّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ، وَقَلَّ وَرَعُهُمْ، فَتَكَلَّمُوا». رواهُ أَحْمَدُ فِي «الْزُّهْدِ»، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ»^(٢).

وَهَذَا مِنْهُمْ، الْحَذَرُ مِنَ الْجَدَلِ الْبِيْزَنْطِيِّ، وَهُوَ الْجَدَلُ العَقِيمُ، الَّذِي لَا فَائِدَةَ مِنْهُ، أَوَّلَ الْجَدَلِ الَّذِي يُؤْدِي إِلَى التَّنْطُعِ فِي الْمَسَائِلِ وَالتَّعْقِفِ فِيهَا بِدُونِ أَنْ يَكْلُفَنَا اللَّهُ ذَلِكَ، فَدَعْ هَذَا الْجَدَلَ وَاتَّرَكْهُ، لَأَنَّهُ لَا يَزِيدُكَ إِلَّا قَسْوَةً فِي الْقَلْبِ وَكَرَاهَةَ لِلْحَقِّ، إِذَا كَانَ مَعَ خَصْمَكَ وَغَلِبَكَ فِيهِ، فَلَهُذَا دَعْ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الْجَدَلِ.

منذر أبو سعيد

(١) «معجم المأكib»: (ص ٢٨٠).

(٢) وَذَكَرَهُ الْحَافِظُ أَبْنُ رَجَبٍ فِي «فَضْلِ عِلْمِ الْسَّلْفِ عَلَى الْخَلْفِ».

٦٢. الإِجْهَاضُ الْفِكْرِيُّ:

احذِّرُ (الْإِجْهَاضُ الْفِكْرِيُّ)، بِإِخْرَاجِ الْفِكْرَةِ قَبْلَ نُضُوجِهَا.

هَذَا بَعْنَى مَا سَبَقَ، أَنْكَ لَا تَتَعَجَّلُ فِيمَا يَتَبَيَّنُ لَكَ شَيْئًا تَخْرِجُهُ، لَاسِمًا إِذَا كَانَ هَذَا الشَّيْءُ الَّذِي أَنْتَ تَرِيدُ أَنْ تَخْرِجَهُ مَخَالِفًا لِقَوْلِ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ أَوْ مَخَالِفًا لِمَا تَقْتَضِيهِ الْأَدَلَّةِ الْأُخْرَى الصَّحِيحَةِ، لَأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَمْشِي مَعَ بُنُيَّاتِ الْطَّرِيقِ، فَتَجِدُهُ إِذَا مَرَّ بِحَدِيثٍ - وَلَوْ كَانَ ضَعِيفًا شَادًا - أَخْذَ بِهِ، ثُمَّ قَامَ يَتَكَلَّمُ بِهِ فِي النَّاسِ، فَيَظْنُنَ النَّاسَ لَهُذَا أَنَّهُ أَدْرَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَدْرِكْهُ غَيْرُهُ. فَنَقُولُ الَّذِي يَبْيَنُ وَيَبْيَنُ اللَّهُ: إِذَا رَأَيْتَ حَدِيثًا يَدُلُّ عَلَى حَكْمٍ تَعَارِضُهُ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي هِيَ عَمَادُ الْأُمَّةِ، وَالَّتِي تَلَقَّاهَا الْأُمَّةُ بِالْقَبُولِ فَلَا تَتَعَجَّبُ، وَكَذَلِكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عَلَى حَكْمٍ خَالِفِ الْجَمْهُورِ، فَلَا تَتَعَجَّبُ. لَكِنَّ إِذَا تَبَيَّنَ لَكَ الْحَقُّ فَلَا يَبْدِي مِنَ الْقَوْلِ بِهِ.

٦٣. إِسْرَائِيلِيَّاتُ الْجَدِيدَةُ^(١) :

احذِّرُ إِسْرَائِيلِيَّاتُ الْجَدِيدَةِ فِي نَفَّاثَاتِ الْمُسْتَشْرِقِينَ، مِنْ يَهُودٍ وَنَصَارَى، فَهِيَ أَشَدُّ نَكَايَاً وَأَعْظَمُ خَطَرًا مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الْقَدِيمَةِ، فَإِنَّ هَذِهِ قَدْ وَضَحَّ أَمْرُهَا بِبَيَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَوْقَفِ مِنْهَا، وَنَشَرَ الْعُلَمَاءِ الْقَوْلَ فِيهَا، أَمَّا الْجَدِيدَةُ الْمُتَسَرِّيَّةُ إِلَى الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ، فِي أَعْقَابِ الْثُورِيَّةِ الْحَضَارِيَّةِ، وَاتِّصَالِ الْعَالَمِ بِعَضِّهِ بِبَعْضٍ، وَكَبْحِ الْمَدِّ الْإِسْلَامِيِّ، فَهِيَ شَرٌّ مَرْحُضٌ، وَبِلَاءٌ مُتَنَلَّقٌ، وَقَدْ أَخْدَنَتْ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ عَنْهَا سِنَّةً، وَخَفَضَ الْجَنَاحَ لِهَا آخَرَوْنَ، فَاحذِّرُ أَنْ تَقْعُدَ فِيهَا، وَقَى اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ شَرَّهَا.

يُرِيدُ بِهَذَا الْأَفْكَارِ الدُّخِيلَةِ الَّتِي دَخَلَتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِوَاسِطَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَهِيَ لَيْسَ إِسْرَائِيلِيَّاتٍ إِخْبَارِيَّة، بَلْ إِسْرَائِيلِيَّاتٍ فَكِيرَيَّةٍ دَخَلَتْ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْكِتَابِ

(١) «مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارها» لعلال الفاسي: (صفحة ب)

منذر أبو سعيد

٦٥. لا طائفية ولا حزبية يعقد الولاء والبراء عليها^(١)

أهْلُ الْإِسْلَامِ لَيْسُ لَهُمْ سِيمَةٌ سُوِّيَ الْإِسْلَامُ وَالسَّلَامُ: فِيَا طَالَبَ الْعِلْمَ
بَارَكَ اللَّهُ فِيهِكَ وَفِي عِلْمِكَ، اطْلُبْ الْعِلْمَ، وَاطْلُبْ الْعَمَلَ، وَادْعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ.

ولا تكون خراجاً ولا جماعاً في الجماعات، فتخرج من السعة إلى القوال
الضيق، فالإسلام كله لك جادة ومنهج، والمسلمون جميعهم هم الجماعة، وإن
يد الله مع الجماعة، فلا طائفية ولا حزبية في الإسلام. وأعيذك بالله أن
تتصدع، فت تكون نهابة بين الفرق، والطوائف، والمذاهب الباطلة، والاحزاب
الغالبة، تعقد سلطان الولاء والبراء عليها.

فَكُنْ طَالِبٌ عَلَى الْجَادَةِ، تَقْفُوا الْأَكْرَرَ، وَتَتَبَعُ الْسُّنْنَ، تَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى
بَصِيرَةٍ عَارِفًا لِأَهْلِ الْفَضْلِ فَهُنْ لَهُمْ وَسَابِقَتْهُمْ. وَإِنَّ الْحَزِيبَةَ^(٢) ذَاتَ الْمَسَارَاتِ
وَالْقَوَالِبِ الْمُسْتَحْدَثَةِ الَّتِي لَمْ يَعْهُدْهَا السَّلْفُ مِنْ أَعْظَمِ الْعَوَائِقِ عَنِ الْعِلْمِ،
وَالْتَّفَرِيقِ عَنِ الْجَمَاعَةِ، فَكُمْ أَوْهَنْتُ حَبْلَ الْاِتْهَادِ الْإِسْلَامِيِّ، وَغَشَّيْتُ الْمُسْلِمِينَ
بِسَبِبِهَا الْغَوَاشِيِّ. فَاحْذَرْ رَحْمَكَ اللَّهُ أَحْزَابًا وَطَوَافِ طَافَ طَافِهَا، وَنَجْمَ
بِالشَّرِّ نَاجِمُهَا، فَمَا هِي إِلَّا كَالْمِيَازِيبُ، تَجْمَعُ الْمَاءَ كَدَرًا، وَتُقْرَفُهُ هَدَرًا، إِلَّا مَنْ رَحْمَهُ
رِبُّكَ، فَصَارَ عَلَى مِثْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(١) انظر: «فتاوی شیخ الاسلام ابن تیمیة» (٣٤٤-٣٤١/٣)، (٤١٦-٤١٥)، (٤١٩) فهو مُهْمٌ، و (٤٦، ٤٤)، (١٥٤) مُهْمٌ أيضًا، و (١١/٥١٢)، (٥١٤)، (٥١٥)، (٣٤٢-٤١٦/٣)، (٤٢١) فهرسها و (٣٦/١٧٩).

(٢) وفي «حكم الانتقام» لراقيمه فواد و زوايد.

أما الجدل الحقيقي الذي يقصد به الوصول إلى الحق، ويكون جدل مبني على السماحة، وعدم التنطع. فهذا أمر مأمور به. قال الله تعالى: ﴿إِذْ أَنْهَىٰ رَبَّكَ الْحُكْمَةَ وَالْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ وَجَادَلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل: ١٢٥).

ثم ذكر المؤلف - وفقه الله - مثلاً للجدل العقيم: جنس الملائكة ما هم؟ يجادل هؤلاء المتكلمون: جنسهم من كذا، وجنسيهم من كذا.

ونحن نعلم أنهم خلقوا من نور وأنهم أجسام وأنهم لهم أجنحة وأنهم يصعدون وينزلون إلى آخر ما ذكره الله في الكتاب أو ما ذكره الرسول ﷺ في السنة من أوصافهم، ولا تتعذر في أمور الغيب غير ما بلغنا، ولا نسأل: كيف ولم؟ لأن هذا أمر فوق العقل، وأيضاً سمعنا قصة مماثلة، كان العدو على أبواب المدينة، وكان الناس يتجادلون: أيها خلق أولاً: الدجاجة أم البيضة.

ومن ذلك أيضاً، ما ابلي به أهل الكلام فيما يتعلق بالعقيدة وصاروا يتبعون
ويقولون مثلاً، كلام الله هل هو صفة فعلية أم ذاتية، وهل هو حادث أو قديم وما
شبه ذلك. من الكلام، وهل نزول الله إلى السماء الدنيا حقيقة أو مجاز وهل أصابعه
حقيقة أم مجاز، وكم أصابعه وما أشبه ذلك. والله يا أخوة إن هذا البحث يقتضي
قلب ويترع الهيبة - هيبة الله عزَّ وجلَّ - وتعظيمه وإجلاله من القلب.

إن كان الإنسان يريد أن يتكلّم عن صفات الله كأنه يشرح جثة ميت !!
سبحان الله !! الناس قبل أن يدخلوا في هذا الأمر تجدتهم إذا ذكر الله اقشعر جلده
من هيبة الله وعظمته .

كل هذا البحث فيه عقيم، كن كما كان الصحابة رضي الله عنهم لا يسألون عن مثل هذه الأمور، لأنهم إذا سألوا وبحثوا ونقبو، فإن الضريبة هي قسوة القلب، مؤكدة. لكن إذا بقى الرب عز وجل محل الإجلال والتعظيم في قلبك، وعدم البحث في هذه الأمور صار هذا أجل وأعظم، فاستمسك به فهذا إن شاء الله هو الحق.

منذر أبو سعيد

ثم قال: قوله: «أولئك ذخائر الله حيث كانوا» ذخائر الملك: ما يُخْبَأ عنده،
ويَذْخُرُهُ لِهُمَاةٍ، ولا يَبْذُلُهُ لِكُلِّ أَحَدٍ، وكُلُّ ذَخِيرَةٍ لِرَجُلٍ: ما يَذْخُرُهُ لِهِوَاجِهٍ
وَمِمَّا تَهْمَمُهُ. وَهُؤُلَاءِ لَمَّا كَانُوا مُسْتَوْرِينَ عَنِ النَّاسِ بِأَسْبَابِهِمْ، غَيْرُ مُشَارٍ إِلَيْهِمْ، وَلَا
مُتَمَيِّزُونَ بِرَسْمِ دُونِ النَّاسِ، وَلَا مُنْتَسِبُونَ إِلَى اسْمٍ طَرِيقٍ أَوْ مَذْهَبٍ أَوْ شِيَخٍ أَوْ
زَيِّ، كَانُوا بِمَنْزِلَةِ الذَّخَائِرِ الْمُخْبُوَةِ.

وهو لاءُ أبْعَدُ الْخَلْقَ عَنِ الْأَفَاتِ، فَإِنَّ الْأَفَاتَ كُلُّهَا تَحْتَ الرُّسُومِ وَالْتَّقْيِدِ بِهَا،
وَلَزُومُ الْطَّرْقِ الْأَصْطَلَاحِيَّةِ وَالْأَوْضَاعِ الْمُتَدَاوِلَةِ الْحَادِثَةِ. هَذِهِ هِيَ الَّتِي قَطَعَتْ
أَكْثَرَ الْخَلْقِ عَنِ اللَّهِ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. وَالْعَجَبُ أَنَّ أَهْلَهَا هُمُ الْمَعْرُوفُونَ بِالْطَّلْبِ
وَالْإِرَادَةِ، وَالسَّيْرِ إِلَى اللَّهِ، وَهُمْ إِلَّا الْوَاحِدُ بَعْدَ الْوَاحِدِ. الْمَقْطُوْعُونُ عَنِ اللَّهِ يَتَلَاقُ
الرُّسُومُ وَالْقِيُودُ. وَقَدْ سُئِلَ بَعْضُ الْأَئِمَّةِ عَنِ السُّنْنَةِ فَقَالَ: مَا لَا اسْمَ لَهُ سُوْى
السُّنْنَةِ؟ بَعْنَ: أَنَّ أَهْلَ السُّنْنَةِ لَمْ يُنْسَبُونَ إِلَيْهِ سُوْاها.

فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَقَيَّدُ بِلِبَاسِهِ غَيْرَهُ، أَوْ بِالْجَلْوَسِ فِي مَكَانٍ لَا يَجِدُ فِي
غَيْرِهِ، أَوْ مَشِيَّةٍ لَا يَمْشِي غَيْرَهَا، أَوْ بِزِيِّ وَهِيَّةٍ لَا يَخْرُجُ عَنْهُمَا، أَوْ عِبَادَةٍ مُعِينَةٍ
لَا يَتَعَبُدُ بِغَيْرِهَا إِنْ كَانَتْ أَعْلَى مِنْهَا، أَوْ شِيَخٍ مُعِينَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهِ إِنْ كَانَ
أَقْبَالَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْهُ.

فَهُؤُلَاءِ كُلُّهُمْ مَحْجُوبُونَ عَنِ الظَّفَرِ بِالْمُطْلُوبِ الْأَعُلَى، مَصْدُودُونَ عَنْهُ، لَدْ
قَيْدُهُمُ الْعَوَادُ وَالرَّسُومُ، وَالْأَوْضَاعُ، وَالاِصْطِلَاحَاتُ عَنْ تَجْرِيدِ الْمُتَابِعَةِ،
فَأَضْحَوْهُمْ بِمَعْزِلٍ، وَمَنْزَلَتْهُمْ مِنْهَا أَبْعَدُ مِنْزِلٍ، فَتَرَى أَحَدُهُمْ يَتَعَبَّدُ
بِالرِّياضَةِ، وَالخَلْوَةِ، وَتَفْرِيغِ الْقَلْبِ، وَيَعْدُ الْعِلْمَ قَاطِعًا لَهُ عَنِ الْطَّرِيقِ، فَإِذَا ذُكِرَ
لَهُ الْمَوَالَةُ فِي اللَّهِ، وَالْمَعَادَةُ فِيهِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهِيُّ عَنِ الْمُنْكَرِ، عَدَ ذَلِكَ
فُضْلًا وَشَرًا، وَإِذَا رَأَوْا بَيْنَهُمْ مَنْ يَقُولُ بِذَلِكَ، أَخْرَجُوهُ مِنْ بَيْنِهِمْ، وَعَدُوهُ غَيْرًا
عَلَيْهِمْ، فَهُؤُلَاءِ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانُوا أَكْثَرُ إِشَارَةً، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، أَهٌ.

قال ابن القييم - رحمه الله تعالى - عند علامة أهل العبودية^(١) : (العلامة الثانية: قوله: «ولم ينسبوا إلى اسم»، أي: لم يشتهروا باسم يعرفون به عند الناس من الأسماء التي صارت أعلاماً لأهل الطريق. وأيضاً، فإنهم لم يتقيدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه، فيعرفون به دون غيره من الأعمال، فإن هذا آفة في العبودية، وهي عبودية مقيدة).

وَأَمَّا الْعَبُودِيَّةُ الْمُطْلَقَةُ، فَلَا يُعْرَفُ صَاحِبُهَا بِاسْمٍ مُعَيْنٍ مِنْ مَعَانِي أَسْمَائِهَا،
إِنَّهُ مُجِيبٌ لِدَاعِيهَا عَلَى اختِلَافِ أَنْوَاعِهَا، فَلَهُ مَعْ كُلِّ أَهْلِ عَبُودِيَّةٍ نَصِيبٌ
يَضْرِبُ مَعْهُمْ بِسَهْمٍ، فَلَا يَتَقْيَّدُ بِرَسْمٍ وَلَا إِشَارَةً، وَلَا اسْمٍ وَلَا بِرْزِيٍّ، وَلَا طَرِيقٍ
وَضْعِيٍّ اصْطِلَاحِيٍّ، بَلْ إِنْ سُئَلَ عَنْ شِيْخِهِ؟ قَالَ: الرَّسُولُ. وَعَنْ طَرِيقِهِ؟ قَالَ:
الْإِتْبَاعُ. وَعَنْ خَرْقَتِهِ؟ قَالَ: لِبَاسُ التَّقْوَى. وَعَنْ مَذَهِبِهِ؟ قَالَ: تَحْكِيمُ السُّنَّةِ.
وَعَنْ مَقْصِدِهِ وَمَطْلُبِهِ؟ قَالَ: **﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾**. وَعَنْ رِيَاطِهِ وَعَنْ خَانِكَاهِ؟ قَالَ:
﴿فِي بُيُوتٍ أَذْنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرُ فِيهَا اسْمَهُ يَسْبِحُ لَهُ فِيهَا بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾
رَجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيَّادِ الزَّكَةِ﴾ (سَيِّدَةُ
الْمُرْسَلِينَ) (٣٦)

النور: ٣٦-٣٧). وعن نَسِيْهِ قَالَ:

أبي الإسلام لا أب لي سواه ﴿إِذَا افْتَحُرُوا بِقِيسٍ أَوْ تَمِيمٍ﴾
وعن مأكله ومشريه ﴿قال: «مالك ولها معها حداوها وسقاوها، ترد الماء
وترعى الشجر، حتى تلقى ربها».

وَاحْسِنْتَاهُ تَقْضَى الْعُمُرُ وَانْصَرَمَتْ
سَاعَاتُهُ بَيْنَ ذُلُّ الْعَجْزِ وَالْكَسْلِ

وَالْقَوْمُ قَدْ أَخْذَلُوا دُرْبَ النَّجَاهَةِ وَقَدْ
سَارُوا إِلَى الْمُطْلَبِ الْأَعْلَى عَلَى مَهْلَلِ

يقول الشيخ: «أهل الإسلام ليس لهم سمة سوى الإسلام والسلام» صحيح **«هُوَ سَمَّاًكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ»** (سورة الحج: ٧٨). كلنا مسلمون، وهذه سمة المسلم وعلامته: مسلماً لله، مستسلماً له، قائماً بأمره تابعاً لرسوله. هذا هو سمة المسلم.

فيما طالب العلم بارك الله فيك وفي علمك اطلب العلم واطلب العمل، لا تكن مثل بعض الناس، ليس إلا كتب مجموعة، يحفظ كثيراً ويفهم كثيراً، لكنه يعمل قليلاً. فهذا لا يُنتج.

كن طالباً للعلم عاملأً به، داعياً إلى الحق. ثلاثة أشياء: صدق الطلب، العمل به، الدعوة. لا بد من هذا، أما مجرد أن تحشر العلوم ولا يتفع الناس بعلمك، فهذا نقص كبير.

وادع إلى الله على طريقة السلف. وما هي طريقة السلف في الدعوة إلى الله؟ هي التي أرشدهم الله إليها بقوله: **«ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُرْعَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»** (سورة النحل: ١٢٥). لين في موضع اللين، وشدة في موضع الشدة.

قال: «ولا تكن خراجاً ولا جاً في الجماعات، فتخرج من السعة إلى القوالب الضيقة، فالإسلام كله لك جادةً ومنهج».

يقول: إن بعض الناس يكون ولا جاً خراجاً، بينما تجده منضماً إلى قوم أو فئة، اليوم تجده خارجاً منها ووابجاً في جهة أخرى، وهذا مضيعة للوقت، ودليل على أن الإنسان ليس له قاعدة يبني عليها حياته.

يقول: «الMuslimون جميعهم هم الجماعة، وإن يد الله مع الجماعة، فلا طائفية ولا حزبية في الإسلام». بل يجب أن تكون أمة واحدة، وإن اختلفنا في الرأي، أما أن تكون أحزاباً: هذا إخواني - يعني من الإخوان المسلمين - وهذا سلفي، وهذا تبليغي.

هذا فصل مهم، وهو تخلي طالب العلم عن الطائفية والحزبية، بحيث يعقد الولاء والبراء على طائفية معينة أو على حزب معين، فإن هذا لا شك خلاف منهج السلف، السلف الصالح ليس عندهم حزبية كلهم حزب واحد، كلهم ينضمون تحت قول الله تعالى: **«هُوَ سَمَّاًكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ»** (سورة الحج: ٧٨).

فلا حزبية ولا تعدد ولا موالاة ولا معاداة إلا على حسب ما جاء في الكتاب والسنة.

فمن الناس مثلاً من يتحزب إلى طائفية معينة، يقرر منهجهها ويستدل عليه بالأدلة التي قد تكون دليلاً عليه، وقد تكون دليلاً له ويحامي دونه، ويضلّل من سواه حتى ولو كانوا أقرب إلى الحق منها ويأخذ بمبدأ: من ليس معه على.

وهذا مبدأ خبيث، يعني بعض الناس يقول: إذا لم تكن معى فأنت على، هناك وسط بين أن يكون لك أو عليك، وإذا كان عليك في الحق فليكن عليك فإنه في الحقيقة معك، لأن النبي ﷺ قال: **«اْنْصُرْ اَخَاكَ ظَلَّمَأْوَ مُظْلَومَأْ»**^(١). ونصر الظالم أن تمنعه من الظلم، فلا حزبية في الإسلام. ولذلك لما ظهرت الأحزاب في المسلمين تنوعت الطرق وتفرقت الأمة، وصار بعضهم يضلّل بعضاً ويأكل لحم أخيه ميتاً، فالواجب عدم ذلك.

الآن مثلاً يكون بعض الناس طالب علم عند شيخ من المشايخ، ينتصر لهذا الشيخ بالحق وبالباطل. وما في سواه يضلّله ويدعوه ويرى أنه - شيخه - العالم المصلح، ومن سواه إما جاهل وإما مفسد، وهذا غلط كبير، خذ الحق من أي إنسان، وإذا استرورت نفسك لشخص من الناس فالزرم مجلسه، لكن لا يعني ذلك أن تكون معه على الحق والباطل، وأن تضلّل من سواه وتزدريهما أو ما أشبه ذلك فإن هذا غلط.

(١) أخرجه البخاري (٦٩٥٢) كتاب الإكراه/باب يمين الرجل لصاحبه.

صائماً إلا وجدته صائماً ولا مفطراً إلا وجدته مفطراً، ولا قائماً إلا وجدته قائماً. يتبع المصلحة، أحياناً يترك الأشياء التي يحبها من أجل مصلحة الناس، فإذاك أن تكون قاصراً على عبادة معينة، بحيث لا تترد عنها.

قال: «فإنه محبب لدعائها على اختلاف أنواعها»، فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم، فلا يتقييد برسم ولا إشارة، ولا اسم ولا بزيٌّ، ولا طريق وضعني اصطلاحي، بل إن سُلْ عن شيخه؟ قال: الرسول. وعن طريقه؟ قال: الاتباع. وعن خرقته؟ قال: لباسُ التقوى. وعن مذهبِه؟ قال: تحكيم السنة. وعن مقتضيه ومطلبِه؟ قال: **يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**. وعن رباطة وعن خانكاه؟ قال: **فِي بُيُوتِ** أَذْنَ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يَسْبَحَ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٢٧-٣٦) رِجَالٌ لَا تُلَهِّيهِمْ تجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيَّاتِ الرُّكَّاةِ (سورة النور: ٣٦-٣٧). وعن نسبةِه؟ قال:

أَبِي الإِسْلَامِ لَا أَبِ لَيْ سَوَاهُ ۖ إِذَا افْتَخَرُوا بِقِيسِ أَوْتَمِيمِ

وعن مأكله ومشربه؟ قال: «مالك ولها؟ معها حداوها وسقاوها، ترد الماء، وترعى الشجر، حتى تلقى ربه».

هذه قالها النبي ﷺ في ضالة الإبل، لما سُلُّ عن إلتقاطها غضب عليه الصلاة والسلام. وقاله: «**مَالِكٌ وَلَهَا؟ دَعُهَا فَإِنْ مَعَهَا حَدَاوَهَا وَسَقَاوَهَا تَرَدُّ وَتَرْعِي السَّجَرَ حَتَّى تَلْقَى رَبَّهَا**».

ابن القيم - رحمه الله - نقلها إلى هذا المعنى الجليل، يعني: هؤلاء العباد الذين تفتقروا في العبادة وأخذوا لكل نوع منها نصيب. لو سُلُّ من أين يجري عليك الرزق. يجيب: مالك ولها دعني!! يرزقني الله عز وجل.

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٨٠) ومالك في كتاب الأقضية حديث (٤٦)، والبخاري في كتاب العلم باب/ ٢٨. ومسلم في كتاب اللقطة حديث ١، ٢، ٥، ٧، ٨، ٩.

وهذا لا يجوز، الواجب أن كل هذه الأسماء ينبغي أن تزول. وتكون أمة واحدة، وحزب واحد على أعدائنا.

قال: «وأعیدك بالله أن تتتصدّع، فتكون نهايَاً بين الفرق، والطوائف، والمذاهب الباطلة، والأحزاب الغالية، تعقد سلطان الولاء والبراء عليها». هذه أيضاً طريق سيئة، أن يكون الإنسان نهايَاً بين الفرق والطوائف، يأخذ من هذا، ومن هذا ثم لا يستقر على رأي. فإن هذا آفة عظيمة، والواجب على الإنسان أن يكون مختاراً ما هو أنساب في العلم والدين ويستمر عليه وقد روی عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رض أنه قال: «من بورك له في شيء فليلزمه». وهذه في الحقيقة قاعدة لنهاج المسلم يجب أن يسير عليها، من بورك له في شيء فليلزمه وليسمر عليه حتى لا تقطع أوقاته يوماً هنا و يوماً هنا.

يقول: «فكن طالب علم على الجادة، تقفو الأثر، وتتبع السنن، تدعوا إلى الله على بصيرة عارفاً لأهل الفضل فضلهم وسابقهم».

هذه أيضاً وصية نافعة، أن الإنسان ينبغي له أن يتبع الأثر وأن يدع الأهواء والأفكار الواردة على الإسلام والتي هي في الحقيقة دخيلة على الإسلام وبعيدة الوضوح.

ثم نقل كلام ابن القيم: (العلامة الثانية) قوله: «ولم يُنْسِبُوا إِلَى اسْمٍ أَيْ: لَمْ يَشْتَهِرُوا بِاسْمٍ يُعْرَفُونَ بِهِ عِنْدِ النَّاسِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي صَارَتْ أَعْلَمَ لِأَهْلِ الطَّرِيقِ». وأيضاً، فإنهم لم يتقييدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه، فيعرفون به دون غيره من الأعمال، فإن هذا آفة في العبودية، وهي عبودية مقيدة. وأما العبودية المطلقة، فلا يُعرف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها.

هذا هو الصحيح، العبودية المطلقة أن يعبد الإنسان ربَّه على حسب ما تقتضيه الشريعة. مرة من المصلين، ومرة من الصائمين، ومرة من المجاهدين ومرة من المتصدقين حسب ما تقتضيه المصلحة، ولذلك تجد النبي ﷺ هكذا حاله، لا تكاد تراه

معينة لا يعبد بغيرها وإن كانت أعلى منها، أو شيخ معين لا يلتفت إلى غيره وإن كان أقرب إلى الله ورسوله منه. فهؤلاء كثيرون محبوبون عن الظفر بالمطلوب الأعلى، مصلدون عنده، قد قبضتهم العوائد والرسوم، والأوضاع، والاصطلاحات عن تجريد المتابعة، فأضضوا عنه بمعرض، ومنزلتهم منها أبعد منزل، فترى أحدهم يتبع بالرياضة، والخلوة، وتفريغ القلب، وبعد العلم قاطعا له عن الطريق، فإذا ذكر له الموالاة في الله، والمعاداة فيه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، عد ذلك فضولاً وشراً، وإذا رأوا بينهم من يقوم بذلك، أخرجوه من بينهم، وعدوه غيراً عليهم، فهؤلاء أبعد الناس عن الله، وإن كانوا أكثر إشارة. والله أعلم، أهـ.

قوله: «يتبع بالرياضة» المراد: الرياضة القلبية على زعمهم، فتجدهم منعزين عن الناس، بعيدين عن الناس، لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ولا يتعلمون ظناً منهم أن هذا هو الخير، ولكنهم في الواقع ضلوا، الخير أن تتبع الخير حيث ما كان.

فتارة في مجالس العلم، وتارة في مصارف الجهاد، وتارة في الحسبة، وتارة في الصلاة وتارة في القرآن، حسب ما ترى أنه أدنى لعباد الله وأخشع لقلبك، لكن من الناس من لا يتحمل، فتجده يرکن إلى شيء معين من العبادة يدعى أن فيه صلاح قلبه ويستمر عليه.

٦٦. تُواضُعُ هَذِهِ الْحَلِيَّةُ

يا أخي! وَقَاتَنَ اللَّهُ وَإِيَّاكَ الْعَثَرَاتِ. إِنْ كُنْتَ قَرَأْتَ مُثُلاً مِنْ «حَلِيَّةَ طَالِبِ الْعِلْمِ» وَأَدَارَهُ، وَعَلِمْتَ بِعُضُّهَا مِنْ نَوَاقِصِهَا، فَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ خَوَارِمِهَا الْمُسَدَّدَةِ

لِنَظَامِ عَقْدِهَا:

١. إِفْشَاءُ السَّرِّ.

٢. وَنَقْلُ الْكَلَامِ مِنْ قَوْمٍ إِلَى أَخْرَيْنِ.

وَاحْسَرْتَاهُ تَقْضِيَ الْعُمُرَ وَانْصَرَمْتُ سَاعَاتُهُ بَيْنَ ذُلُّ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ
وَالْقَوْمُ قَدْ أَخَذُوا دَرْبَ النِّجَاهِ وَقَدْ سَارُوا إِلَى الْمَطْلَبِ الْأَعْلَى عَلَى مَهَلٍ
ثُمَّ قَالَ: قَوْلُهُ: «أُولَئِكَ دَخَانُ اللَّهِ حِثُّ كَانُوا»، دَخَانُ الْمَلِكِ: مَا يُخَبَّأُ عَنْهُ، وَيَذَرُهُ
لَهُمَاهُ، وَلَا يَبْذَلُهُ لَكُلِّ أَحَدٍ، وَكَذَلِكَ دَخِيرَةُ الرَّجُلِ: مَا يَذَرُهُ لَهُوَ أَجْهَمُهُ وَمَهْمَاتُهُ. وَهُؤُلَاءِ لَمَّا كَانُوا
مُسْتَوْرِينَ عَنِ النَّاسِ بِاسْبَابِهِمْ، غَيْرُ مُشَارِ إِلَيْهِمْ، وَلَا مُتَمَيَّزُونَ بِرَسْمِ دُونِ النَّاسِ، وَلَا مُنْتَسِبُينَ
إِلَى اسْمٍ طَرِيقٍ أَوْ مَذَهَبٍ أَوْ شِيَخٍ أَوْ زَيِّ، كَانُوا بِمَنْزِلَةِ الدَّخَانِ الْمُخْبُوَةِ. هُؤُلَاءِ أَبْعَدُ الْخَلْقَ عَنِ
الْآدَمَيَّةِ، فَإِنَّ الْآكَافَ كُلُّهَا تَحْتَ الرَّسُومِ وَالْتَّقْيِيدِ بِهَا، وَلِنُزُومِ الْطَّرُقِ الْاِصْطَلَاحِيَّةِ، وَالْأَوْضَاعِ الْمُتَدَاوِلَةِ
الْحَادِثَةِ. هَذِهِ هِيَ الْتِي قَطَعَتْ أَكْثَرَ الْخَلْقِ عَنِ اللَّهِ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ».

صحيح هذا .. لاشك أن الأمر كما قال الإمام ابن القيم - رحمة الله - هؤلاء الذين لهم مراسم معينة، ولهم طقوس معينة، وأشكال معينة، هؤلاء لاشك أنهم ينقطعون عن الله عز وجل بحسب ما معهم من هذه الرسومات الإصطلاحية وما أشبهها، تجد الواحد منهم إذا رأيته قلت: من هذا الرجل؟ من هذا العالم. لكنه عالم بالزى والشكل فقط، وليس عنده علم راسخ، بل وربما نقول إيمانه ضعيف أيضاً، وإن كان يعتمد على ما عنده من العلم والإيمان والدعوة والصلاح. قال:

«وَالْعَجَبُ أَنَّ أَهْلَهَا هُمُ الْمَعْرُوفُونَ بِالْطَّلَبِ وَالْإِرَادَةِ، وَالسَّيْرِ إِلَى اللَّهِ، وَهُمْ إِلَّا الْوَاحِدُ بَعْدُ الْوَاحِدِ. الْمَقْطُوْعُونَ عَنِ اللَّهِ بِتَلْكَ الرَّسُومِ وَالْقِيُودِ».

العجب من أن الإنسان يستغرب أن يكون هؤلاء الذين أخذوا العلم بالرسوم والاصطلاحات الحادثة، هم المعروفون بالطلب والإرادة لأنهم يغرون الناس بلباسهم ونبرات كلامهم، وغير ذلك.

ثم قال: «وَقَدْ سُئِلَ بَعْضُ الْأَقْمَةِ عَنِ السُّنَّةِ؟ فَقَالَ: مَا لَا اسْمَ لَهُ سُوْيَ «السُّنَّةِ». يَعْنِي: أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ لَيْسُ لَهُمْ اسْمٌ يُنْسَبُونَ إِلَيْهِ سَوَاهَا. فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَقَيَّدُ بِلِبَاسِ غَيْرِهِ، أَوْ بِالْجُلُوسِ فِي مَكَانٍ لَا يَجْلِسُ فِي غَيْرِهِ، أَوْ مَشَيَّةٌ لَا يَعْمَلُهُ غَيْرِهِ، أَوْ بَزِيٌّ وَهَيْلَةٌ لَا يَخْرُجُ عَنْهُمَا، أَوْ عِبَادَةٌ

ما شاء الله ، من أدرك عن كذا وكذا ، فـيـبـهـتـ الـآـخـرـ ، فـيـظـنـ أـنـهـ قـدـ عـلـمـ ثـمـ يـفـضـيـ لـهـ السـيـرـ وـهـذـهـ طـرـيـقـةـ تـجـسـسـ مـنـ بـعـضـ النـاسـ .

فاحذر هذا، فما دمت استكتمك صاحبك فإذا جاء أحد يهتك بمثل هذا الأسلوب، فلا تخف. قل: أبداً، ما صار هذا، وأنا أبرئ إلى الله منه – وتنصل منه هذا الكلام الذي قلت، لأنك تجسس.

قال العلماء: وإذا حدثك الإنسان بحديث والتفت، فقد استأمنك، فهو أمانة وسر، فلا يجوز أن تodashيه. حتى وإن لم يقل لا تخبر أحداً. لأن التفاتة يعني أنه لا بد أحداً سمعه. فإذا أفشسته بهذا من إفساء السر.

٢ - ونقل الكلام من قوم إلى آخرين: وهذه هي النسمة، وقد قال النبي ﷺ: **يدخل الجنة قات**^(١). أي: نمام، ومرّ بقبرين يعذبان، وذكر أن أحدهما كان يشيه بالنسمة^(٢). فهـ من كيائـ الذنوب.

يأتي الشخص الآخر ويقول: فلان يقول فيك كذا وكذا. لكن إذا كان المقصود بذلك النصيحة. كيف النصيحة؟ يعني: أن هذا الرجل مغتر بالشخص ويُفضي به أسراره ويستشيره في أموره، فجاء إنساهم وقال: يا فلان، أنا رأيتك تفضي سرك إلى فلان وتشق به، والرجل ليس بأمين، الرجل يفشي كل ما تقول. فهل يعتبر هذا نصيحة؟ هذه نصيحة!

٣- **والصلفُ واللسانة، الصلف** : يعني التشدد في الشيء، يكون الإنسان غير لين لا يقال له ولا بحاله. بل هو صلت ولسن، يعني رفع الصوت، أو يعني عنده بياناً يبدىء به الماطل، ويُخفى به الحق.

^{١١} آخر جه أبو داود في الأدب حديث (٤٨٧١) وهو صحيح.

(١) آخرجه أبو داود في الأدب حديث (٤٨٧١) وهو صحيح.
 (٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٦٤) وانظر طرقه وشهادته في بذل الإحسان لشيخنا أبي إسحاق الحويني. رقم (٣١).

ما هي المفاهيم المهمة في علم الاجتماع؟

- ٣- والصلفُ واللسانة.
- ٤- وكثرة المزاح.
- ٥- والدخولُ في حديثٍ بين اثنين.
- ٦- والحدُّ.
- ٧- والحسدُ.
- ٨- وسوء الظنّ.
- ٩- ومجالسه المبتدعة.
- ١٠- ونقل الخطأ إلى المحارم.

فاحذر هذه الآثام وأخواتها، واقصر خطاك عن جميع المحرمات والمحارم، فإن فعلت، وإنما فاعلماً أنك رقيق الديانة، خفيف لعاب، مغتاب، تمام، فأئن لك أن تكون طالب علم، يُشار إليك بالبنان، متعمماً بالعلم والعمل؟

سَدَّ اللَّهُ الْخُطُّ، وَمَنَحَ الْجَمِيعَ التَّقْوَىٰ وَحْسَنَ الْعَاقِبَةِ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ.
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ أَلَّهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

بِحَرْبِنْ عَبْدِ اللَّهِ أَبْوِ زَيْدٍ
فِي ٢٥/٨/١٤٠٨هـ

هذه النواقص والخوارم التي ذكرها هي في الحقيقة خدش عظيم لطالب العلم وللعلامة أيضًا.

١- إفشاء السر محرّم: لأنّه خيانة للأمانة. فإذا استكمّل الإنسان حديثاً فإنّه لا يحلّ لّك أن تفشيّه لأيّ أحد كان، واحذر أن يخدعك أحد، لأنّ بعض الناس يظنّ أنه أفضّل إليك بحديث، ثم يأتي إليك وكأنّ الأمر مسلّم أنه علم بذلك. فيقول مثلاً:

ولهذا كان من آداب حاضر صلاة الجمعة ألا يفرق بين الاثنين كما جاءت به السنة، فالتفريق بين الاثنين في الكلام وفي الحديث من خوارم المروءة، وكذلك أيضاً لا ينبغي إذا رأيت اثنين يتحدثان أن تقترب منهما، بل من الأدب والمرءة أن تبتعد، لأنه ربما يكون بينهما حديث السر ويخرجان أن يقولا لك أبعد، فالحديث سر، أو إذا كانا لا يستطيعان ذلك عدلاً عن حديث السر فقطعت حديثهما.

٦ - الحقد: والحدق يعني الكراهة والبغضاء، فإن بعض الناس إذا رأى أن الله أنعم على غيره نعمة حقد عليه، مع أن هذا الذي أنعم عليه لم يتعرض لهسوء، لكن حاقد عليه. وما قصة ابني آدم بغيرب علينا.

قريباً قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر. فقال الذي لم يتقبل منه إلى الذي تقبل منه لا أقتلنك. كرهه وحقد عليه إلى حد أنه أودى بحياته، فقال له ذلك: **«إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَقْنِينَ»** (سورة المائدة: ٢٧). وليس بيدي تزكية نفسى أو لشأء عليها.

وإنما يريد أن يحث ذلك على التقوى حتى يقبل منه. كأنه قال له: اتق الله يقبل منك. ولكن: **«فَطَرَعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتَلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ»** (سورة المائدة: ٣٠).

فلا يجوز للإنسان أن يحقد على أخيه المسلم، ولا سيما أن يكون سبب الحقد ما من الله عليه من النعمة سواء دينياً أو دنيوياً.

٧ - الحسد: من أخلاق اليهود، وبئسخلق خلق الحسد، فما هو الحسد، الحسد قيل هو: أن يتمنى زوال نعمة الله على غيره.

يتمنى فقره إذا كان أنعم الله عليه بالمال، ونسائه وجهله إذا كان أنعم الله عليه بالعلم، فقد أولاده وعقم زوجته إذا كان الله من عليه بالأولاد وما أشبه ذلك.

وقال شيخ الإسلام رحمة الله: «الحسد كراهة نعمة الله على غيره». يعني ما يتمنى زوالها، لكن يكره أن الله أنعم على هذا الإنسان بهذه النعمة، فأما لو تمنى أن يزقه الله مثلها، فليس هذا من الحسد بل هذا من الغبطة، التي أشار إليها النبي عليه السلام بقوله: **«لَا حَسْدُ إِلَّا فِي اثْنَيْنِ»** (١). ومضار الحسد إحدى عشرة وهي:

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٧) في كتاب التفسير / تفسير سورة عبس.

وأما قوة الصوت وارتفاعه، فإنه ليس إلى اللسانة، هذه من خلقة الله عز وجل، ولما أنزل الله تعالى: **«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجْهَرْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ»** (سورة الحجرات: ٢٤). كان ثابت بن قيس ضعفه - وهو من أحد الشعراء والخطباء - كان جهوري الصوت، فلزم بيته يبكي، ولم يكن له وجه يخرج إلى الناس، ويقابل الناس به، ففقد النبي عليه السلام فسال عنه وأرسل إليه رسوله، فقال: «إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةِ وَإِنِّي خَفْتُ أَنْ يَحْبِطَ عَمَلِي وَإِنِّي لَا أَشْعُرُ». فأرسل إليه النبي عليه السلام فقال له: **«إِنَّهُ يَحْيِي سَعِيداً، وَيُقْتَلُ شَهِيداً، وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ»**.

٤ - كثرة المزاح: ولم يقل المزاح لأن المزاح في الكلام، كالملح في الطعام إن أكثرت منه فسد الطعام، وإن لم يجعل فيه الملح لم يشتهي إليه الطعام. فكثرة المزاح تذهب الهيبة، وتنزل مرتبة طالب العلم. أما المزاح القليل الذي يقصد به إدخال السرور على صاحبكم فهو من السنة، فكان النبي عليه السلام يمزح ولا يقول إلا حقاً.

جاء رجل يريد أن يحمله على بعير يجاهد عليها في سبيل الله، فقال النبي عليه السلام: **«إِنَّ حَامِلَكُمْ عَلَى وَلَدِ النَّاقَةِ»** قال الرجل كيف؟! فقال النبي عليه السلام: **«وَهُلْ تَلَدُّ الْإِبْلِ إِلَّا التَّوْقَ»** (١). فهذا مزح ولكنه حق.

وقال لأبي عمير - غلام صغير - معه طير يلعب به، فمات الطير. فدخل النبي عليه ذات يوم فقال: **«يَا أَبَا عَمِيرَ مَا فَعَلَ النَّعْنَيْرُ»** (٢).

أما ما يفعله بعض الناس، كل كلامه مزح، فهذا كما أنه لا يليق بالرجل العاقل فضلاً عن طالب العلم، فإنه يجعل كلامه مزحًا حتى أن المخاطبين يقولون له أنت صادق أم تزح؟ لأنه يجعل كل كلامه مزحًا.

٥ - الدخول في حديث بين اثنين: فإن بعض الناس إذا رأى اثنين يتحدثان، دخل بينهما وهذا كالمتسلق للجدار، لم يأت البيوت من أبوابها.

(١) أخرجه أحمد (٢٦٧/٣) وأبو داود (٤٩٩٨) والترمذى (١٩٩١) في سنده، وفي الشمائل (٢٣٨) والبيهقي في الكبرى (٢٤٨/١٠) كتاب الشهادات/باب المزاح لا ترد به الشهادة.

(٢) سبق تحريرجه.

قال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَمُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظُّنُنِ﴾** (سورة الحجرات: ١٢). ولم يقل كل الظن، لأن بعض الظنون لها أصل ولها مبرر **﴿إِنَّ بَعْضَ الظُّنُنِ إِثْمٌ﴾** (سورة الحجرات: ١٢). وليس كل الظن، فالظن الذي يحصل فيه العدوان على الغير هذا لاشك أنه إثم، والظن الذي لا مستند له، هو أيضاً إثم.

٩ - ومجالسة المبتدةعة: وليته عمم: مجالسة كل من تخرم مجالستهم المروءة، سواء كان ذلك لابتداع أو سوء أخلاق أو انحطاط رتبة عن المجتمع أو ما أشبه ذلك. فينبغي لطالب العلم أن يكون مترفعاً عن مجالسة من تخدش مجالستهم المروءة أو تخدش الدين. لكن كأنه خص ذلك بالمبتدعة لأن المقام مقام تعليم، فإذا وجدنا مبتدعاً عنده طلاقة في اللسان، وسحرٌ في البيان، فإنه لا يجوز أن يجلس إليه، لأنه مبتدع. لماذا لا يجوز؟

أولاً - لأننا نخشى من شره، فإن النبي ﷺ قال: **«إِنَّ مِنَ الْبَيْانِ لَسْحَراً»**^(١). قد يسحر عقولنا حتى نوافقه على بدعته.

ثانياً - أن فيه تشجيع لهذا المبتدع أن يكثر الناس حوله أو أن يجلس إليه فلان وفلان من الوجاهة والأعيان، فهذا يزيده رفة واغتراراً بما عنده من البدعة وغزوراً في نفسه.

ثالثاً - إساءة الظن بهذا الذي اجتمع إلى صاحب البدعة، وقد لا يتبيّن هذا إلا بعد حين.

١٠ - نقل الخطى إلى المحارم: يعني أن يمشي الإنسان إلى الأمور المحرمة، فإن هذا من خوارم هذه الخلية. إذ أن الذي ينبغي لطالب العلم أن يتتجنب هذا، بل إن بعض العلماء يقول يتتجنب حتى الخطى إلى أمرٍ ينتقده الناس فيه، كما لو ذهب طالب العلم إلى مبيع النساء. النساء لها أسواق للبيع، فذهب طالب العلم لأسواق النساء، هل هذا مما يحمد عليه أو مما يُذم عليه؟ مما يذم عليه، يقال فلان طالب العلم يروح لأسواق النساء، حتى لو قال أنا أريد أن أذهب لأسواق النساء حتى أشتري

(١) أخرجه البخاري (٥٧٦٧) في كتاب الطب/باب إن من البيان لسحراً.

- ١ - أنه من كبار الذنوب.
- ٢ - أنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب. والحديث ضعيف^(١).
- ٣ - أنه من أخلاق اليهود.
- ٤ - أنه ينافي الإخوة الإيمانية.
- ٥ - أنه فيه عدم الرضا بقضاء الله وقدره.
- ٦ - أنه سبيل للتعasseة.
- ٧ - الحاسد متبع لخطوات الشيطان.
- ٨ - يورث العداوة والبغضاء بين الناس.
- ٩ - قد يؤدي إلى العدوان على الغير.
- ١٠ - فيه إزدراء لنعمة الله على الحاسد.
- ١١ - يشغل القلب عن الله.

٨ - سوء الظن: أن يظن بغيره ظناً سبيلاً، مثل أن يقول: لم يتصدق هذا إلا رياء، لم يلق هذا الطالب هذا السؤال إلا رياء ليعرف أنه طالب. وكان المنافقون إذا أتى المتصدق من المسلمين بالصدقه - إن كانت كثيرة - قالوا: مُرائي، وإن كانت قليلة، قالوا: إن الله غني عن صدقه هذا، فهم يلمزون المطوعين من المؤمنين/في الصدقات، ويلمزون الذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم. فإياك وسوء الظن.

فالواجب إحسان الظن بن ظاهر العدالة، أما من ظاهره غير العدالة فلا حرج أن يكون في نفسك سوء الظن به، لكن مع ذلك عليك أن تتحقق حتى يزول ما في نفسك من هذا الوهم. لأن بعض الناس قد يسيء الظن بشخص ما بناءً على وهم كاذب لا حقيقة له.

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠٣). والبخاري في التاريخ (١/١) ٢٧٢/٤٩٠٣) وعبد بن حميد في المتنب (١٥٣) - (١٥٤) وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٦/١٢٤). وابن ماجة (٤٢١٠). وابن عدي في ترجمة عيسى الحناظ (٥/١٨٨٧) الكامل في الضعفاء. وأخرجه أبو الشيخ في التنبيه والتوبیخ بسند ضعيف (٦١/٦٢، ٦٢)، والسيوطی في الدر المشور (٦/٤١٩) والمندری في الترغیب والترھیب (٣/٥٤٧) وعبد الرزاق (١/٤٥) والخطیب في تاريخه (٢/٢٢٧) والعلجولی في کشف الخفا (١/٤٢٦). والحديث ضعفه الالبانی - رحمة الله - في ضعيف الجامع (٦١٩٢).

لأهلی من هذه الأثواب التي تباع بالأسواق. قلنا وكل من يشتري عنك، أما أنت طالب علم يتتقد عليك هذا الفعل، ويقتدي بك من نيته سيئة.

ثم قال: «فاحذر هذه الآثام وأخواتها، واقصر خطاك عن جميع المحرمات والمحارم، فإن فعلت، وإنما قاعمل أنت رقيق الديانة، خفيف، لعاب، مغتاب، نمام، فأنت لك أن تكون طالب علم، يشار إليك بالبنان، منعمًا بالعلم والعمل؟»

يعني: ينبغي للإنسان أن ينزل منزلتها وألا يدنسها بالأخلاق، لأن طالب العلم شرفه الله تعالى بالعلم وجعله قدوة، حتى إن الله تعالى رد أمور الناس عند الإشكال إلى العلماء. فقال: «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (سورة التحل: ٤٣).

فالحاصل إنك يا طالب العلم محترم فلا تنزل نفسك إلى ساحة الذلة والضعة، بل كن كما ينبغي أن تكون.

فهذه الخلية لاشك أنها مفيدة ونافعة لطالب العلم وينبغي للإنسان أن يحرص عليها وينبعها، لكن لا يعني ذلك أن يقتصر عليها بل هناك كذلك كتب أخرى صفت في آداب العلم ما بين قليل وكثير ومتوسط، وأهم شيء أن الإنسان يترسم خطى النبي ﷺ ويشي عليها، فهي الخلية الحقيقة التي ينبغي للإنسان أن يتحلى بها، كما قال سبحانه وتعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (سورة الأحزاب: ٢١).

نسأل الله تعالى أن يختتم لنا ولكم بصالح الأعمال، وأن يوفقنا للعمل بما يرضيه ^(٤).

(٤) انتهى سماحة الشیخ العلامہ محمد بن عثیمین - رحمه الله - من شرح هذه الخلية المباركة في الثامن من شهر صفر لعام ١٤١٦هـ.

وانتهى جمع هذا الشرح وتحقيقه والتعليق عليه في الأول من جمادی الاولى لعام ١٤٢١هـ. نسأل الله حسن القبول وأن يثب مصنفها وشارحها ومحققها وناشرها حسن الجزاء.

وكتب

ابو مالک / محمد بن جعفر بن عبد الوهاب

«مشتملة على عصافير مباركة»

الفهرس

صفحة

٥

الموضوع

مقدمة الكتاب

٧

التعريف بالمؤلف

١١

التعريف بالشارح

١٥

مقدمة الخلية

الفصل الأول

آداب الطالب في نفسه

٢١

العلم عبادة

٢١

كن على جادة السلف الصالح

٢٨

ملازمة خشية الله تعالى

٣٣

دوس المراقبة

٣٥

خفض الجناح ونبذ الخياء والكبراء

٣٧

القناعة والزهادة

٤١

التحلي برونق العلم

٤٤

تحل بالمرودة

٤٧

التمتع بخصال الرجلة

٥٣

هجر الترفة

٥٥

الإعراض عن مجالس اللغو

٦٠

الإعراض عن الهيشات

٦١

التحلي بالرفق

٦٢

التأمل

٦٣

الثبات والثبات

٦٤

* الفهرس * الموضع

الفصل الثاني
كيفية الطلب والتلقي

67 كيفية الطلب ومراتبه

67 تلقي العلم عن الأشياخ

68 **الفصل الثالث**

68 **آداب الطالب مع شيخ**

90 رعاية حرمة الشيخ

90 رأس مالك - أيها الطالب - من شيخك

103 نشاط الشيخ في درسه

105 الكتابة عن الشيخ حال الدرس والمذاكرة

106 التلقي عن المبتدع

الفصل الرابع
أدب الزمالة

122 احضر قرین السوء

122 **الفصل الخامس**

آداب الطالب في حياته العلمية

127 كبير الهمة في العلم

127 الهمة في الطلب

130 الرحلة للطلب

133 حفظ العلم كتابة

136 حفظ الرعاية

139 تعاهد المحفوظات

144 التفقه بتخريج الفروع على الأصول

١٥٩ اللجوء إلى الله تعالى في الطلب والتحصيل

١٦١ الأمانة العلمية

١٦٢ الصدق

١٧ جنة طالب العلم

١٧ المحافظة على رأس مالك (ساعات عمرك)

١٧٣ إجماع النفس

١٧٥ قراءة التصحيح والضبط

١٧٧ جرد المطولات

١٧٨ حسن السؤال

١٨١ الماناظرة بلا مماراة

١٨٢ مذاكرة العلم

١٨٣ طالب العلم يعيش بين الكتاب والسنّة وعلومها

١٨٥ استكمال أدوات كل فن

الفصل السادس

التحلي بالعمل

١٨٧ من علامات العلم النافع

١٨٩ زكاة العلم

١٩٣ عزة العلماء

١٩٠ صيانة العلم

١٩٩ المداراة لا المداهنة

٢٠٠ الغرام بالكتب

٢٠١ قوام مكتبتك

٢٠٢ التعامل مع الكتاب

صفحة	الموضوع
٢٠٤	ومنه
٢٠٤	إعجم الكتابة

الفصل السابع

الماذير

٢٠٧	حلم اليقظة
٢٠٧	احذر أن تكون «أباشبر»
٢٠٨	التصدر قبل التأهل
٢٠٩	التنمر بالعلم
٢١٠	تحبير الكاغد
٢١١	موقفك من وهم من سبقك
٢١٤	دفع الشبهات
٢١٥	احذر اللحن
٢١٨	الإجهاض الفكري
٢١٨	الإسرائييليات الجديدة
٢١٩	احذر الجدل البيزنطي
٢٢١	لا طائفية ولا حزبية يُعقد الولاء والبراء عليها
٢٢٩	نواقص هذه الخلية

